الجزء الاول

المجلد السادس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي





رجب ١٤٠٥ هـ

آذار ١٩٨٥ م

٥١

بلاد الجزيرة

قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع)

الموقع والحدود



كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها .

وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاث ديار : ديار ربيعة ، وديار مُضَر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية : ربيعة ومُضَر وبَكْر ، التي نزلت الجزيرة قبل الاسلام ، فعرف كل من هذه الديار بقبيلته .

وكانت مدينة الموصل على دجلة ، أجل مدن ديار ربيعة . وكانت مدينة الرقة على الفرات ، قاعدة ديار مضر . وآمِد في أعالي دجلة ، أكبر مدن ديار بكر ، ومدينة ديار بكر هي أقصى هذه الديار شمالا .

على أن قسماً من البلدانيين العرب القدامى ، أطلقوا على الجزيرة اسم : أقور ، كالمقدسي وياقوت الحموي ، وأصل اسم : أقور ، غير واضح ، ويبدو أنه الاسم القديم للجزيرة .

واذا رجعنا الى الخريطة ، تبين لنا أن دجلة والفرات في بلاد مابين النهرين العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما ، فقد كانت هذه الروافد تنحدر اليهما من شمالهما الشرقي أو من الشمال • وقد شذ عن هذه القاعدة في القرون الوسطى ، انصراف ماء نهر الهرماس (نهر نصيبين) الآتي من نصيبين• والهرماس رافد الخابور الكبير ، فمياه الهرماس قد سكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكَيْر العباس ، فينما كان قسم من مائه يجري فيلتقي هو والخابور الذي يصب في الفرات عند مدينة قَرقِيسِياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت ، بعد أن تجري في واد يقال له : الثرثار ، والثرثار نهر يخرج من الهرماس ، أوله من عند سُكَيْر عباس ، يمر في وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد أن يمر بمدينة الحضر التاريخية •

لهذا فقد عينت حدود الديار الثلاث هذه الفواصل المائية ، فقد كانت ديار بكر ، وهي سقى دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم في الجنوب الى أسفل تل فافان [1] مع ما في شمالها من أرض تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تصب في يساره غربي تل فافان •

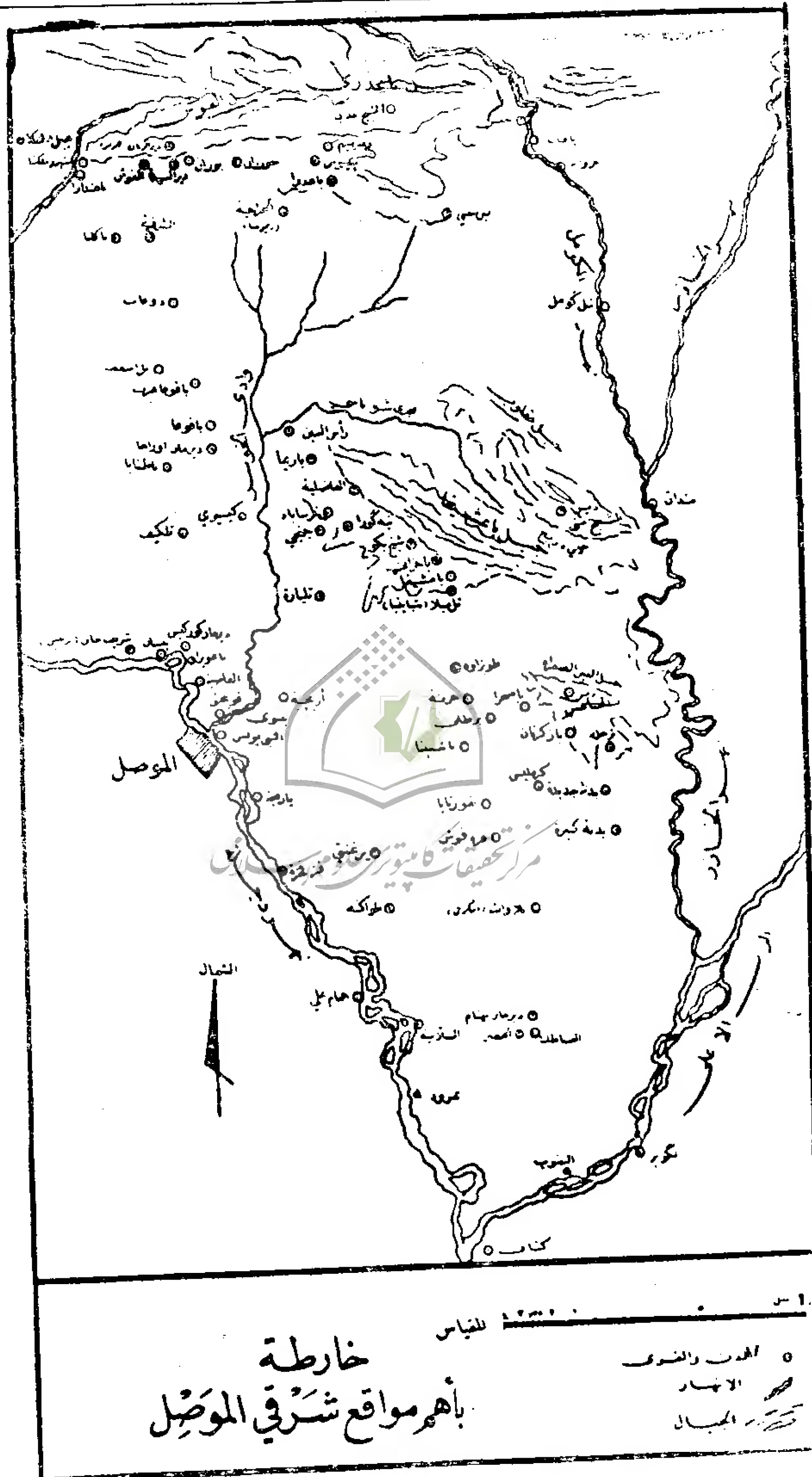
وكانت ديار مضر الى الجنوب الغربي ، هي الارض المحاذية للفرات من سميساط ، حيث يغادر سلاسل الجبال منحدراً الى مدينة عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ [2] رافد الفرات الآتي من حران •

أما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مضر ، وتتألف من الارض التي في شرقي الخابور الكبير (خابور الفرات) المنحدر من مدينة رأس العين ومن

---

(١) فافان : موضع على دجلة تحت ميافارقين يصب في دجلة عند وادي الرزم ، انظر معجم البلدان (٦/٣٣٢) •

(٢) نهر البليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون ، ويصب في الفرات تحت الرقة ، انظر معجم البلدان (٢٨٦ ـ ٢٨٧) •


الموصل
الشمال
للقياس
المدن والقرى
الأنهار
الجبال
خارطة
بأهم مواقع شرقي الموصل

الارض التي في شرقي نهر الهرماس ، وهو النهر المنساب في وادي الثرثار باتجاه الشرق الى دجلة ، وكذلك من الارض على ضفتي دجلة تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أي الارض التي في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الأسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير (خابور دجلة) •

والجزيرة كما ذكرنا ، هي البلاد التي بين دجلة والفرات ، وقد ضموا كثيراً من البلاد الفراتية التي في الجانب الآخر من الفرات من بر الشام الى الجزيرة ، لقربها من البلاد الجزرية ، مثل : الرحبة وغيرها •• والذي يحيط بالجزيرة الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة ، فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات الى ملطية الى سميساط الى قلعة الروم الى البِيرَة الى قبالة مَنْبِج الى بالس الى الرقة الى قرقيسياء الى الرحبة الى هِيْت الى الانبار ، ومن الانبار يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة، ثم يعطف الحد من الانبار الى تكريت وهي على دجلة الى السِنّ الى الحديثة على دجلة الى الموصل الى جزيرة ابن عمر آمِد ، ثم يصير الحد غربياً ممتداً بعد أن يتجاوز آمد على حدود ارمينية الى حدود بلاد الروم الى الفرات عند ملطية من حيث ابتدأنا ، فعلى هذا يكون بعض ارمينية وبعض بلاد الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض ارمينية شماليها •

المدن

أولاً . ديار ربيعة

(١)- المَوْصِل (٣)

المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظير كِبَراً وعِظَماً وكثرة خلق وسِعة رُقْعة ، فهي محط رحال الركبان ، ومنها يُقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى أذربيجان . وكثيراً ما قيل : ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نَيْسَابُور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قلَّ ما لا يمرّ بها .

وسميت الموصل، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل : لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل : لاتصال روافد نهر دجلة فيها .

وهي مدينة قديمة ، تقع على ضفة دجلة الغربية ، حيث تتصل روافد نهر دجلة فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ومقابلها من الطرف الشرقي نينوى ، وهي قاعدة ديار الجزيرة بعامة وقاعدة ديار ربيعة بخاصة .

وعلا شأن الموصل في أيام بني أمية ، ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى التي في الجانب الشرقي. وصارت الموصل في عهد مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين قاعدة اقليم الجزيرة دون منازع ، وبنى فيها الجامع الذي عرف بعدئذ بالجامع العتيق في

---

(٣) كوركيس عواد ـ تحقيقات بلدانية تاريخية في شرق الموصل ـ مجلة سومر ـ المجلد ١٧ ـ بغداد ـ ١٩٦١ ، وقد استفدت من هذه الدراسة ومن الخريطة المرفقة بها في المعلومات الواردة عن الموصل وما حولها .

نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة على نحو كيلو مترين من محلة الكوازين حالياً ، ويعرف اليوم باسم : جامع المصفّي ، على اسم الحاج محمد مصفي الذهب الذي جدد بناءه سنة (١٢٢٥ هـ) .

والمدينة حسنة البناء ودورها بهية ، وهي نصف مستديرة ، وفي أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج ، وقد فصل بين القلعة والبلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله .

ودجلة شرقي البلد ، وهي متصلة بالسور ، وأبراجه في مائها ، ومازالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين بقايا قصر بدرالدين لؤلؤ (قره صراي) وباش طابية ، وهو البرج الكبير المطل على النهر جنوبي عين كبريت المعروفة في الموصل .

وللبلد ربض كبير ، فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق ، وفيها مستشفى كبير ، وسوق يقال له : القيسارية ، وفي المدينة مدارس للعلم كثيرة .

وحول المدينة خندق كبير عميق ، وكان حولها بساتين كثيرة تسقيها النواعير .

٢ – نِينَوى :

قرية النبي يونس بن مَتّى عليه السلام (ذو النون) ، وترى أطلال نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة ، على نحو كيلو مترين من ضفته ، وقد كان هذا النهر يحاذي سور نينوى في أيام عمرانها ، ويشق نهر الخوسر بقاياها ، فما كان يمينه سمي : تل قوينجق ، وما كان في يساره سمي : تل النبي يونس .

وكانت نينوى من عواصم الآشوريين ، وفيها كان معبد الاله عشتار ، وعظم شأنها في عهد الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) ، اذ

وسعها وشيد فيها قصوراً ومعابد وثكنات ، وحوطها بسور وخندق ، وقد ظلت عاصمة للآشورين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين سنة (٦١٢ ق٠ م) ٠

وقد نقب في تل قوينجق، وهو من أقسام هذه المدينة ، منقبون بريطانيون منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر فيه على بقايا قصورها ومعابدها وكثير من آثارها، منها مكتبة آشور بانيبال التي استخرج منها نحو ثلاثين ألف رقيم طين نقلت الى المتحف البريطاني ، وآخر حفرٍ جرى في هذا التل كان سنة خمسين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٣١ م) ٠

وقد عرفت نينوى بهذا الاسم ، لأنها كانت موضع عبادة الآلهة (نينا) منذ أقدم الأزمنة ، وكانت السمكة تعد من الحيوانات المقربة لهذه الآلهة ٠ ويحتمل أن للفظة (نون) التي كانت تعني في الآشورية : (سمكة) ، صلة بهذا الاسم على نحوٍ ما في العربية واللغات السامية الأخرى ٠

وكانت نينوى محاطة بأسوار عظيمة طولها اثنا عشر ميلا ، ومازالت أطلالها ظاهرة للعيان ، تبدو في سلسلة من التلال ٠ وكانت البقعة التي تلتف حولها هذه الأسوار ليست بذات شكل منتظم يبلغ طولها زهاء ثلاثة أميال ، أما عرضها فيختلف ، ففي الشمال كان يبلغ نحواً من ميل ، ثم يضيق حتى يبلغ عند النهاية الجنوبية نحو ثلاثة أرباع الميل ٠ وكان في هذه الاسوار خمسة عشر باباً ، لكل منها اسم يعرف به ٠ ولم تكن رقعة الارض التي يكتنفها السور مشغولة كلها بالمساكن ، بل كانت هنالك حدائق تسقى من ماء نهر الخوسر ، وساحات من الأرض ٠ ويشكل التلان الكبيران : تل قوينجق ، وتل التوبة قلعتين حصينتين ، يصل السور ما بينهما ٠

وتل التوبة ، أحد تلول نينوى ، تقوم فوقه اليوم قرية نينوى ، وفي باطن هذا التل، بقايا قسم من مدينة نينوى القديمة ، يضم بعض قصورها ومعابدها،

٣ – بَرْطُلي :

قرية كبيرة عامرة على بعد خمسة عشر ميلا من شرقي مدينــة الموصل ، كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء ، والغالب على أهلها النصرانية ، وبها جامع للمسلمين وأقوام من أهل العبادة والتزهد ، ولهم بُقُول وخس جيــد يضرب به المثل ، وشربهم من الآبار • والجامع كان يقع في جنوب شرقي برطلى على مسافة دقيقتين للذهاب الى كَرْمُلَيْس ، وقد خرب الجامع منذ عهــد بعيد ، وبقيت انقاضه التي تعرف عند أهل برطلى بـ : مُصَلى •

٤ – باعَشِيْقا :

بليدة تقوم على مسافة ستة عشر ميلا من شرقي الموصل ، لها نهر جارٍ يسقى بساتينها وتداربه عدة أرحاء ، وبها دار امارة ، ويشق النهر في وســط البلد ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج ، ولها سوق كبير، وفيه حمامات وقيسارية يباع بها البز ، وبها جامع كبير حسن له منارة •

ونهرها هو عين جارية ، تنبع من جبل باعشيقا ، وأما النخل والنارنج فلا نجدهما اليوم في بساتين باعشيقا التي تكاد تكون في جملتها أشجار الزيتون•

والى جانبها قرية : باحزاني •

وتشتهر باعشيقا باستخلاص زيت الزيتون ، وبصناعة الصابون منه ، وهي تصدرها الى الموصل وغيرها •

٥ – كَرْمُلَيْس :

بلدة في شرقي الموصل على بعد ستة عشر ميلا منها ، شرقي دجلة ، كثيرة الغلة والأهل ، بها سوق عامرة وتجار •

٦ — جُهَيْنَة :

قرية كبيرة من نواحي الموصل ، على ضفة دجلة الغربية ، تقع جنوبي الموصل قرب (القيارة) ، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل ، وعندها مرج يقال له : مرج جهينة .

وقد خربت جهينة ، وتعرف بقاياها بهذا الاسم أيضا ، وهي على عين طريق السيارات القاصد من الموصل الى بغداد ، وأمامها المرج الواسع الذي ينتهي بضفة دجلة .

٧ — الحَدِيْثَة :

وتسمى : حديثة الموصل تمييزاً لها عن حديثة الفرات ، وهي بليدة على شاطىء دجلة الشرقي قرب الزاب الاعلى ، على فرسخ فوق ملتقاه بدجلة ، بينها وبين الموصل أربعة عشر فرسخا .

وكانت قديما ، عرفها الآرميون باسم : حدتا ، ومعناها الحديثة ، وسماها اليونان (Kainai) وهي بالمعنى ذاته ، وكانت تعرف في أيام الساسانيين باسم : نوكرد ، ومعنى ذلك بالفارسية : البلدة الحديثة ، وكانت قصبة المنطقة قبل توسع الموصل بعد فتحها ، وأعاد عمارتها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية على جرف يشرف على مناقع، وهي كثيرة الصيود ، ذات بساتين وأشجار، وقد بُنيت على شبه دائرة ، ويصعد اليها من دجلة على درج ، وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط .

ولا أثر للحديثة اليوم .

٨ — السِنّ :

بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الأسفل بدجلة على ما في المسعودي،

ولكنها على ما في المقدسي فوقه ، والزاب الأسفل (الاصــغر) في شرقيها ، فوق تكريت ، لها سور وجامع ، وفي أهلها علماء ، وفيها بيع للنصارى ، وكان يقال لها : سِن بارِمـّا تمييزاً لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسِن .

وجامع السِنّ بالاسواق ، بناؤه من الحجارة، ولا أثر لهذه البلدة اليوم.

٩ ـ البَوازِيْج :

بلد قرب تكريت ، على فم الزاب الاسفل ، حيث يصب بدجلة ، ويقال لها : بوازيج الملك ، لها ذكر في الأخبار والفتوح ، وهي من أعمال الموصل ، ولا أثر لها اليوم ، كما هو الحال في الحديثة والسِنّ ، وتعليل ذلك أن أسافل الزابين قد تبدلت كثيراً ، وكانت البوازيج تبعد عن السِنّ أربعة فراسخ شرقاً.

١٠ ـ بارِمـّا :

من جنوب السِنّ ، كان الطريق الى سامراء وبغداد ، يساير ضفة دجلة اليسرى ماراً أولا ببارِمـّا ، وهي بلدة بلحف جبل بارِما ، ويعرف أيضاً بجبل حمرين ، وهو جبل بين تكريت والموصل . وتقع بارما شرقي دجلة ، واليهـا نسب السِنّ ، فيقال : سِن بارما .

١١ ـ دَقُوقاء = داقوق = طاووق :

مدينة بين أرْبِل وبغداد ، تقع على بعد نيف ومئة ميل من شرق السِنّ ، وهي بلدة وسطة ، هواؤها أصح من هواء بغداد ، وبالقرب منها عيون نفط ، يرويها نهر داقوق (نهر العظيم) الذي ينبع من جبال كردسـتان قرب دربند خليفة ، ويفنى ماؤه أسفل مدينة داقوق في الارض الرميلــة ، حيث مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها مَنْ يحاول اجتيازها . ويصل نهر داقوق الى دجلة في موسم الفيضان ، ومجراه الاسفل هو ما يُعرف اليوم بنهر العظيم ، فينصب

في العظيم الفائض من مياه نهر داقوق وغيره ، ومازالت بقايا بعض أنهارٍ كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه فوق البند (أي سد العظيم) بنحو كيلو مترين عند جبل حمرين . وفي الأزمان القديمة حين كان النهروان حياً بأجمعه، كانت مياه نهر داقوق في فيضان الربيع تنصبّ في النهروان .

١٢ - إرْبِل = أرْبيل :

وهي أربلا القديمة ، تقع في فضاء من الارض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير ، يقصدها التجار ، وقلعتها على تل عالٍ من التراب عظيم ، ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقطع في نصفها ، وفيها سوق عظيمة ، وبها مسجد يسمى : مسجد الكف ، فيه حجر عليه كف انسان . وفي المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) قامت في ربضها خارج السور مدينة كبيرة ، عمرت فيها أسواق وقيساريات ، وغلتها من الحنطة والشعير فاخرة .

وترقى مدينة اربل الى اقدم العهود الآشورية ، بل لعلها الموضع الآشوري الوحيد الذي ظل عامراً آهلاً ومحتفظاً باسمه حتى اليوم . واسم اربل الآشوري القديم هو : (أربا ــ ايلو) ومعناه : أربعة آلهة .

وهي اليوم مدينة كبيرة عامرة ، تقوم أحياؤها العتيقة على التل الاثري العالي المعروف بقلعة أربيل ، وفي أرباضه امتدت أحياؤها الحديثة .

وفي سهل أربيل ، جرت المعركة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس سنة (٣٣١ ق.م) ، وهي المعركة باسم : (كوكميلا) .

١٣ - العَمادِية :

مدينة فوق جبل (كُوْرِك) شمال الموصل وعلى بعد (١٦٨) كيلومتراً ، تقع بالقرب من منابع الزاب الأعلى ، وهي من أعمال الموصل ، عمَرها عمادالدين

زنكي بن آق سنقر في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الهجرية ، وكانت قبلها حصناً للاكراد فخربوه ، فأعاده زنكي وسماه باسمه، وكان اسم الحصن الاول : (آشب) .

وفي المدينة قلعة حصينة مكينة عظيمة لاتزال بقاياها موجودة حتى اليوم.

وقد جاء في الكتابات الآشورية اسم مدينة في موضع العمادية أو بالقرب منه وهي : (أمات Amat) ، وأقدم ذكر انتهى الينا ، في مسلة وجدت في القصر الجنوبي الغربي من مدينة (نمرود) الأثرية ، فيها أخبار شمسى أداد الخامس الملك الآشوري (٨٢٣ — ٨١٠ ق.م) وهو ابن شلمنصر الثالث . وذكرها الملك أداد نيراري الثالث (٨٠٥ — ٧٨٢ ق.م) ابن شمسى أداد الخامس في مسلة وجدت في نمرود أيضاً ، وبقيت أمات مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث .

١٤ — فيشابور = فيشخابور :

قرية كبيرة على بعد نحو مئة وخمسين ميلا شمالي شرقي الموصل ، تقع جنوبي مصب الخابور بنهر دجلة ، وينبع النهر من جبال الزوزان المجاورة لجبال العمادية ، وكان على الخابور (وهو غير خابور الفرات) قنطرة عظيمة لاتزال بقاياها حتى اليوم عند بلدة الحسنية (زاخو) قرب قرية حسن آغا ، ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة .

١٥ — الحَسَنِيَة = زاخو :

بلد في شرقي الموصل وعلى بعد يومين منها ، تقع بينها وبين جزيرة ابن عمر ، ويبدو أنها مدينة زاخو الحالية ، ولعل قرية (حسنة) القائمة بازائها في الجانب الآخر من الخابور قد حافظت على اسم الحسنية القديم .

ولاتزال القنطرة العظيمة باقية الآثار في زاخو حتى اليوم ، وكان في الحسنية جامع ، وهي بلد ذو شأن •

١٦ – مَعْلَثايا :

بليد يقع جنوبي زاخو وعلى بعد مرحلة واحدة منها ، على طريق الموصل، وفيه جامع على تلٍ ، وهي كثيرة البساتين ، وهو من نواحي الموصل •

١٧ – جزيرة ابن عمر :

مدينة ذات شأن ، تعرف بالجزيرة وجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي بانيها ، وكانت دجلة تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة ، شبه الهلال ، ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ، ونصب عليه رحَى، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق • تقع في شمالي فيشخابور على بعد ثلاث مراحل من الموصل باتجاه الشمال ، بناؤها من الحجارة ، عليها سور، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبني بالحجارة أيضاً ، وكان من أعمالها مئة قرية ونيف من القرى •

١٨ – بازَبْدَى :

قرية تقع قبالة جزيرة ابن عمر ، في غربي دجلة ، وهي قرب باقِرْدَى من ناحية جزيرة ابن عمر ، التي في شرقي دجلـة ، وهما كورتان متقابلتان ، وسميت الكورة باسمها ، كما سميت الكورة المقابلة باسم باقردى •

١٩ – نَصِيْبين :

مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل الى الشام، وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها

وبين الموصل ستة أيام ، عليها سور بنته الروم وأتمه أنو شروان ملك الفرس . وهي قاعدة ديار ربيعة ، تقع على نهر الهرماس (نهر نصيبين) ، وجبل نصيبين هو جبل الجودي الذي يقال : ان سفينة نوح استقرت عليه ، وهي مخصوصة بالورد الابيض ، وتكثر فيهـا العقارب القاتلـة ، وهي وبئة لكثرة مياههـا وبساتينها .

ونصيبين هي : (نسبيس Nisibis) الرومانية ، وسماها جغرافيو اليونان : (سوكورس Saocoras) أو (مكدونيس Mygdonius) ومازالت من أعظم مدن الجزيرة شأناً ، ولها جامع في وسط البلدة ، وبها حصن من حجر وكلس ، وفيها مستشفى عام ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة ، وغلاتها وكرومها وفواكهها فاخرة .



٢٠ – رَأْس العَيْن :

تقع قرب منابع خابـور ، وهي : (رأس اينـا Resaina) الرومانية ، مشهورة بكثرة عيونها البالغ عددها ستين وثلاثمائة عيناً ، وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان واحد . وعين الزاهرية فيها لا يُعرف لها قرار ، والناس يركبون الزوارق الصغار في مياهها ويذهبون الى بساتينهم والى قرقيسياء ، ويصب ماؤها في نهر الخابور .

لها سور من حجارة ، وكان داخل السور بساتين وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما يلي دورها ، لها جامعان ومدرسة وحمام ، وبناؤها بالحجارة والجص .

٢١ – مارِدِيْن :

مدينة تقع على نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، في شمالها

القلعة الحصينة المنيعة العظيمة الصخرية : قلعة ماردين المشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين ، على قنة جبل الجزيرة ، وتشرف على الفضاء الواسع، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبط، ودورهم فيها كالدرج : كل دار فوق الاخرى ، وكل درب منها يُشرف على ما تحته من الدور ، ليس دون سطوحهم مانع • وعندهم عيون قليلة ، وجلّ شربهم من صهاريج مُعدّة في دورهم ، والقلعة من أحسن القلاع وأحصنها وأحكمها ، وكان يقال لها : الباز ، وهي معقل أمراء بني حمدان ، وتقع شمالي دُنيسر بثلاثة فراسخ •

ويُصنع بماردين الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز ، كثيرة الغلات والقطن والفواكه •

٢٢ ـ طُور عَبْدِين :

بليدة من أعمال نصيبين ، في بطن الجبل المشرف عليها ، المتصل بجبل الجودي ، وهي قصبة كورة من كور نصيبين ، وفيها مخرج نهري الهرماس والخابور •

٢٣ ـ دُنَيْسِر :

بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين ، بينهما فرسخان ، ولها اسم آخر هو : قوج حصار ، وهي مدينة ذات أسواق عظيمة ، وليس بها نهر جارٍ ، وانما شربهم من آبار عذبة طيبة مريئة ، وأرضها حرة وهواؤها صحيح •

وهي مدينة لا سور لها ، تأوى اليها القوافل •

٢٤ ـ دَارَا :

بلدة في لحف الجبل ، بين نصيبين وماردين ، وكانت في أيام الروم قلعة

عظيمة ، وهي بلدة صغيرة ، تُسقى من قناة تعم البلد وتجرى فوق السطوح وتقر في الجامع ثم تنحدر الى وادٍ ، وبنيانهم حجارة سود وكلس، ومن أعمالها يُجلب المحلب الذي تتطيب به الأعراب ، وهي ذات بساتين ، وفي المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) أصبحت قلعتها خراباً لا عمارة بها .

٢٥ — كَفَرْ تُوثا :

قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين (دارا) خمسة فراسخ ، وهي بين (دارا) ورأس العين ، وتقع في جنوب غربي ماردين على نهرها الصغير ، وكانت حصناً قديماً من حصون الروم ، فسكنها الناس ومدنوها وحصنوها.

٢٦ — ماكِسِيْن :

مدينة بالجزيرة من أعمال ربيعة ، على خابور الفرات ، بالقرب من الرحبة، عليها جسر من السفن يقطع الخابور ، ويكثر فيها القطن .

٢٧ — عَرَبان :

مدينة بالجزيرة من ديار ربيعة بالقرب من ماكسين ، عليها سور منيع ، تعمل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الأقطان .

٢٨ — سُكَيْر العَبّاس :

بلفظ تصغير السَكِر ، وهو اسم للسداد الذي تُسد به فوهة الأنهر ، ويرى اليوم على نهر الهرماس (نهر جغجغ) بقايا سِكر على شيءٍ يسير من ملتقاه بالخابور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر .

وهي أيضاً بليدة صغيرة بالخابور ، فيها منبر وسوق .

٢٩ ـ سنْجَار :

تقع غربي الموصل وعلى ثلاث مراحل منها ، في جنوبي مدينة نصيبين ، وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال ، مشهورة بالاترنج والنارنج وبها نخل كثير ، والجامع في وسط البلدة ، ولها سور دائرته (٣٢٠٠٠) خطوة وهو من حجارة ، ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبـل ، وتكثر في بساتينها الكروم والزيتون والسماق ، وهي طيبة الهواء ، وهواؤها نقي .

وجاء في الكتابات المسمارية ما يدل على أنها كانت موجودة منذ العصور الآشورية ، واستولى عليها الرومان في القرن الاول للميلاد ، ودارت معارك طاحنة بينهم وبين الفرس ، ويبدو أنها ظلت على شيءٍ من الاستقلال في عهد الرومان ، فان ملوكها ضربوا النقود بأسمائهم ، وهي موجودة في المتاحف .

٣٠ ـ الحَضَر :

بلدة أثرية قديمة ، لاتزال آثارها باقية حتى اليوم ، وخرائب الحضر تقع غرب وادي الثرثار بمسافة أربعة كيلو مترات ، وعلى نحو سبعين كيلو متراً غرب الشرقاط ، وعلى مئة وخمسين كيلو مترا جنوب غربي الموصل . والثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاه بدجلة قرب تكريت ، وأبنيـة الحضر بالحجارة المهندمة المربعة .

وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف ، فما زلنا نجهل زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمفردها في البرية الواسعة التي بين نهري دجلة والفرات . ولكننا نعرف أنها وصلت الى أوج عزها في أواخر المئة الاولى للميلاد ، وثبتت أمام جيوش الرومان في المئة الثانية للميلاد ، ولكنها لم تقوَ على الوقوف بوجه هجوم سابور الاول الساساني ، فقد احتلها بعد أن حاصرها وأعمل السيف في أهلها ، ونهب قصورها ومعابدها ، في نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد .

ويظهر أن الحضر لم تعش بعد ذلك ، وهجرها مَن بقي من أهلها على قيد الحياة .

٣١ ـ أَسْكِي مُوْصِل = بَلَد :

بليدة صغيرة ، على اربعة فراسخ من الموصل ، فيها مشهد من مشاهد آل البيت ، وأصبحت في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) مدينة كبيرة ، فيها قصور حسنة ، وبنيانها من الحجر والجص ، ولها أسواق ، وجامعها وسط البلدة .

وهي اليوم قرية على نحو أربعين كيلو متراً شمال غربي الموصل في ضفة دجلة اليمنى ، وتقوم عند الخرائب المعروفة حالياً بهذا الاسم : أسكي موصل، وهي بقايا مدينة (بَلَط) الآشورية التي ورد اسمها في كتابات سنحاريب الملك الآشوري (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق.م) . وقامت هناك مدينة فيالعصر الاسلامي، سماها البلدانيون العرب : بلد وبلط ، وقد عثر في بعض أطلالها على مسكوكات أتابكية احداها تعود الى قطب الدين مودود ، مما يدل على أن هذا القسم من الأطلال والسور الذي حولها فوق التل القديم من المنشآت الأتابكية .

وعلى مقربة من أسكي موصل ، قنطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم الاسم أيضاً ، ارتفاعها اثنا عشر متراً في الوقت الحاضر ، وعرضها اثنان وعشرون مترا ونصف المتر ، مبنية بالحجارة الكبيرة المهندمة ، على بعضها حروف يحتمل أنها يونانية ، وفي وجه الطاق كتابة عربية منقورة في الحجر ، ويرجح أنها كتبت بعد انشاء القنطرة التي يبدو من طرازها أنها رومانية ، فجددت بعد ذلك .

٣٢ ـ تَـل أعْفَر :

اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل ، في غربي الموصل ، على طريق الموصل ـ سنجار ، وكان اسمها عند الآشوريين : (نمت عشتار) •

وهي في وسط وادٍ فيه مـاء جارٍ ، والقلعة على جبـل منفرد حصينة محكمة ، وبها نخل كثير يصدر رطبه الى الموصل •

بين سنجار وتل أعفر خمسة فراسخ ، وبين تل أعفر وبين بلد ستة فراسخ، وأصل اسمها : التل الاعفر ، للونه الاعفر ، وغلالها جيدة •

٣٣ ـ المَحْلَبِيّة :

بليدة بين الموصل وسنجار ، قصبة كورة الفرج من تل أعفر • وهي اليوم من قرى لواء الموصل ، قرية كبيرة كالبلدة . فيها عين وافرة المـاء تعرف بـ : سرب المحلبية ، تعيش فيها أسماك ، وتسقى مياهها بساتين القرية التي تكثر فيها الأشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ وغيرها •

وفي أطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل عالٍ يعرف بتل باليوز ، على سطحه كسر فخار من أدوار ما قبل التاريخ والدور الآشوري •

والمحلبية نسبة الى : المَحْلَب(٤) ، وهو نوع من العطر ، يعمل فيها •

٣٤ ـ بَاعَيْنَاثَا :

أ ـ مدينة نزهة طيبة ، وهي خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص •

---

(٤) المحلب : شجر له حب يجعل في الطيب .

تقع على الطريق الايمن من الموصل ـ أسكي موصل ـ باعيناثا ـ نصيبين . ولا أثر لها في الوقت الحاضر .

ب ـ قرية كبيرة كالمدينة ، فوق جزيرة ابن عمر ، لها نهر كبير يَصُبُّ في دجلة ، وفيها بساتين كثيرة ، وهي من أنزه المواضع ، تُشَبَّه بدمشق .

٣٥ ـ بَرْقَعِيْد :

بلدة كبيرة من أعمال الموصل ، من كورة البقعاء ، وبها آبار كثيرة ، وهي واسعة وعليها سور ، ولها ثلاثة أبواب : باب بلد ، وباب الجزيرة ، وباب نصيبين ، وفيها كثير من حوانيت البيع والشراء .

وقد كانت هذه صفتها قرابة سنة ثلاثمائة الهجرية ، أما في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) فقد أصبحت خراباً صغيرة حقيرة ، وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية ، يقال : لص" برقعيدي . وكانت القوافل اذا نزلت بها لقيت من أهلها الامرين ، حتى تجنبتها أكثر القوافل ، لكثرة أفاعيل أهلها ، فأصبحت قرية صغيرة ، وهكذا جنى عليها أهلها بسوء أعمالهم .

٣٦ ـ أَذْرَمَة :

مدينة تقع في نحو نصف المسافة بين برقعيد ونصيبين ، بينها وبين برقعيد خمسة فراسخ ، وفيها نهر يشقها وينفذ الى آخرها والى صحرائها من عين على رأس فرسخين منها ، وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وعلى النهر رحى ماء ، وعليها سوران واحد دون الآخر ، وفيها خرابات وسوق قدر مائتي حانوت ، ولها باب حديد ، ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة ، بينها وبين سنجار عشرة فراسخ . ، وهي من أعمال الموصل ، من كورة تُعرف بـ : بين النهرين ، بين كورة البقعاء ونصيبين ، ولم تزل هذه الكورة ، وهي

اليوم من أعمال نصيبين ، وكانت تلك صفتها في المئة الثالثة الهجرية (التاسعة الميلادية) .

أما في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) ، فقد أصبحت قرية ليس فيها مما يوصف شيء واليها ينسب ، شرب أهلها من آبار ، وبنيانهم قباب ، وهكذا تبدل حالها فكانت مدينة فأصبحت بعد مئة سنة قرية ، وهي من ديار ربيعة .

ثانياً — ديار مُضَر

٣٧ — الرّقّة والرافِقة :

الرقة مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ، واسمها : البيضاء ، وهي قاعدة ديار مضر من الجزيرة ، تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات .

وقد قامت في موضع المدينة اليونانية القديمة : (كلنيكس Callincus) وهي : (نقفوريوم Nicephorium) ، وما اسم : الرقة العربي ، الا نعت لها ، فالرقة كل أرض الى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء وقت الفيضان ، ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع أخرى ، وهذه الرقة التي على الفرات ، عرفت بالرقة البيضاء تمييزاً لها عن غيرها .

وحين انتقلت الخلافة الى بني العباس في المئة الثانية الهجرية (الثامنة الميلادية) ، كانت الرقة من أهم مدن ما بين النهرين الأعلى ، وتسيطر على تخوم الشام ، فكان على العباسيين الاحتفاظ بها . وشرع المنصور في سنة خمس وخمسين ومئة الهجرية (٧٧٢م) ، ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثمائة ذراع

من الرقة ، ورتب بها جنداً من أهل خراسان الموالين للدولة الجديدة ، وقد بنيت الرافقة على غرار مدينة السلام : بغداد ، فكانت مدينة مدورة .

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصراً سماه : قصر السلام ، لانه كان يقيم في الرقة أو الرافقة اذا اشتد الحر في بغداد .

وسرعان ما خربت الرقة القديمة ، وشيدت أبنية جديدة على الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وقد كانت الاخيرة ربضاً لها التي بطل اسمها بمرور الزمن ، وكانتا مدينتين متلاصقتين ، في كل واحدة منهما مسجد جامع ، وكانتا كثيرتى الاشجار .

وللرقة حصن عريض ، ولها بابان ، حسنة الاسواق ، كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، وفيها الصابون الجيد والزيتون ، وهو الصابون الرقي المشهور ، وجامع الرقة في سوق البزازين ، وبها حمامات طيبة .

والرافقة هي ربض الرقة ، وكان لكل بيت كبير في الرقة دكة ، وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها : الرقة المحترقة .

وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، ولها ربض بينها وبين الرقة ، وبه أسواقها .

وقد خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينتين : الرقة .

٣٨ — صِفِّين :

موضع بالقرب من الرقة ، على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس ، وعلى أرضها جرت المعركة المشهورة بين علي بن ابي طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان في سنة سبع وثلاثين الهجرية في شهر صفر .

٣٩ – قَلْعَة جَعْبَر :

تقع بين الرقة وبالس على الفرات مقابل صفين على صخرة لا ترام ، وكانت تسمى : الدوسرية نسبة الى دوسر وهو عبد للنعمان بن المنذر ، فانه بناها لما جعل النعمان دوسرَ المذكور على أفواه الشام . ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري ، فطالت مدته فيها حتى عمي من الكبر ، فنسبت القلعة اليه ، فقيل لها : قلعة جعبر ، وهي اليوم خراب ليس بها ديار .

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة الهجرية (١١٠٤م) ، استولى الفرنج عليها في الحملة الصليبية الاولى .

٤٠ – حَرّان :

تقع حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة ، قرب منبع نهر البليخ ، وهي مدينة الصابئين الحرانية، وينبغي الا يخلط بينهم وبين صابئة العراق اليوم ، فصابئة حران على دين ابراهيم عليه السلام . وهي مدينة نزهة عليها حصن من حجارة حسن البناء ، وسورها مبني بالحجارة ومحيطه (١٣٥٠) خطوة ، ولها أسواق مسقفة ومدرسة ومستشفى عام ، وفيها جامع ، وما حولها من الارض تسقيها أنهار لا عدَّ لها .

وكانت حران (كرها Carrhae) منذ الالف الثاني قبل الميلاد قاعدة اقليم كبير ، وظلت عامرة حتى المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) ، حكمها الآشوريون واليونان والرومان والفرس قبل أن يفتحها المسلمون سنة ثمان عشرة الهجرية (٦٣٩م) ، ونزلها مروان الثاني آمر خلفاء بني أمية ، وتبلغ مساحة أطلالها نحو ميل مربع ، يحيط بها سور خرب .

بينها وبين الرها يوم ، وبينها وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، وهي اليوم خراب .

٤١ – الرُّها :

هي : أذاسا ، وسماها العرب : الرُّها ، وهو تحريف للاسم اليوناني : (كلــرهو Callirhoe) ، مدينــة تقع على احــد روافد نهر البليخ ، وأكثر ما اشتهرت به كنائسها الكثيرة ، وبها جامع ، وكانت مدينة محصنة .

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة الهجرية (١٠٩٨ م) استولى عليها بلدوين وبقيت نصفٍ قرن ولاية لاتينية ، ولكن في ســنة أربعين وخمسمائة الهجرية (١١٤٥م) استعادها عمادالدين زنكي الذي حكم سنتي (٥٢١ هـ – ٥٤١ هـ) من جوسلين الثاني .

وظلت بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة الهجريــة (الخامسة عشرة الميلادية) ، اذ اطلق عليها اسم : (أورفا) بعد انتقالها الى حــكم العثمانيين ، ومازالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم .

٤٢ – باجَدّا :

قرية كبيرة بين رأس العين والرقة ، عليها سور ، وكان مسلمة بن عبدالملك قد أقطع موضعها رجلا من أصحابه ، فبناها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها ، يشرب منها الناس وما فضل يسقى زروعها ، وهي قرب حصن مسلمة بن عبدالملك على مقربة من شرق نهر البليخ على الطريق الى رأس العين ، وهي على تسعة فراسخ من جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل من ضفة النهر الحقيقية .

٤٣ – حصن مَسْلَمَة :

حصن مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، أحد قادة الفتح الاسلامي ، ومن أكبر قادة بني أمية ، وهو بالجزيرة بين رأس العين والرقة ، بنــاه مسلمة على

قدر جريب من الارض (ما يعادل ثلث ايكر) ، وارتفاعه في الهواء أكثر من خمسين ذراعا ، بينه وبين نهر البليخ ميل ونصف الميل ، وشرب أهله من مصنع فيه طوله مائتا ذراع في عرض مثله وعمقه نحو عشرين ذراعاً ،معقود بالحجارة. وكان مسلمة قد أصلحه ، والماء يجرى فيه من نهر البليخ في نهر منفرد في كل سنة مرة حتى يملأه ، فيكفي أهله بقية عامهم، ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة ، وفوهته من البليخ على خمسة أميال ، وبين حصن مسلمة وحران تسعة فراسخ ، وهو على طريق القاصد للرقة من حران .

٤٤ — باجروان :

قرية من ديار مُضر بالجزيرة ، وكانت من أعمال نهر البَليخ ، منزلا خصبا نزها واسعا ، في جنوب حصن مسلمة في طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها .

وفي المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) اضمحلّ أمرها .

٤٥ — قَرْقِيْسِيَاء :

مدينة على ضفة الفرات اليسرى ، حيث يصب خابور الفرات فضلة مياهه في الفرات ، على نحو مائتي ميل أسفل من الرقة ، وهي : (كركيسيوم Circesium) القديمة ، تبعد ستة فراسخ عن الرحبة (رحبة مالك بن طَوق) وأصغر من الرحبة ، لها أشجار وبساتين كثيرة ، وهي في نفسها نزهة .

٤٦ — الرّحْبَة :

رحبة مالك بن طَوق بن عَتّاب التغلبي ، تمييزا لها عن سائر الرحبات الاخرى ، وهي مدينة بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، ومن حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، والى الرقة نيّف وعشرون فرسخا ، ولم يكن لها أثر

قديم ، انما أحدثها مالك بن طوق أحد قادة الرشيد ، وكان احداثها في خلافة المأمون ، وهي بين الرقّة وعانة .

وقد خربت الرحبة وبقيت قرية ، وبها آثار المدينة القديمة من المآذن الشاهقة وغيرها ، واستحدث شيركوه بن أحمد بن شيركوه بن شادي صاحب حِمص في جنوبيها ناقلا عن الفرات الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة لها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات ، وهي اليوم محط القوافل من العراق والشام ، بين الرحبة الجديدة وقرقيسياء ثلاثة فراسخ .

والرحاب عامة تكون في الاودية ، الواحدة : رحبة ، وهي مواضع متواطئة ليتستنقع الماء فيها ، وما حولها مشرف عليها ، وهي أسرع الأرض نباتا ، وتكون عند منتهى الوادي أو في وسطه ، وتكون في المكان المشرف ليستنقع الماء فيها . واذا كانت في الارض المستوية نزلها الناس ، واذا كانت في بطن المسيل لم ينزلها الناس ، واذا كانت في بطن الوادي فهي أفنة أي حُفرة تمسك الماء ليست بالقعيرة جدا ، وسعتها قدر غلوة ، والناس ينزلون في ناحية منها . ولا تكون الرحاب في الرمل ، وتكون في بطون الارض وظواهرها .

وكان الرشيد قد أقطع مالك بن طَوق أرض الرحبة ، فعمرها مالك وتحول الناس اليها ، فأنفذ له الرشيد رجلا يطلب منه مالا ، فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ؛ ثم ثنى الرسول اليه وكذلك راسله ثالثة ، وبلغ الرشيد عنه أنه قد عصى عليه وتحصن ، فأنفذ اليه الجيوش ، الى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع . وأخيرا ظفر به صاحب الرشيد ، فحمله مكبلا بالحديد الى بغداد ، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يُسمع منه كلمة واحدة ، وكان اذا أراد شيئاً أومأ برأسه ويده . فلما مضت عشرة أيام ، جلس الرشيد للناس

وأمر باخراجه ، فأخرج من الحبس الى مجلس أمير المؤمنين ، والوزراء والحُجّاب والأمراء بين يدي الرشيد ، فلما مثَل بين يديه بقي قائما لا يتكلم ولا يقول شيئا ساعة تامة . ودعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه ، فقال له يحيى البرمكي : « ويلك يا مالك ! لم لا تتكلم !! » . والتفت مالك الى الرشيد وقال : « السلام عليك يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح بك سبل الحق ! ان الذنوب تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، وايم الحق ! لقد عظمت الجريرة فانقطعت الحجة ، فلم يبق الا عفوك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي امرىء مما قضى الله يُفلِتُ
وأي امرىء يُدلي بعذرٍ وحجّة
وسيف المنايا بين عينيه مُصلَتُ
يَعزّ على الأوس بن تَغلب موقفٌ
يُهَزّ عليَّ السيفُ فيه وأسكتُ
وما بي خوفٌ أن أموتَ وانني
لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ موَقّتُ
ولكنّ خلفي صبيةً قد تركتُهم
وأكبادهم من خشيةٍ تتفتّتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهمُ
وقد خَمّشوا تلك الوجوه وصوّتوا

فان عِشتُ عاشوا خافضين بغبطةٍ
أذود الرَّدى عنهم ، وان متُ مَوَّتوا
وكم قائلٍ : لايبعدُ اللهُ داره
وآخرُ جذلان يُسرُّ ويَشمتُ »

وبكى الرشيد حين سمع هذا الشعر المؤثر البليغ ، ثم قال : « لقد سكتَّ على همة ، وتكلمت على علم وحكمة ، وقد وهبناك للصبية ، فارجع الى مالك، ولا تعاود فعالك » .

وقد حرصت على تسجيل هذه الطرفة العاطفية ، ليستمتع بها القارىء كما استمتعت ، اذ لا علاقة لها بالوصف الجغرافي للرحبة ، وعلى كل فعناء القارىء بتلاوتها ، أقل من عناء كاتبها ، وما أردت الا امتاع القارىء بهذه النادرة ، دون أن أفرض عليه تصديقها أو تكذيبها ، فالأمر عندي سيان .

وكان للرحبة حصن منيع وربض كبير ، ودورها من نحو البادية طيلسان.

٤٧ — الدَّالِيَة :

مدينة بشط الفرات في غربيه ، بين عانة والرحبة ، تعرف بدالية مالك بن طوق تمييزا لها عن غيرها ، من ديار مُضر ، وهي بلد صغير ، والرحبة والدالية قرب نهر سعيد الذي كان يخرج من يمين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسياء ، ويعود فيصب فيه فوق الدالية . وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد بن عبدالملك بن مروان ، وكان رجلا تقيا يلقب بـ : سعيد الخير ، وقد تولى الموصل حينا من الزمن .

وكانت الدالية أصغر من الرحبة ، حسنة ، فوق شرف من الأرض ، على شاطىء الفرات في غربيه كما ذكرنا .

٤٨ ـ الرصافة :

مدينة في البادية ، بين الرحبة والرقة ، على أربعة فراسخ من الرقة وفي غربيها ، على طرف البرية ، تعرف : رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة الى بانيها هشام بن عبدالملك بن مروان ، بناها لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها بالصيف •

وفي أخبار ملوك غسّان : «ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم » ، وهذا يدل على أنها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ، ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها • وعليها سور ، وليس عندها نهر ولا عين جارية ، انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور ، وربما فرغت في أثناء الصيف ، فلأهل الثروة من يمضي الى الفرات عصرا ، فيجيء بالماء في غداة غدٍ ، لأنه يمضي ثلاثة فراسخ أو أربعة ويرجع مثلها • وعندهم آبار طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعا وأكثر ، وهو مع ذلك ملح ردىء ، ولهم سويق عدة دكاكينه عشرة دكاكين ، ولأهلها حذق في عمل الأكسية ، وكل رجل فيها غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن ، وفيها دير عجيب •

وتقوم أطلال رصافة الشام ، على نحو مئتي كيلومتر من شرق مدينة حلب ، وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية ، وفي سفر الملوك الرابع (١٩ : ١١ ـ ١٢) ، ولم يبق من هذه المدينة غير أطلال في صحراء جرداء مقفرة •

٤٩ ـ الخانوقة :

مدينة في شرقي الفرات بين الرقة وقرقيسياء ، على يومين فوق قرقيسياء ، قرب الرقة ، وهي رزحة الحال ، لا أهمية لها •

٥٠ – عانَةُ :

بلدة مشهورة بين الرقة وهيت ، تعد من أعمال الجزيرة ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة (الحديثة) ، وبها قلعة حصينة ، وتقع على ضفة الفرات الغربية على بعد (٢١٢) كيلومترا شمال مدينة الرمادي .

وهي : (أناتو Anatho) القديمة ، وقد ورد اسمها في الكتابات المسمارية : (أناث) وفي المراجع الاغريقية بصورة : (أناثا) ، وفي الكتابات التدمرية : (عانة) ، وسماها الآراميون : (عانات) .

وكانت عانة المعسكر السابع والعشرين في الطريق الذي أنشأه الملك الآشوري توكلتي نينورتا الثاني (٨٨٩ – ٨٨٤ ق.م) ، فقد كان معسكره قبالة جزيرة (عانات) في أرض سوخي وهي عانة الوقت الحاضر ، وكانت عانة في الأصل تقوم على الجزر الخصبة ، ولم تكن في الأزمنة السابقة على ما هي عليه اليوم من امتداد على الساحل الأيمن للفرات ، ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات البدو فقط ، بل ان مركزها ساعدهم على اخضاع الجهات المجاورة ، لهذا كان الآشوريون عادة يولون سادة عانة حكاما على مقاطعة سوخي ، وكان الملك توكلتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزية من (ايلو ابني) رئيس سوخي الذي كان في بلدة أنات في وسط الفرات .

ولا زالت عانة بلدة عامرة على الفرات حتى اليوم ، وهي مركز قضاء تابع لمحافظة الأنبار .

٥١ – بالس :

مدينة في غربي الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب . وهي مدينة (بربالسس Barbalissus) عند الرومان ، وكانت فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم مركزا

لكثير من طرق القوافل •

وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال : « عليها سور أزلي ، ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات ، وأكثر غلاتها القمح والشعير» • وهي وان كان الخراب قد امتد اليها ، فقد قال المقدسي في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية : « انها مازالت عامرة » •

على أن ياقوت الحموي ذكر أن الفرات في المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) : «لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا ، حتى صارت بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال » ، ولمح أبو الفدا الى بالس فقال : « بلدة كانت مسكونة »•

٥٢ جسر — مَنْبِج :

على الفرات ، ومنه يصعد طريق يغرب الى منبج : (هيرابوليس Hierapolis) من أعمال حلب ، وكانت مدينة ذات شأن في القرون الوسطى •

وعند الجسر قلعة حصينة ، تحتها ربض عامر ، مطلة على الفرات ، ويقال لهذه القلعة : قلعة النجم ، لأنها على جبل ، وكانت تسمى أيضا : حصن منبج• ولما مر ابن جبير بقلعة النجم وهو آت من حرّان في سنة ثمانين وخمسمائة الهجرية (١١٨٤ م) قال في وصفها : «حولها ديار بادية ، وفيها سويقة» •

والقلعة من بناء السلطان نورالدين محمود بن زنكي ، وكانت مسلحة تشدد النكير على ما في يد الصليبيين من مدن في أيام الحروب الصليبية •

٥٣ — سُمَيْسَاط :

مدينة على شاطىء الفرات الغربي (الضفة اليمنى) ، وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب ، وكانت قلعة مكينة حصينة ، يسكن الأرمن قسما منها• وهذه المدينة قديمة ، وهي المدينة الرومية (سموساطا Samosata) .

٥٤ – سَرُوج :

بلدة قريبة من حرّان من ديار مُضر من بلاد الجزيرة ، بينها وبين حران مسيرة يوم ، كثيرة المياه والبساتين ، بها الرمان المفضل والكمثرى والخوخ والسفرجل ، وهي أيضا على مسافة يوم من البيرة في جهة الشرق والشمال عنها.

وكانت سروج على طريق القوافل من حرّان والرها الى جسر منبج ، وهي اليوم خراب •

ثالثاً : ديار بكر

٥٥ – آمِد :

مدينة قديمة حصينة من ديار بكر ، تقع على غربي دجلة أي يمينه ، يطل عليها جبل علوه خمسون قامة ، عليها سور أسود من حجارة الأرحية الصلبة يحيط بالتل المشرف عليه ، وعلو السور عشرون ذراعا وثخنه عشرة أذرع ، وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص ، وكل حجر منه يزن ما يعادل ثلاثة أطنان • وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بنى برج نصف دائري ، تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود ، وقد شيد في عدة أماكن من السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور ، وكانت في السور أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الأربع الأصلية : يسمى الباب الشرقي باب دجلة ، والشمالي باب الأرمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل •

وخارج هذا السور ، سور آخر من الحجر نفسه ، علوه عشرة أذرع ، وفي الفصيل بينهما ربض كالحلقة عرضه خمس عشرة ذراعا ، وكان من فوق هذا السور شرفات ومرقاة للدفاع ، وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل ، فلا أحصن من آمد ولا أجل منها •

والجامع في وسط المدينة ، وفيها عيون كثيرة ، وفي وسط المدينة عين

يتفجر ماؤها من الحجر الأصم ، وهذا الماء من الغزارة مايكفي لادارة خمس أرحاء ، وهو غاية في العذوبة ، وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء .

ومسجدها الجامع جميل البناء ، وهو من الحجر الأسود كسائر المدينة ، وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر ، كل سارية قطعة واحدة ، ويعلو هذه السواري عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك ، وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون . وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر ، في وسطه أنبوب من النحاس ، ينفر منه ماء صاف ، فيبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الأوقات . وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة ، مبنية كلها من الحجر ، وقد فرشت أرضها بالرخام ، وجدرانها غنية بالزخارف .



أسواقها حسنة عامرة ، كثيرة الأشجار والبساتين .

٥٦ ـ حانِي :

اسم مدينة معروفة بديار بكر ، فيها معدن الحديد ، ومنها يجلب الى سائر البلاد ، تقع شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعالي دجلة .

٥٧ ـ ميّافارقين

مدينة بدياربكر ، وهي قاعدة دياربكر ، مثل نصيبين في احداق المياه والبساتين بها ، وبها قبر سيف الدولة بن حمدان .

والظاهر أن ميافارقين العربية تحريف لاسم : (ميفركت Maypharkath) الآرامي ، أو : (موفركن Movfargin) الأرمني ، وسماها اليونان : (مرتيروبولس Martyropolis) .

وهي مدينة طيبة حصينة ، عليها سور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الحجر منه نحو طن ونصف الطن • وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الأسود ، كانت مباني هذه المدينة كلها من الحجر الأبيض ، وفي أعلى السور شرفات ، وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه • ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ، ركب فيه باب من حديد لاخشب فيه ، وكان في المدينة مسجد جامع حسن البناء ، ومسجد ثان في الربض ظاهر المدينة يقوم في وسط الأسواق ، ويليه بساتين كثيرة •

وفي ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميافارقين مدينة أخرى تسمى : (المُحدَثة) ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها ، وعلى أربعة فراسخ من ميافارقين مدينة : (النّصرِيّة) بناها سعدالدين نصر الدولة أبو نصر أحمد•

٥٨ — أَرْزَن :

مدينة مشهورة على شيء يسير من ميافارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له : سربط ، أحد روافد دجلة ، مأخذه من ظهر أبيات أرزن •

ولأرزن حصن منيع عظيم ، وهي عامرة فيها أسواق حسنة ، وتحفّ بها بساتين يانعة كثيرة الماء •

وينبغي ألا يخلط بين أرزن هذه ، وبين أرزن الروم أو أرضروم التي ذكرناها في موضعها في بلاد الروم وفي مدن الفرات الاعلى من هذا البحث •

٥٩ — حِصْن كَيْفا :

بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من دياربكر ، وهي ذات جانبين ، وعلى دجلتها قنطرة عظيمة ، وهي طاق واحد ، يكتنفه طاقان صغيران •

سماها الروم : (كيفس Kiphas) أو (كيفي Cephe) •

وللمدينة ربض عامر ، فيه الأسواق والفنادق والمساكن الحسنة ، وبناؤهم بالحجر والجص ، ولها ضياع حسنة وأسواق ، ولها مزارع وضياع كثيرة •

٦٠ – فَافَان :

مدينة على ضفة دجلة الشمالية أي اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا ، حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وحول المدينة بساتين ، وأسواقها عامرة ، وبناؤها من طين •

وباسم المدينة سمي : تل فافان ، يلتقي بدجلة عنده النهر الذي ينحدر من بدليس وينبع من جبال ارمينية جنوب غربي بحيرة (وان) • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب بحيرة (وان) اسمه : نهر الرَّزْم ، ويصير دجلة أسفل اقترانهما في مجرى واحد صالحا لسير السفن •

٦١ – سِعِرْت – إسْعِرْد – إسْعِرْت :

مدينة على نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، وهي على جبيل بالقرب من نهر دجلة في شماليه الشرقي ، تبعد من ميافارقين مسيرة يوم ونصف اليوم ، وميافارقين في شمال سعرت ، وسعرت جنوبها ، وتبعد عن آمد أربعة أيام وسعرت في الجنوب من آمد ، ويحيط بسعرت الجبال ، ولها الاشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم بدون سقي بل تعيش ديمية على المطر •

وهي مدينة عظيمة مشهورة بآنيتها النحاس الفاخر التي يصنعها الصفارون المهرة هناك ، وبأقداح الشرب التي تستورد منها ، وتعد من ديار بكر •

٦٢ – حِيزان :

بلد قرب اسعرت من ديار بكر ، يكثر فيه الشجر والبساتين والمياه الغزيرة ، فيها الشاه بلوط والبندق ، وليس الشاه بلوط في شيء من بلاد العراق والجزيرة والشام الا فيها .

٦٣ – الهتّاخ :

قلعة حصينة قرب مَيافارقين من ديار بكر .

مُدُن الفرات الاعلى

٦٤ – منَازْجِرْد :

بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد في ارمينية ، على نهر أرسناس (مراد صو) ، وتعرف أيضاً : مَلاَزْكِرْد ، ومَنَزْكِرْت ، ومَلاَسْكِرد ، ومَلَسْجِرْد ، وكانت في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين .

وفي هذا البلد وقعت سنة ثلاث وستين وأربعمائة الهجرية (١٠٧١م) معركة حاسمة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجينس) ، وأدت هذه المعركة الى فتح آسية الصغرى وقرار السلاجقة فيها .

هواؤها طيب ، وأرضها خصبة .

٦٥ – مُوْش :

مدينة تقع في جنوب نهر أرسناس (مرادصو) في السهل العظيم غرب

بحيرة (وان) ، من ناحية خلاط بارمينية .

فيها مراعٍ غنية ، تسقيها أنهار تجرى شمال الفرات الشرقي وجنوب دجلة ، وهي اليوم خراب .

٦٦ – شِمْشَاط :

مدينة ذات شأن ، لا وجود لها اليوم ، تقع على نهر أرسناس (مرادصو) ويسمى نهر شمشاط أيضاً ، في الضفة الجنوبية من النهر أي اليسرى ، وكان اسمها : (ارسموساطا Arsamosata) عند الروم ، وهي غير سميساط .

٦٧ – حِصْن زِياد :

حصنٌ بأرض ارمينية ، ويعرف بـ : (خَرْتَبِرْت) ، في أقصى دياربكر من بلاد الروم ، بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات ، يقع بين آمد وملطية وهو الى ملطية أقرب ، على بعدٍ غير بعيد من شِمْشَاط ، وخرتبرت تعرف اليوم باسم : خربوط .

٦٨ – أَرْزَن = أَرْضَ روم = أَرْزَروم :

مدينة جليلة سماها العرب : أرزن الروم ، من ارمينية ، وعرفها الارمن Karin [illegible]) ، والروم باسم : (ثيودسيو بولس Theodasiopolis) فيها جامع شيد على غرار الكعبة المشرفة ، وبازائه كنيسة لها قبة قطر دائرتها خمسون ذراعاً ، وفي أكثر دورها بساتين ، ويسقيها ثلاثة أنهار .

٦٩ – أُونِيك = أبخور = أبشخور :

قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من منبع نهر الرس ، والمدينة التي بلحف الجبل كانت تسمى : ابسخور (أو أبشخور) ، وكانت من أعمال أرزن

الروم ، وكانت كورتها تسمى : ياسبن •

٧٠ – أَرْزَنْجان :

بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات والأهل ، من بلاد ارمينية ، بين بلاد الروم وخلاط ، قريبة من أرزن الروم ، وغالب أهلها أرمن ، وفيها مسلمون • تقع على نحو مئتى ميل غرب أرزن الروم ، على ضفة الفرات اليمنى أي الشمالية ، ويسميها أهلها : ارزنكان • جُددت أسوارها في المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) ، فبنيت بالحجارة المهندمة المتلاحمة ، ذات هواء طيب ، ويكثر فيها القمح والقطن والعنب ، وفيها معدن النحاس يصنعون منه الأواني وغيرها ، ولها أسواق حسنة الترتيب ، ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها •

٧١ – بَابِرْت :

قرية حسنة كبيرة ، ومدينة حسنة من نواحي أرزن الروم ، من نواحي ارمينية ، تقع في شمالي أرزنجان •

٧٢ – كَمْخ :

مدينة وقلعة على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسْفل أرزنجان ، في يسار النهر أي في ضفته الجنوبية ، وهي : (كمخا Kamcha) عند الروم • وهي قلعة عظيمة في أسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبة •

٧٣ – قلعة إبريق = الأبْرُوق :

على ستين ميلا أو أكثر غرب كمخ ، يزورّ الفرات جنوباً بعد أن كانت وجهة مجراه من أرزن (ارزروم) نحو الغرب ، ويصب في ضفته اليمنى هنا

نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة في أعاليه ، وهذا هو النهر المعروف الآن بنهر (جلته ايرمق) الآتي من دوريك أي ديوريكي ، وجاء الاسم في بعض المصادر دفريكي• وقدكتبه الروم بصورة : (تفريك Tephrike) ، وذكر الاسم في المخطوطات اليونانية بصورة : (أفريك Aphrike) ، فاختصر البلدانون العرب هذا الاسم فجعلوه بصورة : ابريق •

واشتهر هذا الموضع في ختام المئة الثالثة الهجرية (التاسعة الميلادية) بكونه معقلاً عظيماً للبيالقة (Paulicians) وهم فرقة غربية من فرق نصارى الشرق ، ومذهبهم بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثودكس اضطهاداً شديداً • وكانوا على المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي ، وعرفهم العرب بالبيالقة • وقد استولى البيالقة على تفريك وحصنوها ، وكان الخلفاء يؤازرونهم ويعينونهم ، فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين •

٧٤ ـ قلعة عرب كير :

تقع على شيء يسير من جنوب نهر جلتة ايرمق وديوريك ، بالتقاء نهر صاري جيجك بالفرات ، والقلعة على نهر صاري جيجك ، واسمه البيزنطي (Arabraces) ، وهي ليست ابريق وتفريك ، وتسمى اليوم : مدينة ريوريكي ، وهو حصن للبيالقة أيضاً ، كالحصن السابق •

ويبدو أن هذه المدن كانت مسالح متقدمة للثغور الاسلامية التي سنذكرها وشيكا ، تصد الغزاة الروم الذين يتعرضون بالحدود الشمالية الشرقية للدولة الاسلامية •

الثغور الجزرية (*)

١ — مَلَطْيَة :

تقع في الجنوب من سيواس وبينهما نحو ثلاث مراحل ، في شمالي زِبَطْرَة وبينهما مرحلة كبيرة، وهي قاعدة الثغور ومن أجلّ الثغور الاسلامية أمام الروم ، وقد سماها الروم : (ميلتين Melitene) .

كان لها مسلحة تحمي الجسر الذي على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القُباقِب بالقرب من ملتقاه بالفرات ، والقباقب هو النهر المعروف عند الروم باسم : (ملاس Melas) ويسميه الترك اليوم : (طوخمه‌صو) ، ومنبعه من قرب ملطية بعيداً عنها في الجبل الذي منه يخرج نهر جيحان ، وهو نهر : (بيرامس Pyramus) القديم الذي ينحدر نحو الجنوب الغربي الى البحر الأبيض المتوسط في خليج الاسكندرونة .

ونهر القباقب ، أهم روافد أعالي الفرات بعد أرسناس ، ولنهر القباقب روافد كثيرة .

---

* الثغور : مدن لها موقع سوقي على الحدود بين الدولة الاسلامية والبلاد المعادية ، تشحن بالمدافعين عنها ، وواجبها صد أي اعتداء خارجي على البلاد الاسلامية ما استطاعت ، والا تعويق تقدم القوات المعادية الزاحفة بما يصل اليها المدد من القوات الاسلامية الضاربة ، كما تكون هذه الثغور قواعد متقدمة للانطلاق منها الى فتح المدن .
ولما آلت الخلافة الى هارون الرشيد الخليفة العباسي جعل لهذه الثغور ادارة مستقلة ، وسماها : العواصم ، وجعلها تابعة للجيش ، وقسم الثغور الى ثغور شامية وثغور جزرية ، انظر ابن الأثير (٦/١٠٨–١٠٩) .
والمراد بالعواصم هنا ، المدن التي تعصم من العدو وكان المسلمون في أيام قوتهم يتخذون الهجوم للدفاع عن حدودهم ، فهم يهاجمون العدو قبل أن يفسحوا المجال له لمهاجمته ، ومن المعروف أن الهجوم خير وسائل الدفاع .

وقد أمر الخليفة المنصور سنة أربعين ومئة الهجرية (٧٥٧م) عبدالوهاب ابن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، بتجديد بناء ملطية وبناء مسجدٍ حسنٍ فيها ، وبنى لها مسلحة ، فأقام عليها سنة حتى بناها واسكنها أربعة آلاف مقاتل ، وغزا الصائفة •

وهي مدينة كبيرة مسورة في بسيط من الارض ، تحف بها الجبال من بُعد ، ولها نهر عليه بساتين كثيرة يسقيها ، وجبالها كثيرة الجوز وسائر الثمار المباحة التي لا مالك لها ، ويمر نهرها بسور البلد ، وهي شديدة البرد •

ولملطية قنى تدخل البلد ، وتجرى في دوره وسككه •

وقد تعاورت ملطيةأيدي المسلمين والروم، بين كرّ و فرّ ،وقد احتلها الروم سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة الهجرية (٩٣٣م) ، فاستعاد المسلمون فتحها •

وهي ذات حصن منيع ، ومراعيها مشهورة ، ويكثر فيها القمح والقطن والفواكه كالجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية * •

٢ ـ طُرَنْدة :

حصن طرندة ، في أعالي نهر القباقب ، على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية ، وكانت مسلحةً اسلامية لحماية الدرب منذ فتحها عبدالله بن عبدالملك ابن مروان سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٥٢) ، ولكنهم تخلوا عنها سنة مئة الهجرية (٧١٩م) بأمر عمر بن عبدالعزيز ونقلوا أهلها الى ملطية ، لانها كانت داخلة في بلاد الروم متغلغلة بالعمق في أرضهم ، فخاف عمر بن عبدالعزيز على

---

* اما ملطية الحديثة ، فتقع على فرسخين من جنوب حصن طرندة الذي كان في العصور الوسطى قاعا ، واطلال المدينة القديمة في (أسكي شهر) على فرسخ من الجسر القديم المسمى : (قرقكز) وهو يعلو نهر (طوخمه‌صو) فوق ملتقاه بالفرات بقليل .

المسلمين الذين فيها من الوقوع في أيدي الروم .

واسمها في المراجع البيزنطية : (ترنتة Taranta) ، واسمها حالياً : درندة ، وكانت قديماً قبل فتحها من أقوى حصون البيالقة .

٣ – زِبَطْرَة :

مدينة بين ملطية وسُمَيْسَاط والحدث، في طرف بلاد الروم، واشتهرت بحصنها العظيم ، على نهر قراقيس ، وهو رافد كبير من روافد نهر القُباقب ، يصب في جنوبه ، وتقع في أعالي نهر قراقيس .

ويقال لزبطرة عند الروم : (سوز بطرة Sozopetra) أو : (زبطرة Zapetra) ، ولعل أطلالها هي : (ويران شهر) على بضعة فراسخ من جنوب ملطية على نهر : (سلطان صو) ، وهو الاسم الحديث لنهر قراقيس .

والحصن عظيم ، من أقرب الثغور الى بلد الروم ، خرّبه الروم غير مرة، ثم بناه الخليفة أبو جعفر المنصور وبعده الخليفة المأمون .

واشتهرت زبطرة في التواريخ العربية والبيزنطية باستيلاء الملك البيزنطي : (ثيوفيلس Theophilus) عليها ، واستعادة الخليفة المعتصم لها في حملته على عمورية ، فقال أبو تمام يمدح المعتصم :

لبَّيْتَ صوتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لـه
كأسَ الكَرَى ورُضابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

٤ – الحَدَث :

قلعة حصينة تقع بين ملطية وسُميساط ومَرعش ، وتسمى الحمراء ، لأن تُربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال لـه : الأُحيدب ، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدي حبيب بن مسلمة

الفِهري من قِبَل عياض بن غَنْم ، وكان معاوية بن أبي سفيان يتعاهدها بعد ذلك •

وكان بنو أمية يسمون درب الحدث : درب السلامة للطيرة ، لان المسلمين سبق أن أصيبوا به ، وكان ذلك الحدث الذي سمى بـه الحدث فيما يقـول بعضهم ، ومعنى الحدث في اللغة : الخبر ، ولا سيما الخبر المحزن •

ولما كانت فتنة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميـة ، خرجت الروم ، فقدمت مدينة الحدث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بملطية ، ولكن المسلمين استعادوا فتح ما استولى عليه الروم سنة احدى وستين ومئة الهجرية (٧٧٨م)، وجدد المهدي الخليفة العباسي عمارة الحدث سنة اثنتين وستين ومئة الهجرية (٧٧٩م) ، ثم أعاد الخليفة هرون الرشيد عمارتها من جديد ، وأسـكنها ألفي مقاتل من جنده •

وقد تناوب المسلمون والروم عليها غير مرة ، وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة الهجرية (٩٥٤م) بعد أن تعاورتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني وأعاد عمارتها ، فقال المتنبي عند لك :

هل الحَدَثُ الحمراءُ تعـرفُ لونَهـا
وتعلـم أي السـاقيَين الغمـائمُ
بنـاها فأعلى والقَنـا يَقـرَع القَنـا
ومـوجُ المنايـا حولهـا متلاطِـمُ
طريـدة دهـرٍ سـاقها فردَدتَهـا
على الديـن بالهنـدي والأنـف راغـم
لقيـتُ الليـالي كـلَّ شـيء أخذنـه
وهـنَ لمـا يأخُـذنَ منـك غـوارم

ثم انتقلت الحدث الى يد مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي في سنة خمسٍ وأربعين وخمسمائة الهجرية (١١٥٠ م) .

والحدث هي : (أداتا Adata) عند الروم .

وكان النهر الذي تقوم الحدث بالقرب منه يسمى : نهر حُوَيرث الذي يصب في نهر جَيحان (بيرامس) ، وكان في الحدث مسجد جامع .

٥ – حِصْنُ مَنْصُور :

من أعمال ديار مُضَر في الجزيرة ، ولكنه في غربي الفرات قرب سُميساط ، وكان مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب ، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران ، ومن حصن منصور الى زِبَطرَة مرحلة واحدة .

والحصن على نهر له ، والنهر من الروافد اليمنى للفرات ويصب فيه أسفل سُميساط ، ويقال لحصن منصور اليوم في الغالب : (أديمان) ، وكان الروم يسمونه : (برها Perrha) .

وقد نسب هذا الحصن الى بانية منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي ، كان تولى بناء عمارته ومرمته ، وكان مقيما به أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الجزيرة والشام وارمينية ، وكان منصور هذا على أهل الرها حين امتنعوا في أول الدولة العباسية ، فحصرهم أبو جعفر المنصور وهو عامل أخيه السفاح على الجزيرة وارمينية ، فلما فتحها هرب منه منصور ، ثم أمن فظهر ثانية . ولما خلع عبدالله ابن علي أبا جعفر المنصور ، ولى منصورا هذا شرطته ، وحين اخفقت ثورة عبدالله بن علي وهرب الى البصرة ، استخفى منصور بن جعونة ، فدل عليه سنة احدى وأربعين ومئة الهجرية (٧٥٨م) ، فأتى به المنصور ، فقتله بالرقة عند منصرفه من البيت المقدس .

ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال في أيام أبيه المهدي .

وأصاب هذه المدينة ما أصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب ، لتعاور أيدي المسلمين والروم لها ، حتى أصبح هذا الحصن في المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) خرابا ، حوله مزدرع من الأرض ، وقد كان مدينة صغيرة حصينة فيها منبر ولها مزارع وقرى تسقى بالمطر ، وكانت في مستوى من الأرض ، فوق الفرات الذي يحاذي حدها الجنوبي .

٦ ـ قلعة بَهَسَنا :

تقع غرب حصن منصور ، بقرب مَرعش وسميساط ، على سن جبل عال ، والبلدة التي تحتها فيها جامع ، ولها أسواق عامرة ، وما حولها أرض واسعة الخير والخصب . والقلعة حصينة عجيبة . وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما أسماه الروم : (ســنكز Singas) ، تقع سنجة وهي مدينة صغيرة ، بقربها قنطرة مشهورة على هذا النهر ، مبنية بحجر مهندم ، وهي طاق واحد ، وليس أعجب ولا أعظم منها ، ويضرب بها المثل ، باعتبارها احدى عجائب الدنيا .

وجاء ذكر قلعة بهسنا في أخبار الحروب الصليبية باسم : (بهسدن Behasdin) ، وكانت مدينة بهسنا على نهر من روافد الفرات اليمنى .

الجبال والأنهار

١ ـ الجبال :

في اقليم الجزيرة جبال عالية وسهول خصبة وبواد قليلة المياه واضحة الجفاف .

وأهم ما في هذا الاقليم من جبال هو : جبل سنجار ، بين الخابور ودجلة ،

يبلغ ارتفاعه (٤٨٠٠) قدما . وجبل ابراهيم ، يبلغ ارتفاعه (١٧٥٣) قدما . وجبل مكحول يبلغ ارتفاعه (١٦٠٠) قدماً .

وهذه الجبال الثلاثة تقع في غربي دجلة .

أما في شرقي دجلة ، بين دجلة والزاب الكبير ، فهناك جبل باعشيقا يبلغ ارتفاعه (٢١٧٧) قدما ، وجبل مقلوب ، يبلغ ارتفاعه (٣٤٨٣) قدما .

وهناك جبال منفردة أخرى ، بين الزابين الكبير والصغير ، وبين هذا الاخير والحدود العراقية الايرانية الحالية .

وعلى العموم ، فان جبال هذا الاقليم ليست مرتفعة ولا شاهقة ولا وعرة، وتقع الجبال الشاهقة في شمالي هذا الاقليم بصورة خاصة .



٢ ـ الأنهار :

ينبع نهرا دجلة والفرات من الشمال الشرقي لمنطقة اقليم الجزيرة ، وتتصل روافدهما بهما من الجهة اليسرى من النهرين : دجلة والفرات .

ينبع نهر الفرات من الجبال الواقعة بين بحيرة (وان) في جبال ارمينية وبين البحر الأسود ، عند خط العرض (٤٠) شمالا في بلاد الروم ـ كما كان يعبر الجغرافيون القدامى (تركيا حاليا) .

ويتمتع الفرات ـ على عكس دجلة ـ بأهم روافده قبل دخوله الحدود العراقية وأهمها : رافدا البليخ [٥] والخابور .

(٥) البليخ : اسم نهر بالرقة ، يجتمع فيه الماء من عيون ، واعظم تلك العيون عين يقال لها : الوهبانية في ارض حران ، فيجري نحو خمسة اميال ، ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبدالملك حصناً يكون اسفله قدر جريب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣) .

ويبدو أن المسعودي [٦] كان أكثر دقة في استمكان منبع الفرات ، حيث ذكر أن مبدأ الفرات من جبال ارمينية : «على نحو يوم من قاليقلا شمال أرضروم » ، والمسعودي على صواب ، اذ أن منبع الفرات الاصلي هو (قرەصو) كما هو معروف ، وقاليقلا مدينة تعد من مدن ارمينية الرابعة [٧]، تقع بالقرب من الحدود الشرقية البيزنطية في هضبة ارمينية الغربية التي تتصل بهضبة الانضول في أرض سهلة مستوية [٨] .

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، ويمر بجبال السلسلة ثم بمدينة آمد ومدينة ميافارقين في ديار بكر قبل أن يصل الى مدينة الموصل الحدباء في ديار ربيعة ، حيث يتصل به رافداه : الزاب الكبير ، والزاب الصغير ، ثم يتجه الى تكريت غربي ديار بني شيبان حتى يصل الى بغداد .

ومنبع الزابين : الكبير والصغير ، من جبال ارمينية ، ويصب الزاب الكبير في دجلة بمدينة الحديثة ، ويصب الصغير في دجلة أيضا بمدينة السن [٩] .

تلك هي مجمل أنهار اقليم الجزيرة ، لاعطاء فكرة موجزة عما تضم هذه المنطقة العريقة من أنهار .

(٦) مروج الذهب للمسعودي (٦١/١ ــ ٦٢) .
(٧) فتوح البلدان (٢٧٢) .
(٨) الموقع الجغرافي للعراق (٢٩٥) .
(٩) الدولة الحمدانية (١٢٧/١ ــ ١٢٨) .

السكان

١ ـ العرب

العرب هم أغلب سكان اقليم الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، وكانوا مزيجا من قبائل مُضَر وربيعة العدنانيين ومجموعات قبلية أخرى عدنانية وقحطانية، استقرت هناك نتيجة هجرات متتابعة في أزمان مختلفة قبل الاسلام بعدة قرون.

فقد ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب ، فانطلقوا هاربين ، ولحقت طائفة منهم ببعد من الارض ، فقيل لعمر : «أنشدك الله في بني تغلب ، فانهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يُعِن عدوك عليك بهم» ، فأرسل عمر في طلبهم ، فردّهم وأضعف عليهم الصدقة ، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : «أما اذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانّا نرضى ونحفظ ديننا » (١٠) . وكان الامام الزُهري يقول : « ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة، الاّ نصارى بني تغلب ـ أو قال : نصارى العرب ـ الذين عامة أموالهم المواشي ، فان عليهم ضعف ما على المسلمين»(١١) ، وهذا دليل على ان العرب كانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي .

ويبدو أن أهم القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام ، كانت : تغلب ، واياد ، والنمر (١٢) ومُضَر .

وبنو تغلب هم : تغلب بن وائل بن قاسِط بن هِنب بن أفصى بن دعمى

(١٠) البلاذري (٢٤٩ ـ ٢٥١) .
(١١) البلاذري (٢٥١) .
(١٢) ابن الاثير (٢/٥٢٣) .

ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [١٣] ، وهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [١٤] .

واياد بن معد بن عدنان [١٥] ، واياد بن نزار بن معد بن عدنان [١٦] .

والنمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [١٧] .

أما مُضَر ، فهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومضر واياد وربيعة اخوة ، فهم أبناء نزار بن معد بن عدنان [١٨] ، وبنو تغلب من ربيعة أيضا كما ذكرنا .

وقد أطلقت المراجع الفارسية على منطقة نصيبين وما حولها اسم : (عربستان) أي بلاد العرب ، كما أطلق سترابو اسم بلاد العرب على اقليم الجزيرة الواقع جنوبي المنطقة الكردية والتي تمتد حتى الصحراء [١٩] .

ويبدو من تتبع تاريخ امارة (الحضر Hatra) التي مازالت آثارها ماثلة للعيان في منخفض من بادية جزيرة العراق على مقربة من الضفة الغربية لوادي الثرثار بين تكريت والموصل ، أن العرب عاشوا هناك منذ سقوط دولة الآشوريين في سنة (٦١٢) قبل الميلاد ، وأنهم أقاموا سلالة حاكمة. ان وجود آلهة عربية عُبدت في الحضر أيام الآشوريين الى جانب الآلهة

(١٣) جمهرة انساب العرب (٤٦٩) .
(١٤) جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٥) جمهرة انساب العرب (٩ و ٣٢٧ – ٣٢٨) .
(١٦) جمهرة أنساب العرب (١٠) .
(١٧) جمهرة أنساب العرب (٣٠٠) .
(١٨) جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٩) الدولة الحمدانية (١٩٥/١) .

الآشورية ، أتى بها العرب من جزيرتهم كاللّات وشمش يقف دليلا على وجود العرب في المنطقة قبل الميلاد بقرون ، وقد حكمت في الحضر سلالة عربية مدة ثلاثة قرون ، وكان أول حكامها أميرا عربيا اسمه سنطروق ورد ذكره في كتابة اكتشفت هناك نصت على أن أباه اسمه : نصر ، وأن لقبه : ملك العرب[٢٠] ، ويبدو ان حكام هذه الامارة كانوا من قبيلة قُضاعة [٢١] .

وقضاعة هو : قضاعة بن عَدنان ، وقال قوم : قضاعة بن مالك بن حمير ، وقال قوم منهم الكلبي : هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِميَر [٢٢] .

يقول ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة الحضر : «ان بني قضاعة لما افترقوا ، سارت قبيلة منهم الى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له الضيزن ابن جلهمة أحد الاحلاف ، فنزلوا مدينة الحضر »[٢٣] ، والضيزن من العرب من قضاعة ، وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخَع ابن سليح بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وان أمه من تزيد بن حلوان اسمها : جيهلة [٢٤] ، وانه كان يعرف بأمه ، وكان ملك الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاعة مالايحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام [٢٥] .

وظل الضيزن على عرشه حتى نشب عداء بينه وبين سابور بن أردشير

(٢٠) الحضر ـ نشرة لمديرية الآثار العامة ـ بغداد .
(٢١) الطبري (٢/٤٧) وابن خلدون (٢/٢٤٩) .
(٢٢) جمهرة أنساب العرب (٤٤٠) .
(٢٣) معجم البلدان (٣/٢٩٠) .
(٢٤) في معجم البلدان : جلهمة ، وفي الأغاني : جبهلة .
(٢٥) الطبري (٢/٤٧) .

ملك الساسانيين أسفر عن مقتل الضيزن وسقوط امارة الحضر بيد الساسانيين وتشتت قضاعة وبني حلوان ممن كانوا في الحضر [٢٦] .

وبنو حلوان ، ينتسبون الى حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة[٢٧] .

والمهم هو تأكيد وجود قبائل قضاعة في الحضر يوم حاصرها سابور الاول (٢٤١ م — ٢٧٢م) .

وأضخم هجرة عربية الى الجزيرة ، هي تلك التي حدثت في القرن السابع الميلادي ، وتفصيل الأمر ، أن ربيعة العدنانية بعد أن خرجت من سلطة اليمن في أواخر القرن الخامس الميلادي وخلعت طاعتها ، وأصبحت قائدة لقبائل معد من قضاعة ومضر واياد ونزار ، بدأت بينها وبين حلفائها من القبائل الاخرى ، وبين بطونها هي نفسها ، وقائع وحروب أدت الى كثير من المآسي. أما الذي يهمنا هنا ، فهو ما أعقب ذلك من هجرات قبلية كبيرة الى الجزيرة ، هي التي أعطتها تكوينها البشري النهائي وأسماء مناطقها : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر ، فالحروب التي جرت بين بكر وتغلب من قبائل ربيعة ، وأهمها حرب البسوس [٢٨] من أيام العرب بين بكر وتغلب ، والوقائع التي جرت بين شيبان وتغلب من ربيعة أيضا [٢٩] ، والتي جرت بين قبائل ربيعة ومضر ، وبين قبائل مضر ذاتها وبخاصة حرب داحس والغبراء [٣٠] ، وبين عبس وذبيان [٣١] ، كل ذلك أدى الى هجرات متتالية الى البلاد المجاورة ومنها

(٢٦) انظر التفاصيل في الطبري (٤٨/٢ — ٥٠) ومعجم البلدان (٢٩١/٣) .
(٢٧) جمهرة أنساب العرب (٤٥٠) .
(٢٨) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١٤٢/١ — ١٦٨) .
(٢٩) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١٦٩/١ — ٢٢٨) .
(٣٠) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (٢٢٩/١ — ٣٠٩) .
(٣١) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (٢٣٠/١ — ٢٩٩) .

الجزيرة ، بسبب البحث عن أرض جديدة وعيش أكثر رخاء [٣٢] .

واذا أردنا أن نتعقب هجرة هذه القبائل العدنانية ، نجد أنها تحركت أول الأمر من موضعها في شبه الجزيرة العربية ، فتركت ثلاث بطون من ربيعة أماكنها في تهامة والحجاز ونجد وهي تغلب بن وائل ونمير بن قاسط وشيبان ابن بكر بن وائل أخ تغلب ، واستقر هؤلاء جميعا في حدود مملكة اللخميين في الحيرة ، على حين استوطنت جماعات منهم بين الكوفة والبصرة قبل أن تبنى هاتان المدينتان الاسلاميتان . ونجد أن تهامة تضيق عن أنمار بعد حرب بينها وبين مضر ، فتنزح عن مواطنها ، ثم نزحت اياد بعد حرب على ربيعة ومضر ، فنزل بعضهم الجزيرة وتكريت والموصل [٣٣] حيث سبقهم الى اقليم الجزيرة بنو عمهم من بكر بن وائل وغيرهم . وبعد حرب حاسمة بين بكر وتغلب هزمت تغلب التي كانت متزعمة على قبائل ربيعة وبيدها لواؤها ، فتفرقت في الأصقاع ، فانحازت النمر وغفيلة ، وغفيلة هم بنو عامر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [٣٤] ، انحازوا الى أطراف الجزيرة وعانات ومادونها الى ديار بكر وماخلفها من بلاد قضاعة[٣٥] ، على حين استقرت بكر في مناطق كثيرة من الجزيرة ، واستقرت بعض بطونها في ديار بكر من اقليم الجزيرة . وبعد خروج ربيعة ظلت مضر وحدها في منازلها بتهامة ، حتى كثرت أعدادها وضاقت بهم مساكنهم ، فخرجوا يبحثون عن أرض جديدة،

---

(٣٢) الدولة الحمدانية (١/١٦٧ ـ ١٦٩) .
(٣٣) البكري (٧) .
(٣٤) جمهرة أنساب العرب (٣٠٠) .
(٣٥) بلاد قضاعة : كانت مساكن قضاعة ومراعي اغنامهم جدة ميناء مكة المكرمة الواقعة على البحر الأحمر فما دونها شرقا الى منتهى ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة الى حيز الحرم من السهل والجبل .
(٣٦) الدولة الحمدانية (١/١٧٠) .

والاقتتال في أثناء ذلك يزداد حدة بين قبائلها ، والذي يهمنا أن بعض قبائل مضر استقرت في الجزيرة ، ومنها : نمير ، وعقيل ، وقشير ، وتميم ، وعمرو بن مالك وسليم وغيرهم [٣٧] .

ونُمير ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة [٣٧] بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر [٣٨] .

وعُقَيل ، هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٣٩] .

وقُشَير ، هم بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٤٠] .

وتميم ، هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن مضر [٤١] .

وعمرو بن مالك ، هو عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد [٤٢] اليمانية .

وسُلَيم ، هم بنو سليم بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد[٤٣] اليمانية .

لقد كانت جذور العرب في الجزيرة عريقة جدا ، تمتد الى بضعة قرون قبل الاسلام ، وكانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، فلا عجب أن يتمسك

(٣٧) جمهرة انساب العرب (٢٧٩) .
(٣٨) جمهرة انساب العرب (٢٧١) .
(٣٩) جمهرة انساب العرب (٢٩٠) .
(٤٠) جمهرة انساب العرب (٢٨٩) .
(٤١) جمهرة انساب العرب (١٩٨ و ٢٠٧ و ٤٦٦) .
(٤٢) جمهرة انساب العرب (٣٨٠ - ٣٨١) .
(٤٣) جمهرة انساب العرب (٣٨١) .

عرب الجزيرة بالسجايا العربية والمثل العربية العليا ، ويحرصون على الدفاع عن السجايا العربية ومثل العرب العليا .

وكان عرب الجزيرة ، قبل الفتح الاسلامي ، وقبل الاسلام ، يشكلون الأكثرية المطلقة بين مختلف عناصر السكان ، لذلك كانت لهم امارات ودول وجيوش وحضارة ، وسيطروا على الطرق التجارية التي تمر عبر الجزيرة من الشمال الى الجنوب ، ومن الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق .

٢ ـ الأكراد :

سكن الاكراد اقليم الجزيرة منذ القدم ، وكانوا عنصرا مهما من عناصر سكانها ، اشتهروا بقوة أبدانهم وشدة بأسهم وقدرتهم الحربية التي اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة .

والآثار القديمة الخاصة بالاكراد ، المكتشفة حتى اليوم ، لاتعطينا فكرة قاطعة عن أصل الاكراد ومنشئهم (٤٤) ، ومن المحتمل جدا أن الاكراد هاجروا في الاصل من شرقي ايران الى الغرب في منطقة كردستان واستوطنوا فيه منذ فجر التاريخ ، وهذا لايمنع وجود أقوام في تلك المنطقة قبل هجرة الاكراد اليها ، فاختلط الشعب الوافد بتلك الاقوام واندمج فيها اندماجا كليا ، فصاروا أمة واحدة على مدى الايام (٤٥) .

وكان الاكراد قبل الاسلام يدينون بالعقيدة الزردشتية التي ظهرت في فارس وميديا ، فلما ظهر الاسلام وانتشر في اقليم الجزيرة ، اعتنقه الاكراد وأخلصوا له واندمجوا في المجتمع الاسلامي الكبير الذي ضم عديدا من

(٤٤) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (٤٠) .
(٤٥) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (٤١) .

الاجناس والاقوام .

ويذكر قسم من المؤرخين العرب ، أن أصل الاكراد من العرب[٤٦] ، ولا دليل على ذلك . وليس معنى هذا ، أنه لايوجد العنصر العربي في الاكراد، فالواقع أن قسما من القبائل العربية جاورت الاكراد ردحا طويلا ، فاندمجت بهم اندماجا كاملا في العادات واللغة . وكمثال على ذلك ، فقد نزل مدينة حلوان القريبة من خانقين قوم من ولد جرير بن عبدالله البجلي [٤٧] ، فأعقابهم بها [٤٨] ، أي أن قبيلة بجيلة العربية أو قسما منها نزلت منطقة خانقين وحلوان في أيام الفتح الاسلامي ، واليوم في هذه المنطقة قبيلة كردية باسم : (باجلان) ، وهي بمعنى : بجلي ، نسبة الى بجيلة القبيلة العربية المعروفة ، لأن الألف والنون في باجلان علامة نسبة بهلوية [٤٩] .

وما يقال عن قبيلة بجيلة العربية التي استكردت ، يقال عن قسم من أعقاب الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي العرب الذين استكردوا . وقد قضيت بضع سنوات قائدا لحامية قصبة عقرة الكردية ، فكان رؤساء عشائرها بدون استثناء هاشميين أو عباسيين أو أمويين ، ولديهم وثائق تثبت صحة نسبهم الى تلك البيوتات العربية العريقة ، مما يدل على أن الصلة الوثيقة بين العرب والاكراد لاتقتصر على علاقات الدين والجوار ، بل تشمل أيضا

(٤٦) مروج الذهب (٣/٢٥٣ ـ ٢٥٤) ووفيات الأعيان (٤/٤٣٩) .
(٤٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ ـ ٣٧١) ، وكتابنا : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤٨) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٤٩) راجع كتاب : دستور بهلوي (٢٠٧) ـ بمبي ـ ١٩٢٤م ، فباجلان اذن نسبة الى بجيلة ، فأسقطت منها التاء المربوطة بعد ان تحولت الى هاء صامتة تخفيفا ، فأضيفت الى آخر الكلمة أداة النسبة البهلوية (ان) ، ثم أشبعت فتحة الباء فتحولت ألفاً ، فأصبحت الكلمة : باجلان .

علاقة القربى ، علاقة الدم ، فهي أوثق من أن تضعفها الأهواء والنزعات والنزوات ، لانها علاقة عضوية أزلية •

٣ ـ الآراميون :

مجموعة من القبائل السامية التي عاشت في المدة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والثامن قبل الميلاد ، في منطقة آرام التي تشمل مساحات واسعة من شمال سورية ، فاستولت على مناطق واسعة أخرى في الجزيرة العربية •

ويبدو أن موطن الآراميين الاصلي كان الصحراء السورية (بادية الشام)، ومنها انتقلت شأنها شأن غيرها من القبائل الى الارض الزراعية المجاورة ، حيث اختلطت بالشعوب الاخرى المقيمة هناك •

ولقد وردت أخبار الآراميين في النصوص الآشورية التي يتضح منها أنهم كانوا يعيشون عند نهر الخابور وفي منطقة الفرات الأوسط ، وذكرهم الملك الآشوري تجلات بلاصر الاول (١١١٦ ـ ١٠٧٦ ق•م) فقال : « انه شن عليهم ثمانياً وعشرين حملة تمتد من تدمر الى عانات » •

وفي نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، كونوا دولة (بيت عدن Bit - Adin) على ضفتي الفرات أسفل كركميش ، كما أقاموا في وادي الخابور مشيخات عديدة ، واستولت بعض قبائلهم على نصيبين وعلى المنطقة الواقعة جنوب غربي ماردين ، بل انهم بلغوا منطقة جبل طور عابدين غرب الفرات ، وفي الجنوب امتد نفوذهم حتى دمشق • وقد اتسع نفوذ الآراميين خلال القرن الحادي عشر ق•م ، فاحتلوا سورية وانتشروا على طول نهر الفرات الاوسط والاسفل ودجلة الاوسط ، وفرضوا نفوذهم السياسي على بابل نفسها ، بحيث أصبح مابين بابل والبحر الابيض المتوسط تحت سطوة القبائل الآرامية المعروفة بالكلدانيين في التوراة •

وقد ظل الصراع محتدما بين الآشوريين والآراميين حتى قيام الامبراطورية البابلية الجديدة المعروفة بالكلدانية ، حيث اندمجت العناصر الكلدانية والآرامية والبابلية ببعضها .

لقد قام الآراميون بدور بارز في الحياة الثقافية والتجارية لاقليم الجزيرة، فمن الناحية الثقافية نجد أن اللغة الآرامية ، وهي لغة سامية لها شبه باللغة العربية ، تصبح منذ القرن التاسع قبل الميلاد لغة أدبية ثقافية ، ثم تصبح فيمابعد لغة التجارة والثقافة في بلاد مابين النهرين خلال حكم الآشوريين المتأخر والبابليين والكلدانيين (بابل الجديدة) ، حتى اذا ما سقطت هذه الاقاليم ضمن الامبراطورية الفارسية (٥٣٩ ــ ٣٣٢ ق.م) ، كانت اللغة الآرامية لغة مستعملة مابين مصر والهند ، غير أن انتصارات الاسكندر المقدوني واحتلاله لقسم من البلاد الشرقية في آسيا كما هو معروف ، أحل اللغة اليونانية محل اللغة الآرامية لغة رسمية في الشرق ، ومع ذلك ظلت لهجات آرامية تحيا خلال العهود الرومانية ، بل ان هذه اللغة ما زالت في بعض قرى سورية والجزيرة وأذربيجان وطور عابدين وبحيرة أورمية .

وعلى الرغم من أن الجغرافيين والمؤرخين العرب ، لم يستعملوا لفظة : (الآراميين) للدلالة على القبائل الآرامية ، الا انهم استخدموا لفظة : (نصارى) ، وهم بذلك يشيرون الى الآراميين الذين عاشوا منذ قرون عديدة قبل الاسلام في اقليم الجزيرة .

كما نعثر كثيرا على لفظة : (الجرامقة) للدلالة على النصارى في الجزيرة بصورة خاصة ، ويستعمل ابن حوقل لفظة : (الشهارجة) ، ويريد بهم النصارى أيضا (٥٠) ، كما يستعمل هذه اللفظة غيره من المؤرخين والجغرافيين

(٥٠) صورة الارض (١٩٦) وانظر ابن الاثير (٢/٥٢٣) .

العرب .

والجرامقة هم الآراميون ، وكانت لغتهم لغة السريان الشرقيين ، وأصل كلمة : (الجرمقاني) التي هي مفرد كلمة الجرامقة ، معربة عن أصلها الآرامي : (جرمقايا) أي من كان أصله من : (بيت كرمـاى) [٥١] ، وقد توصل نولدكه بدراساته أن الجرامقة هم من الاصل الآرامي أو النبطي . وعلى الرغم مـن أن المؤرخين العرب استعملوا لفظة : (النبط) للدلالة على أخلاط الفلاحين في العراق ، الا أنهم أرادوا بهم على وجه الدقة الآراميين [٥٢] .

ولايزال بقايا الآراميين في كثير من مدن وقرى الجزيرة حتى اليوم .



كتاب السحاب والمطر
وكتاب الأزمنة والرياح

لأبي عُبَيْدٍ القاسم بن سلاّم
المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

ابو عبيد القاسم بن سلاّم ، الهروي ، علم من أعلام اللغة المتبحرين ، وباحث في الطليعة من باحثي السلف الأفاضل البارزين ، بل هو عند المعنيين غنيٌّ عن التنويه والتعريف ، إن لم يكن أشهر من أن يُعرّف أو ينوّه به .

ولد بهراة سنة ١٥٠ أو ١٥٤ هـ ، وارتحل في طلب العلم في البلدان ، وأقام ببغداد حيناً من الدهر للاملاء والتدريس ، وفيها ألّف كتابه المعروف « غريب الحديث » .

حجّ بيت الله الحرام في سنة ٢١٤ هـ أو ٢١٩ هـ ، وأقام بمكة المكرمة بعد الحج مجاوراً ، حتى وافاه أجله في شهر محرم الحرام سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م في أصح الروايات .

خلّف من بعده عدداً كبيراً من المؤلفات القيمة ، طبع بعضها ، وبقي بعض منها مخطوطاً الى اليوم ، وضاع خبر بعضٍ آخر منها . وكان من أجل تلك المؤلفات وأنفسها معجمه الحافل الممتع (الغريب المصنف) الذي قال فيه العالم اللغوي الضليع شَمر بن حمدويه : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنّف أبي عبيد » .

وقد سلمت من عوادي الزمان عـدة نسخ من هـذا الكتاب الجليل ، رجعتُ الى ثلاثٍ منها في تحقيق الأقسام التي انتزعتها منه ، وهي :

١ـ نسخة المكتبة الامبروزيانية في ايطاليا، المكتوبة سنة ٣٨٤ هـ، وجعلتها «الأصل».

٢ـ نسخة مكتبة فيض الله في تركية المكتوبة ، سنة ٥٣٦ هـ ، ورمزت لها بـ «ت» .

٣ـ نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، المكتوبة سنة ١٣٣٠ هـ ، ورمزت لها بـ « م » . (١)



وموضوع « السحاب والمطر » و « الأزمنة والرياح » من المواضيع العلمية الطريفة التي عنيت بها اللغة العربية فيما عنيت به، فاستطاعت أن تعبِّر عنها بما عُرفت به من دقّة وسعة وشمول ، فسمّت كل حالةٍ باسمٍ خاص ؛ وكل ظاهرةٍ بلفظ محدّد معلوم ، فيسرت بذلك لكل انسان أن يختار منها ما يشاء لبيان مراده وإفهام مقصوده بايجاز وجلاء ووضوح .

ولأهمية هذين الموضوعين وما يتعلق بهما مما أطلق السلف على مجموعه اسمَ « الأنواء » ولكونه محل حاجة الناس قاطبة ولاغنى لهم جميعاً عنه ، تصدى عدد من اللغويين الى التأليف فيه؛ تسهيلاً وتيسيراً ، بجَمْع المتفرِّق من ألفاظه ومفرداته؛ وتفسيرها بالمأثور من كلام العرب ، والاستشهاد على ذلك بالمنقول من الأشعار والأقوال والأمثال .

وكان ممن سبق ابا عبيد في هذا المجال :

١ـ ابو فَيْد ، مؤرّج بن عمرو السّدوسي العجلي ، المتوفى سنة ١٩٥هـ . له كتاب « الأنواء » .

(١) تقدم منا في عـدد سابق من هذه المجلة ـ ونحن نقدم لكتاب الشجر والنبات وكتاب النخل ـ : ترجمة ابي عبيد، وتسمية مؤلفاته ؛ والحديث عن « الغريب المصنف » خاصة ، ووصف النسخ التي رجعنا اليها في تحرير النص ، ومنهجنا في التحقيق ، وجريدة مصادر ترجمته . فلا نكرر ولا نعيد .

٢ — النّضْر بن شُمَيْل ، المتــوفى سنة ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ . له كتاب « الأنواء » . كما ان في كتابه « الصِّفات» ابواباً عُنيتْ بالرياح والسحاب والأمطار .

٣ — ابو علي ، محمد بن المستنير (قطرب) ، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . له كتاب « الأزمنة » .

٤ — ابو زكريا ، يحيى بن زياد ، الفراء ، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . لـه كتاب « الأيام والليالي والشهور » .

٥ — ابو محمد ، ابن كناسة ، عبد الله بن يحيى ، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . اه كتاب « الأنواء » .

٦ — الأصمعي ، عبد الملك بن قُرَيب ، المتوفى سنة ٢١٣ هـ . اـه كتاب « الأنواء » وكتاب « الأوقات » .

٧ — ابو زيد ، سعيد بن أوس الأنصاري ، المتوفى سنة ٢١٥ هـ . لـه كتاب « المطر » (٢) .

★ ★ ★

لقد روى ابو عبيد معلوماته في السحاب والمطر والأزمنة والرياح عن عدد من العلماء المشاهير والشيوخ الأجلاّء ، ذكر أسماء بعضهم — وهم تسعة — ولم يذكر أسماء بعض آخر ، ونورد أسماء هؤلاء التسعة حسب تسلسل ورودها في الأصل :

الأصمعي : وهو من المؤلفين في « الأنواء » و « الأوقات» ، وأكثرُ الرواية عنه .

---

(٢) يراجع فيما تقدم : كتاب الفهرست لابن النديم : ٥٤ و ٥٨ و ٦٠ و ٦١ و ٧٧ و ٩٧، ومقدمة الدكتور عزة حسن لكتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي (دمشق ١٩٦٤ م) وبحث الدكتور محمد حسين آل ياسين في (ما وضع في اللغة عند العرب الى نهاية القرن الثالث) المنشور في مجلة المورد : المجلد التاسع ، العدد الرابع ، صفحة ٢٦٠ — ٢٦١ .

ابو عمرو .

الكسائي .

ابو زياد .

الفرّاء : وهو من المؤلفين في بعض هذه الموضوعات ، ولكن مرويات ابي عبيد بعضها أوجلّها كانت عن « نوادره » في أرجح الظن .

ابو زيد : وهو من المؤلفين في « المطر » .

الاموي .

ابو عبيدة .

الأحمر .



وبعد :

فاذا كان هدف المحققين الأكبر ومرادهم الأسمى من بذل الجهود في تحقيق النصوص ونشرها هو الإحياء لما يستحق ذلك من تراث السلف ، حبّاً له واعتزازاً به وتكريماً لمؤلفيه ومحافظة عليه . فان الداعي الأهم والأبعد من نشر هذا النص القيِّم الأصيل هو تقديم هذه الثروة اللغوية الى المعنيين بقضايا العلوم والقائمين بمشاقِّ الترجمة عن اللغات الأجنبية ، وبخاصةٍ اولئك العاملين في حقل الأنواء الجوية والأرصاد الفلكية ، عسى أنْ يجدوا — جميعاً — في هذه المفردات ما يعطيهم الدليل القاطع على سعة اللغـة العربية وقدرتها على مواكبة مسيرة الحضارة والتقدم ، وما ييسر عليهم شيئاً من معاناتهم وهم يبحثون عما يقابل المصطلحات الأجنبية من ألفاظ عربية فصيحة الجذر صحيحة الاشتقاق .

وأملي أن يكون في نشر هذا النص وما كان على شاكلته ، مشاركة متواضعة — مباشرة أو غير مباشرة — في تيسير عملية التعريب ؛ والحفاظ على سلامة اللغة العربية ؛ وصيانتها من الأخلاط والشوائب والدخيل . والله تعالى هو الموفق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[٨٧ / ب]

بسم الله الرحمن الرحيم
كتابُ السحَاب والمَطَر
باب السّحابِ ونُعُوتِه (١)

قال [ابو عُبَيْد] (٢) : سمعتُ الأصمعيَّ يقول :

أوّل ما يَنْشَأ السحابُ(٣) فهو نَشءٌ (٤)، ويقال: قد خرَجَ له خرُوجٌ حَسَنٌ .

[قال] (٢) : ومن السَّحاب : النَّمِرُ ؛ وهو قِطَعٌ صغار مُتَدانٍ بعضُها من بعضٍ .

[قال] (٢) : ومنه الكِرْفِيء (٥) ، واحدتها (٦) كِرْفِئَة ، وهو (٧) قِطَعٌ مُتَراكمَةٌ (٨) .

قال الشاعر :

كَكِرْفِئَةِ الغَيْثِ ذاتِ الصَّبِيرِ (٩)

---

(١) في ت : باب السحاب ونعوته والأمطار والرياح ، وفي م : باب السحاب ونعوته والأمطار

(٢) زيادة من ت .

(٣) في م : من السحاب .

(٤) في م : نشيء . وفي اللسان نشء ونشيء .

(٥) قال علي بن حمزة : « وانما أراد أن يقول : ومنه الكرافيء ؛ فقال الكرفيء ، والكرفيء واحد وهو كالكرفئة » التنبيهات : ٢٤١ .

(٦) في م :واحدته،ومثله في التهذيب والمخصص نقلا عن ابيعبيد، وبنص الأصل فيالتنبيهات.

(٧) كذا في الأصل ، وفي ت وم : وهي ، ومثلهما في التهذيب والمخصص نقلا عن المؤلف.

(٨) في م : متراكبة ، ومثله في التنبيهات ، وفي التهذيب نقلا عن المؤلف كالأصل .

(٩) الشطر – بلا عزو – في التنبيهات : ٢٤٠ والمخصص : ٩٧/٩ ، والبيت بكامله – بلاعزو أيضاً – في الصحاح ، وعزاه في العباب (كرفأ) للخنساء ، وعجزه : (ترمي السحاب ويرمى لها) ، وهو في ديوان الخنساء : ١١٥ . وذكر في اللسان والتاج (كرفأ) هذا الشطر ورويا عجزه في شعر الخنساء . كما تقدم ، وعجزه في شعر عامر بن جوين الطائي : (تأتي السحاب وتأتالها) .

[غيرُه : الصَّبِير : السَّحَابَةُ البَيضَاء] . (١٠)

[قال] (١٠) : ومنه الكَنَهْوَرُ ؛ وهو قِطَعٌ مثل الجبال ،واحدته (١١) كَنَهْوَرَةٌ .

[قال] (١٠) : والقَزَع : قِطَع متفرِّقَة صغار .

[قال] (١٠) : والقَلَعُ : قطع كأنّها قِطع الجبال .

[قال] (١٠) : والطَّخارِيرُ — واحِدُها طُخْرُور — : وهي قِطَعٌ مُسْتَدِقَّةٌ رِقاق .

ويقال للرجل اذا لم يكن جَلْداً ولا كثيفاً : إنه لطخرور .

ابو عمرو : الغَمَامُ المُكَلَّل : السَّحَابة يكون حولها قِطعٌ من السَّحاب فهي مُكَلَّلَةٌ بهنّ .

غيره : المُتَطَخْطِخُ : الأسْوَدُ .

[قال] (١٠) : والمُعْصِرَاتُ : ذَوَاتُ المَطَرِ ، قال البَعِيثُ بن بِشْرٍ :

وذي أُشُرٍ كالأُقْحُــوانِ تَشُوفُه
ذِهَابُ (١٢) الصَّبا والمُعْصِراتُ الدَّوالِحُ (١٣)

يعني المُثْقَلَة بالماء [فهي] (١٠) تَدْلَحُ .

[وقال] (١٠) الكِسائيُّ : السَّحابةُ المُخيِلَةُ : التي اذا رأيْتَها حَسِبْتَها ماطِرَةً ، وقد أخيَلْنا (١٤) . وتَخَيَّلَت السماءُ : اذا تَهَيَّأَتْ للمطر [٨٨ / أ] .

باب السحاب المُرْتَفِع المُتَراكِم

[قال] (١٠) الأصمعي : المُكْفَهِرُّ : الذي يَغلُظ من السحاب ويركب

(١٠) زيادة من ت .
(١١) في المخصص — نقلا عن ابي عبيد — : واحدتها .
(١٢) في هامش ت : « الذهاب : الأمطار الضعاف » .
(١٣) البيت للبعيث في التهذيب : ١٦/٢ واللسان والتاج (دلح) ، وبلاعزو في المخصص : ٩٥/٩ .
(١٤) في م : « وقد أخيلت » .

بعضُه بعضاً .

الأصمعيّ (١٥) : والنَّشَاص : المرتفع بعضُه فوق بعضٍ وليس بمُنْبَسِطٍ .

[وقال](١٦) ابو عمرو في المُكْفَهِرّ مثل قول الأصمعي (١٧) .

[وقال] (١٦) ابو زِياد [الكِلابيُّ] (١٨) في النَّشَاص مثله ، وأنشد للعجّاج :

ماءُ نَشَاصٍ حَلَبَتْ منه قَدَرْ (١٩) .

الأصمعي : الصَّبِيْرُ (٢٠) : الذي يَصِير بعضُه فوق بعضٍ دَرَجاً .

والقَرِدُ : المُتَلَبِّد بعضُه على بعض .

والعَمَاءُ والطَّخَاءُ والطَّهَاءُ والطَّخَافُ (٢١) : كلُّه السحاب المرتفع .

والحَبِيُّ : الذي يَعْتَرِض اعتِراضَ الجَبَل قبل أنْ يُطبِّق السماءَ .

والمُحْمَوْمِي : الأسود المُتَراكِم .

والعَنَانُ : واحدته عَنَانَةٌ .

والدَّجْنُ : إظلال السحاب الأرض .

باب السحاب الذي بعضُه فوق بعضٍ ودون بعضٍ

[قال] (١٦) الأصمعي : الرَّبَابُ : السحاب المتعلِّق دون السحاب ،

(١٥) ورد قول الأصمعي هذا في ت و م بعد قول ابي عمرو التالي ، وهو الأنسب بالسياق .

(١٦) زيادة من ت .

(١٧) في م : ابو عمرو مثله .

(١٨) زيادة من ت و م والتهذيب نقلا من الأصل .

(١٩) ديوان العجاج : ٢٩/١ .

(٢٠) في ت : قال والصبير ، وفي م : الأصمعي والصبير .

(٢١) كلمة (والطخاف) لم ترد في ت ، وفي هامشها : (ليس في الغيم الطهاء ، انما هو الطخاف بمكانه) ، وقد ورد نص الأصل مروياً عن الأصمعي في اللسان وقال : « الطهاء لغة في الطخاء » .

وقد يكون أبيض ويكون أسود .

والهَيْدَب : الذي يَتَدَلّى ويدنو مثل هُدب القَطيفة .

والغِفَارَة : السحابة تكون فوق السحاب (٢٢) .

باب السحاب الذي لا ماءَ فيه

[قال] (٢٣) الأصمعي (٢٤) : الجِلْبُ : سحاب رقيق يَعْتَرِض ، وليس فيه ماء (٢٥) .

والصُّرّادُ : سحاب باردٌ نَدِيٌّ ، وليس فيه ماء .

[وقال] (٢٣) ابو عمرو في الصُّرّاد مثله .

[قال الأصمعي] (٢٣) : والهِفُّ [أيضاً](٢٦) : الذي ليس فيه ماء (٢٧) .

[قال] (٢٣) والزِّبْرِجُ : الخفيف الذي تَسْفِرُه الرِّيحُ .

وبَنَاتُ مَخْرٍ وبَنَاتُ بَخْرٍ : سحائب يَأْتِين قبلَ (٢٨) الصَّيْفِ مُنْتَصِباتٌ (٢٩) رِقاق .

والسَّماحِيقُ : نَحْوٌ منه .

الأصمعي : النَّجْوُ والنِّجَاءُ (٣٠) : السحاب الذي قد هَرَاقَ ماءَه .

(٢٢) كذا في الأصل ، وفي ت وم والمخصص نقلا عن ابي عبيد : « فوق السحابة » .

(٢٣) زيادة من ت .

(٢٤) في م : عن الأصمعي .

(٢٥) في ت : يعترض لاماء فيه . وفي المخصص كالأصل .

(٢٦) زيادة من ت و م .

(٢٧) في ت : الذي لاماء فيه ، وفي المخصص كالأصل .

(٢٨) ضبطت كلمة (قبل) في الأصل بفتح القاف وسكون الباء ، وفي ت بضم القاف ، وهي في م « قبيل » » وفي المخصص واللسان بضم القاف والباء .

(٢٩) قال علي بن حمزة تعليقاً على منتصبات : « والأجود مبيضات » التنبيهات : ٢٤١ .

(٣٠) في ت : قال النجو والنجاء والجهام ، وفي م : قال الأصمعي والنجو والنجاء والجهام الخ ، وفي المخصص كالأصل وذكر في اللسان ان النجاء جمع النجو .

والجَهَامُ مثلُه .

غيرُه : والجَفْلُ مثله .

[وقال] (٣١) الفَرّاء : الزِّبْرِجُ والزَّعْبَجُ : سحابٌ رقيق (٣٢) . قال ابو عُبَيْد (٣٣) : وأنا أُنكِر أنْ يكون الزَّعْبَجُ من كلام العرب ، والفَرّاء عندي ثقةٌ [٨٨ / ب] .

باب السحاب الذي فيه رَعْد

[قال] (٣١) الأصمعي : من السحابِ المُتَهَزِّمُ والهَزِيمُ : وهو الذي لرعده صوت ، يقال منه : سمعتُ هَزْمَةَ الرَّعد (٣٤) .

ومنه : المُجَلْجِل . والقاصِب (٣٥) . والمُدَوِّي . والمُرْتَجِس ، [قال] (٣١) ابو زيد : يقال منه : رَجَسَتِ السماءُ تَرْجُس رَجْساً ، ورَعَدَتْ تَرعُد رَعْداً .

[وقال] (٣١) الأصمعي في الرعد مثله .

[وقال] (٣١) غيرُه : من السحاب الأَجَشُّ : [وهو] (٣١) الشديدُ صوتِ الرعد .

والإِرْزَامُ : صوتُ الرعدِ وغيرِه (٣٦) .

باب السحاب الذي فيه برق

[قال] (٣١) الأصمعي : [يُقال] (٣٧) : [قد](٣١) أَوْ شَمَتِ

(٣١) زيادة من ت .
(٣٢) في ت وم : السحاب الرقيق ، وفي المخصص كالأصل .
(٣٣) في م : قال ابو الحسن قال ابو عبيد .
(٣٤) تتمة النص في المخصص نقلا عن ابي عبيد : « . . . واهتزامه كذلك » .
(٣٥) في ت : والقاصف . وفي المخصص كالأصل مروياً عن ابي عبيد ، ومثله في اللسان مروياً عن الأصمعي .
(٣٦) ونص المخصص : « ابو عبيد : الإرزام والرزمة صوت الرعد وغيره » .
(٣٧) زيادة من ت وم .

السماء : اذا بَدا منها بَرْقٌ ، وأنشدنا :

حتّى اذا ما أوْشَمَ الرّوَاعِدُ (٣٨)

ومنه قيل أوْشَمَ النَّبْتُ : اذا أبْصَرتَ أوّلَه .

وفي البَرقِ الإيمَاضُ : وهو اللّمْع الخَفيُّ . والانْعِقاق : وهو تَشقّقُ البَرْق ، ومنه قيل للسَّيف : كالعَقيْقَة ؛ شُبِّه بعَقِيقة البرق .

ومنه التَّبَوُّج : وهو تَكَشُّفُ البَرق .

ومنه الارْتِعَاج : وهو كثرته وتَتَابُعُه .

ومنه العَرّاص : وهو الشَّديدُ الاضْطِراب . وفيه الانْكِلالُ : وهو كالتَّبَسُّم قَدْرَ ما يُريكَ سَوادَ الغَيْمِ من بياضِه .

ابو عمرو : خَفَى البَرقُ يَخْفِي خَفْياً : اذا بَرَقَ بَرْقاً ضعيفاً .

الكسائي : خَفَا يَخْفُو خُفُوّاً : بمعناه .

باب المطر وابتدائه وأزْمِنَتِه

[قال] (٣٩) الأصمعي : أوّل ما يبدأ المطرُ في إقْبَال الشتاء فاسمه الخَرِيف ، وهو الذي يأتي عند صِرَام النخل (٤٠) .

ثم يليه الوَسْمِيُّ وهو أول الرّبيع ، وهو (٤١) عند دُخُول الشتاء .

ثم يليه الرَّبيع .

ثم الصَّيِّفُ .

ثم الحَمِيْمُ ، وهو الذي يأتي بعد أنْ يشتدَّ الحَرُّ .

---

(٣٨) المشطور – بلاعزو – في التهذيب : ٤٣٤/١١ والمخصص : ١٠٧/٩ واللسان (وشم).

(٣٩) زيادة من ت .

(٤٠) في ت : عند الصرام ، وفي م : عند صرم النخل . وفي المخصص : ٨٠/٩ واللسان (خرف) كالأصل .

(٤١) في ت و م : وهذا .

ابو عمرو : مثل (٤٢) هذا كلّه أو نحوه ، [قال] (٤٣) : وهذا لأنّ العربَ تجعل السَّنةَ ستَّةَ أزْمِنة (٤٤) .

[وقال](٤٥) الأصمعي : ومن الصَّيِّف والحَميم : الدَّثئيُّ والدَّفئيُّ ، كلاهما على مثال عَرَبّيٍ وعَجَميٍّ [٨٩ / أ] .

وتَنْسُب (٤٦) الى الخَريف : خَرْفيٌّ ، بجَزْم الراء .

[وقال] (٤٥) ابو زيد : كلُّ ميرَةٍ يمتارُونَها قُبُلَ (٤٧) الصَّيْف دَفَئيَّةٌ (٤٨) ، وكذلك النِّتاج .

باب نُعُوت المطر في ضعفه

[قال] (٤٥) الأصمعي : أخَفُّ المطر وأضْعَفُه : الطَّلُّ ، ثم الرَّذَاذُ ، ثم البَغْش .

ومنه الدَّثُّ ، يقال : دَثَّتِ السَّماءُ (٤٩) تَدِثُّ [دَثّاً] (٥٠) ، وهو مَطَرٌ ضعيف .

ومنه الرَّكُّ (٥١) ، وجمعه رِكاكٌ ، وأنشد :

---

(٤٢) في ت : بمثل .

(٤٣) زيادة من ت وم .

(٤٤) قال في اللسان (ربع) : « كان ابو الغوث يقول : العرب تجعل السنة ستة أزمنة : شهران منها الربيع الأول ، وشهران صيف ، وشهران قيظ ، وشهران الربيع الثاني ، ،وشهران خريف ، وشهران شتاء » .

(٤٥) زيادة من ت .

(٤٦) في ت وم : وينسب – بالبناء للمجهول – .

(٤٧) في م : قبيل .

(٤٨) في الأصل : دفائية ، وما أثبتناه من ت و م والمخصص والعباب واللسان .

(٤٩) وفي المخصص نقلا عن ابي عبيد : دثت الأرض الخ .

(٥٠) زيادة من ت و م .

(٥١) يجوز في الرك فتح الراء وكسرها .

تَرَشَّفْنَ دِرّاتِ الذِّهَابِ الرَّكائكِ (٥٢)

[قال] (٥٣) والرِّهْمَةُ : المطر الضعيف الدائم .

والدِّيْمَةُ : مطرٌ يَدوم مع سُكون .

والضَّرْبُ : فوق ذلك قليلاً .

والهَطْلُ : فوقه أو مثل ذلك .

[قال] (٥٣) : والهَتَلانُ والتَّهْتَال والتَّهْتَانُ (٥٤) .

والقِطْقِطُ من المطر : الصِّغار كأنّها شَذْرٌ .

الأُمَوي : [يقال] (٥٣) أصابهم رَمَلٌ من مطر ، وجَمعُه أرْمال ، وهو القليل (٥٥) .

غيره : التَّهْمِيمُ : الضعيف (٥٦) ، قال ذو الرمّة :

من كَفِّ ساريةٍ لِأوْثاء تَهْمِيمُ (٥٧)

والذِّهَاب نَحْوُه .

غيره : الغَبْيَةُ : المطرة ليست بالكثيرة (٥٨) ، [والكثيرةُ أيضاً](٥٣).

(٥٢) وصدره : (توضحن في قرن الغزالة بعدما) ، والبيت – بلاعزو – في التهذيب : ٢٦٣/٦ و ٤٤٤/٩ والمخصص ٢١/٩ (وفيه : درات الرهام) وتركيبي ذهب وركك في اللسان والتاج ، وهو لذي الرمة في ديوانه / التتمة : ١٧٢١/٣ .

(٥٣) زيادة من ت .

(٥٤) في ت وم : والهتلان والتهتان . وفي هامش ت : الهتلان والهتنان جميعاً .

(٥٥) في ت : وهو القليل وجمعه أرمال . ومثله في المخصص نقلا عن ابي عبيد .

(٥٦) في م : (غيره : والتهميم الضعيف منه) .

(٥٧) ديوان ذي الرمة : ٣٩٧/١ برواية : (من صوب سارية) ، وصدره فيه : (مهطولة من خزامى الحرج هيجها) ، ورواية م والمخصص : (من لف سارية) ، وأشار الى ذلك محقق الديوان .

(٥٨) قال في المخصص : ١١٦/٩ « ابوعبيد : الغبية المطرة ليست بالشديدة الكثيرة » .

باب نُعُوت المطر في القوَّة والكثرة (٥٩)

[قال] (٦٠) الأصمعي : الوابِلُ : المطر الشديد الضخم القَطْر .

والبُعَاق : الذي يَتَبَعَّق بالماء تَبَعُّقاً .

والجَوْدُ : الذي يروي كلَّ شَيْءٍ .

والسَّحِيفَةُ (٦١) : التي تَجرُف [كلَّ] (٦٠) ما مَرَّتْ به (٦٢) .

والساحِيَةُ : التي تَقْشِر وَجْهَ الأرض .

[قال] (٦٠) : والجَدَا – مقصور – : وهو المطر العامُّ ، ومنه اشتُقَّ جَدا العَطِيَّة .

والرَّمِيُّ والسَّقِيُّ (٦٣) – على مثال فَعِيلٍ – : هما سحابتانِ عَظيمتا القَطْر (٦٤) شديدتا الوَقْع .

ومنه قول رؤبة في الجَدا :

يا ليت حَظّي من جَداكَ الضافي

والفضل أنْ تترُكَني كَفَافِ (٦٥)

والعَيْنُ : المطر يَدوم خَمْسَةَ أيّام أوستَّةً لا يُقْلِع .

والحَرِيصَة : التي تَحرِص وَجْهَ الأرض ؛ تُؤثِّر فيه من شدَّة وَقْعها .

والشَّآبِيب من المطر : الدُّفعات .

---

(٥٩) في ت : باب المطر الشديد في القوة والكثرة .

(٦٠) زيادة من ت .

(٦١) في هامش ت : (الصواب بالفاء ، ووقع في الكتاب بالقاف) .

(٦٢) في م : والسحيقة تجرف ما مرت به .

(٦٣) جاء في هامش الأصل ما لفظه: (قال أبو الحسين: ابوعبيد رواه السقي – بالقاف – وهو بالفاء أجود)، وفي ت: (في نسخة الأصل السقي – بالقاف – ، قال ابو الحسين الطوسي : قال ابو عبيد : السقي بالقاف ، وانما هي بالفاء ، وهذا ما أخذ عليه) .

(٦٤) في ت : عظيمتا القدر .

(٦٥) ديوان رؤبة : ١٠٠ ، (وفيه في الأول: فليت ، وفي الثاني : والنفع أن) ، ولم يرد الشاهد وجملة (ومنه قول الخ) التي سبقته في ت وم .

ويقال : أصابَتْنا بُوْقَةٌ مُنْكَرة : وهي [٨٩ / ب] دُفعة من المطر انْبَعَجَتْ ضَرْبَةً .

ويقال : اشْتَكَرَت السماءُ وحَفَلَتْ وطَلَّتْ وأغْبَرَتْ : كلُّ ذلك حين يَجِدُّ وَقْعُها ويشتدُّ .

ويقال : انْهَلَّتِ [السماءُ] (٦٦) : اذا صَبَّتْ . واسْتَهَلَّتْ : اذا ارْتَفَعَ صوتُ وَقْعِها . وكأنَّ الإهلال بالحَجِّ منه ، وكذلك اسْتِهْلال الصَّبِيِّ .

[وقال] (٦٧) ابو زيد (٦٨) : تَرَكْتُ الأرضَ مَحْوَةً واحدة وتركتُها قَرْواً واحداً (٦٩) : [كلُّه] (٦٦) اذا طَبَّقَها (٧٠) المطرُ .

غيره المُرْثَعِنُّ : المُسْتَرْسِل السائل .

والغَدِقُ : الكثير المطر .

[وقال] (٦٧) الفَرّاء : وأصبحت الأرضُ مَحْوَةً واحدةً : اذا تَغَطّى وَجْهُها بالماء (٧١) .

باب المطر بعد المطر

[قال] (٦٧) الأصمعي : من أسماء المطرِ الرَّصَدُ ، واحدها

---

(٦٦) زيادة من ت وم .

(٦٧) زيادة من ت .

(٦٨) في م : ابو زيد الأنصاري ، وكأنها من زيادات الناسخين .

(٦٩) في المخصص عن ابي عبيد : « . . قروة واحدة » .

(٧٠) في الأصل و ت : طبقتها ، وقد أثبتنا ما ورد في م والمخصص .

(٧١) وردت هذه الفقرة المروية عن الفراء في هامش الأصل ، وكأنها ساقطة من قلم الناسخ . وهي في صلب الكتاب في ت وم ، ولكنها في ت قبل قول ابي زيد المتقدم بثلاثة سطور .

رَصَدَة ، وهي المطرة تقعُ أوّلاً لما يأتي بعدها ، يقال : قد كان قبل هذا المطر له رَصَدَةٌ (٧٢) .

والعِهَاد : نحوٌ منه ، واحدتها (٧٣) عَهْدَة .

والوَلْيُ — على مثال الرَّمْيِ (٧٤) — : هو المطر يأتي بعد المطر ، يقال : وُلِيَتِ الأرض وَلْياً . فاذا أردتَ الاسمَ فهو الوَلِيُّ ، مثل النَّعْي والنَّعِيِّ ، والنَّعْيُ (٧٥) المصدر والنَّعِيُّ الاسم (٧٦) .

والصِّلالُ : الأمطار المتفرِّقة .

الأمويُّ مثله في الصِّلال .

[وقال] (٧٧) ابو زيد مثله ، واحدتها (٧٨) صَلَّةٌ . قال : والصَّلَّة — أيضاً — : الأرض .

ابو عُبَيْدة : اليَعَالِيلُ واحدها يَعْلُول : وهو غدير أبيض [مُطَّرِد] (٧٩) . وهو — أيضاً — : السحاب المُطَّرِد .

غيره : الوَدْقُ : المطر .

والسَّبَل : المطر .

باب المطر يدوم فلا يُقْلِع واذا أقلع

[قال] (٧٧) الأصمعي : [يقال] (٧٧) قد أثْجَمَ المطرُ وأغْبَطَ وأَلَظَّ وأَلَثَّ وأدْجَنَ وأغْضَنَ ، وهذا كله اذا دام أيّاماً لا يُقْلِع .

---

(٧٢) في ت : يقال له قد كان قبل هذه المطرة رصدة .

(٧٣) في ت وم : والواحدة .

(٧٤) ضبطت الكلمتان (الولي) و (الرمي) بتشديد الياء في الأصل وت .

(٧٥) في م : فالنعي .

(٧٦) في ت : فهو الوَلِيُّ ، والوَلِيُّ مثل النعِيِّ ، والوَلْيُ مثل النَّعْي ، فالنعْيُ مصدر والنَّعِيُّ الاسم .

(٧٧) زيادة من ت . (٧٨) في ت : واحدته . (٧٩) زيادة من ت وم .

ويقال (٨٠) : هَضَبَتِ السماءُ .

الأصمعيُّ : واذا (٨١) أقلع المطر قيل : قد أنْجَمَ وأفْصَمَ وأفْصى (٨٢) ويقال حَقِبَ المطرُ العامَ : اذا تأخَّرَ .

باب السماء اذا تَغَيَّمَتْ ونُجُوم المطر وغيرها

[قال] (٨٣) الكسائي : [يقال] (٨٣) أغْيَمَتِ السماءُ وأغامَتْ (٨٤) وغَيَّمَتْ وتَغَيَّمَتْ (٨٥) [٩٠ / أ] .

[وقال] (٨٣) الاموي : دَجَّجَتِ السماءُ تَدْجِيْجاً : اذا تَغَيَّمَتْ .

[وقال] (٨٣) الكسائي : [يقال] (٨٣) السماء جَلْوَاءُ : أي مُصْحِيَةَ .

وعنه (٨٦) : السماء مُتَرَبِّدَةٌ : أي مُتَغَيِّمَةٌ .

[وقال] (٨٣) ابو عمرو : هما الشِّعْرَيَانِ ، وإحداهما العَبُوْر ؛ وهي التي خَلْفَ الجَوْزاءِ ، والاخرى الغُمَيْصَاءُ — ويقال الغَمُوص — وهي التي في الذِّرَاعِ أحدُ الكُوكَبَيْنِ .

قال : المِجْدَحُ نَجْمٌ ، وهو — أيضاً — : المُجْدَحُ (٨٧) .

[وقال] (٨٣) الاموي : [هو] (٨٨) المِجْدَحُ (٨٩) ، وأنشد :

---

(٨٠) في ت وم : وقال .
(٨١) في ت : قال واذا ، وفي م : الأصمعي فاذا .
(٨٢) في ت : وافقم وافضى ، وفي م : واقصم وافصى .
(٨٣) زيادة من ت .
(٨٤) في ت و م : أغامت السماء وأغيمت الخ .
(٨٥) المنقول عن ابي عبيد في المخصص : « غامت السماء وأغامت وأغيمت وتغيمت » .
(٨٦) في ت : قال ويقال السماء الخ .
(٨٧) في ت : والمجدح نجم ويقال المجدح أيضاً [أي بضم الميم] . (٨٨) زيادة من ت وم .
(٨٩) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل و ت ، وقال في الصحاح : « وكان الاموي يقول المجدح — بضم الميم — ، حكاه عنه أبو عبيد » .

وأظْعَن بالقوم شَطـر المُلُوكِ

حتّى اذا خَفَقَ المِجْدَحُ (٩٠)

الأصمعي قال (٩١) : قال ابو عمرو بن العلاء : حَضَارِ والوَزْنُ مُحْلِفانِ . قال : وهما يطلُعان قبل سُهَيْل فيَظنُّ الناسُ بكل واحدٍ أنّه سُهَيْل .

والزُّبَانى : زُبَانى العَقْرَب .

والغَفْرُ : نجمٌ .



(٩٠) ورد البيت – بلاعزو – في التهذيب : ١٢٨/٤ و ٣٨/٧ والصحاح (جدح) و(طعن) والمخصص : ١١/٩ والأساس (طعن) واللسان (خفق) ، ومحل الشاهد منه في المقاييس : ٤٣٦/١ ولم يعزه ، ونسب لدرهم بن زيد الأنصاري في تركيبي (جدح) و(طعن) . والرواية في الجميع : (وأطعن) بالطاء المهملة ، وروى في اللسان (طعن) عن ابن بري قوله : « ورواه القالي – وأظعن – بالظاء المعجمة » .

(٩١) في ت : وقال الأصمعي .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزْمِنَة والرِّياح (١)

باب نُعُوت الأيام (٢) بالحَرِّ والبَرْد

[قال ابو عُبَيْد] (٣) : سَمِعتُ الأصمعي يقول : [يقال] (٤) : هذه أيامٌ مُعْتَذِلات (٥) بالذال : اذا كانت شديدةَ الحَرِّ .

وقال ابو عمرو : يَوْمٌ مُسْمَقِرٌّ : شديد الحَرِّ . ويومٌ صَيْهَبٌ (٦) وصَيْخُودٌ (٧) : [كلاهما] (٤) شديد الحرّ .

[وقال] (٣) غيرُه : الرَدِيْقَةُ : شدَّة الحَرِّ ، [قال] (٣) : والوَغْرَةُ مثله . والمَعْمَعَان : شدَّة الحر ، والأَجَّةُ مثله .

[وقال] (٣) : والصَّرْدُ : البَرْدُ ، والرَّجُل صَرِدٌ .

وقال ابو زيد والكسائي : يومٌ أرْوَنَانٌ وليلة أرْوَنانةٌ : شديدة الحرِّ والغَمِّ . [قال ابو محمد : قال ابن الأعرابي] (٣) : وانما هو أرْوَنانيٌّ على النَّعت ، فالقى ياء النسبة ، فإنْ شئتَ خفضتَ ، وإنْ شئت [رَفَعْتَ ، فقلتَ يَوْمٌ أرْوَنانٍ و] (٣) أرْوَنَانٌ . [وأنشد :

وظَلَّ لِنسوةِ النعْمَانِ مِنّـا
على سَفَوَانَ يَوْمٌ أرْوَنانِ] (٨)

---

(١) في ت : « كتاب الأزمنة والرياح والأيام » ، وربما كانت كلمة « والأيام » من اضافات الناسخ . وفي م : « باب الأزمنة والرياح » .

(٢) في ت : نعوت الأزمنة .

(٣) زيادة من ت .

(٤) زيادة من ت و م .

(٥) في هامش الأصل : « بالذال كأنها عذلت نفسها من الحر » .

(٦) كتب ناسخ الأصل الى جنب كلمة (صيهب) كلمة (صيخد) .

(٧) في المخصص عن ابي عبيد : « . . . وصيخود وصخدان الخ » .

(٨) الزيادة من هامش الأصل ، ولم يرد ذلك في ت و م . والشاهد للنابغة الجعدي كما نص عليه في اللسان (رون) ، وقد ورد في ديوانه / شعر النابغة : ١٦٣ .

[وقال] (٩) الكسائي : يقال يَوْمٌ سُخْنٌ وساخِنٌ وسَخْنَانٌ ، وليلةٌ سُخْنَةٌ وساخِنَةٌ وسَخْنانَةٌ . وقد سَخَنَ يومُنا يَسْخُن ، وبعضهم : سَخُنَ . وسَخِنَتْ عَيْنُه – با كسر – تَسْخَن .

وقال : يَوْمٌ أبْتٌ وليلةٌ أبْتَةٌ – مثال ضَرْبَةٍ وضَرْبٍ – (١٠) ، وكذلك حَمْتٌ وحَمْتَةٌ ، ومحْتٌ ومَحْتَةٌ ، وقد حَمُتَ ومَحُتَ ، كلُّ هذا في [٩٠ / ب] شِدَّة الحَرِّ .

قال ابو زيد : فإنْ سكنت الريحُ مع شدَّة الحرِّ قيل : يومٌ عَكِيكٌ .

وقال الكسائي : هذا يومٌ عَكٌّ أكٌّ ، وقد عَكَّ يومُنا هذا ، قال طَرَفة :

تَطْرُدُ القُرَّ بِحَرٍّ صادقٍ
وعَكِيكَ الصَّيفِ إنْ جاء بِقُرْ (١١)

الكسائي : ويقال في مثل ذلك أيضاً : ليلةٌ وَمِدَةٌ ، وقد وَمِدَتْ تَوْمَدُ وَمَداً ، والاسْمُ : الوَمَدَةُ .

[وقال] (٩) الأحمر : تأجَّم النَّهار اذا اشتدَّ حرُّه ؛ تأجُّماً (١٢) .

[وقال] (٩) ابو زيد : قد غَمَّ يَوْمُنا يَغُمُّ غُمُوماً : من الغَمِّ (١٣) .

[و] قال ابو عمرو : الصَّقْرَةُ شدَّة الحرِّ .

غيرُه : صَرَّةُ القَيْظِ شدَّة الحَرِّ (١٤) . والعُكَّةُ : شدة الحر . والوَغْرَةُ : مثلُه شدة الحَرِّ . والائْتِجَاجُ : شدَّة الحرِّ .

---

(٩) زيادة من ت .
(١٠) في ت و م : « وقال : يوم أبت – مثال ضرب – وليلة أبتة » .
(١١) ديوان طرفة : ٥٨ ، وفيه : (وعكيك القيظ) .
(١٢) في ت و م : « تأجم النهار تأجماً اذا اشتد حره » .
(١٣) كتب ناسخ الأصل فوق كلمة (الغم) كلمة (الحر) .
(١٤) وفي المخصص عن ابي عبيد : صرة الحر شدة القيظ .

[ابو عمرو : والعَكِيْكُ مثلُه] (١٥) .

غيرُه : الوَدِيْقَة : شدّة الحرّ (١٦) .

[قال] (١٧) : ويقال صَمَحَتْه الشمسُ : أصابَتْه .

[قال] (١٧) : والرَّمْضاءُ شدّة الحرّ يُصيب (١٨) الحَصى .

[قال] (١٧) : والاحْتِدام شدة الحر [أيضاً] (١٩) .

[وقال] (١٧) الفرّاء : يقال بَخْبِخُوا عنكم من الظَّهيرة وخَبْخِبُوا وهَرْيِقُوا وأَهْرِيقُوا وأرِيقُوا : كلٌّ هذا معناه أبْرِدُوا .

ويقال : أفْحِمُوا وفَحِّمُوا عنكم من الليل (٢٠) ، يقول : لا تَسيروا أوّلَ الليلِ حتّى تَذْهَبَ فَحْمَتُه وهو أشَدُّ الليل سَواداً .

باب نُعُوت الأيّام

في سكون الرِّيح والطِّيْب والبَرْد

[قال] (١٧) ابو عمرو : ليلة طَلْقٌ : وهي التي لا بَرْدَ فيها .
وليلةٌ ساكِرَة : لا ريح فيها .

[و] (١٧) قال الفرّاء : يقال ليلةٌ إضْحِيانَةٌ وضَحْيَانَةٌ (٢١) : اذا كانت مُضِيئةً ، قال أوْسٌ :

---

(١٥) زيادة من ت ، وجاء في هامشها مالفظه : « يوم عكيك أكيك وعك أك ، وليس أك إتباعاً لأنه استعمل برأسه » . وقد وردت جملة (والعكيك مثله) في م بعد قوله الآتي : « والاحتدام شدة الحر أيضاً » .

(١٦) مرت هذه الفقرة في صدر الباب ، ولم ترد – هنا – في ت وم .

(١٧) زيادة من ت .

(١٨) كذا في النسخ ؛ وكأن الضمير للحر ، ولكنه « تصيب » في المخصص : ٩ / ٧٠ .

(١٩) زيادة من م .

(٢٠) في ت و م والمخصص عن ابي عبيد : ويقال أفحموا عنكم من الليل وفحموا .

(٢١) كذا في الأصل ، وفي ت و م والمخصص عن ابي عبيد : ضحياء . وكلاهما وارد .

خُذِلتْ على ليلةٍ ساهِرَهْ

فليستْ بطَلْقٍ ولا ساكِرَهْ (٢٢)

[وقال] (٢٣) ابو زيد : اللَّيلةُ الآرِزَةُ : الباردةُ ، وقد أرَزَتْ تأْرِزُ .

وقال الكسائي : يقال أظَلَّ يومنا : اذا كان ذا ظِلٍّ . وشَمَسَ وأشْمَسَ وشَمِسَ ، [وقال] (٢٣) ابو زيد : شَمِسَ يَشْمُسُ .

وقال (٢٤) : أتيْتُه في عَنْبَرَةِ الشِّتَاء : أي شِدَّته .

وقال الاموِيُّ : في هُلْبَةِ الشِّتاءِ مثلُه .

[وقال] (٢٣) غيرُه : في صَبَارَّة الشتاء مثلهُ [٩١ / أ] .

والقَرْس والقَرَسُ : والبَرْدُ .

والصَّرَدُ : البرد ، والرَّجُل صَرِدٌ (٢٥) .

والصِّنَّبْرُ والصِّنَّبِرُ (٢٦) : البرد (٢٧) .

[قال] (٢٣) : والزَّمْهَرِيرُ : البرد ، قال الأعشى . :

لم تَرَ شَمْساً ولا زَمْهَرِيرا (٢٨)

(٢٢) ديوان أوس : ٣٤ ، وصدر بيت الأصل صدر لبيت مفرد في الديوان ، والعجز عجز لبيت آخر ، ولكنه في اللسان (طلق) بنص الأصل . ولم يرد الشاهد وقائله في ت ، وورد في هامش م وقال الناسخ بعد ايراده : « تمت ، هكذا وجد بالأصل ، وكان بصلب الكتاب كما هو هنا تماماً ، فنسخناه بالهامش » .

(٢٣) زيادة من ت .

(٢٤) في م : ويقال .

(٢٥) تقدمت هذه الفقرة في صدر الباب السابق ، ولم ترد – هنا – في ت وم .

(٢٦) هكذا ضبطت الكلمتان في الأصل وت ، وضبطت ثانيتهما في المخصص عن ابي عبيد بكسر النون وسكون الباء ، وكلاهما وارد .

(٢٧) في المخصص عن ابي عبيد : شدة البرد .

(٢٨) ديوان الأعشى : ٦٨ ، وصدره فيه : (مبتلة الخلق مثل المهاة) ، ولكن صدره في اللسان (زمهر) : من القاصرات سجوف الحجال .

باب نُعُوت الليل في شِدَّةِ الظُّلْمَة

[قال] (٢٩) ابو عمرو (٣٠) : يقال ليلةٌ غَدِرَةٌ ومُغْدِرَةٌ بيِّنَة الغَدَرِ : اذا كانت شديدة الظلمة . وليلةٌ دامِجَةٌ وليلٌ دامِجٌ : وهو المُظْلِمُ [أيضاً] (٣١) .

[وقال] (٢٩) غيرُه : الخُدارِيُّ : المُظْلِم .

[وقال] (٢٩) الأصمعي : غَطَا الليلُ يَغْطُو : اذا ألْبَسَ كلَّ شَيْءٍ ، وكلُّ شَيْءٍ ارتفع فقد غَطا . وكذلك دَجَا الليلُ يَدْجو : اذا ألْبَسَ كلَّ شيءٍ ، قال (٣٢) : وليس هو من الظُّلمة ، قال : وأنشدني أعرابيٌّ :

[فما شِبْهُ كعبٍ غير أغْتَمَ فاجرٍ](٣٣)
أبى مُذْ دَجَا الإسلامُ لا يتحنَّفُ (٣٤)

يعني : لا يُسْلِم . يريد (٣٥) : ألْبَسَ كلَّ شَيْءٍ

[وقال] (٢٩) ابو زيد : ليلةٌ غَمّى — مثال كَسْلى — : اذا كان على السَّماءِ غَمْيٌ — مثال رَمْيٍ — وغَمٌّ (٣٦) : وهو أنْ يُغَمَّ عليهم الهلالُ .

[وقال] (٢٩) غيره: ليلة مُدْلَهِمَّةٌ : مُظْلِمَة ، ودَيْجُورٌ ودَيْجُوجٌ

---

(٢٩) زيادة من ت .

(٣٠) هو الأصمعي لا ابو عمرو في م .

(٣١) زيادة من م .

(٣٢) في ت وم : قال الأصمعي .

(٣٣) ورد الصدر في هامش الأصل ، ولم يرد في ت و م .

(٣٤) ورد عجز البيت — بلاعزو — في التهذيب : ١٦٢/١١ والمخصص : ٣٧/٩ و١٧٩/١٥ ، وبتمامه — وبلاعزو — في اللسان (دجا) .

(٣٥) في ت وم والمخصص : « يعني » بدل « يريد » .

(٣٦) في المخصص عن أبي عبيد : « .. وغمى وغم الخ » بضم الغين وبالقصر في الأولى ولكنه في اللسان (غمم) عن أبي عبيد كالأصل .

[قال] (٣٧) : والطِّرْمِساءُ : الظُّلمة ، والغَيْهَب نحوُه .

[قال] (٣٨) : والعُلْجُومُ : الظُّلمة ، قال ذو الرمّة :

أو مُزْنَةٌ فارق يَجْلو غَوارِبَها
تَبَوُّجُ البَرْقِ والظّلماءُ عُلْجُومُ (٣٩)

[قال] (٣٨) : وأغْباشُ الليلِ : بقاياه .

والمُسْحَنْكِكُ : الأسْوَد . والمُطْلَخِمُّ مثلُه .

باب نُعُوت الأيّام في شدّتها

[قال] (٣٨) ابو عمرو (٤٠) : يومٌ قَسِيٌّ — على مثال شَقِيٍّ — : وهو الشديدُ من حَرْبٍ أو شَرٍّ .

والعَماسُ — مثال قَتَام — : الشديد أيضاً .

وقال ابو زيد والأصمعي في العَمَاس مثاه (٤١) ، وزاد الأصمعي : وهو الذي لا يُدْرى من أين يُؤْتى له . ومنه يقال (٤٢) : أتانا بأُمورٍ مُعَمَّسَاتٍ ومُعَمِّسَاتٍ أيضاً (٤٣) : أي مَلْوِيّات .

[وقال] (٣٨) غيرُ واحدٍ : يقال يَوْمٌ عَصِيبٌ وليلة عَصِيبٌ (٤٤) : وهو الشّديد .

---

(٣٧) زيادة من ت وم .
(٣٨) زيادة من ت . (٣٩) ديوان ذي الرمة : ١/٣٩٣ .
(٤٠) هو الأصمعي لا ابو عمرو في م .
(٤١) في ت : وقال ابو زيد والأصمعي مثله في العماس .
(٤٢) في ت وم : ومنه قيل .
(٤٣) وردت جملة (ومعمسات أيضاً) في هامش الأصل ، وهي في ت من جملة الأصل وفي هامشها : بفتح الميم وكسرها ، ولم ترد الجملة في م ، ولكنها وردت في المخصص عن ابي عبيد .
(٤٤) كتب الناسخ في ت تحت كلمة « عصيب » « عصيبة » ، ولم ترد جملة (وليلة عصيب) في م ، ووصف الليلة بالعصيب وارد في المعجمات .

ويوم قَمْطَرِيرٌ (٤٥) : مُقَبِّضٌ ما بين العَيْنَيْنِ ، وقد اقْمَطَرَّ .

باب أسماء أيّام الشهر

قال [ابو عبيد : سمعتُ] (٤٦) غيرَ واحدٍ ولا اثنَيْنِ [يقول] (٤٦) : ليالي الشّهرِ : ثلاثٌ [٩١ / ب] غُرَرٌ ، وثلاثٌ نُفَلٌ ، وثلاثٌ تُسَعٌ ، وثلاث عُشَرٌ ، وثلاث بِيْضٌ ، وثلاث دُرَعٌ (٤٧) ، وثلاث ظُلَمٌ ، وثلاث حَنَادِس ، وثلاث دَآدِئ ، وثلاث مُحَاق . والواحدة من الدُّرَع والظُّلَم : دَرْعَاءُ وظَلْماء ، وهو على غير قياسٍ ، [والقياس دُرْعٌ] (٤٨) . قال الأعشى في الدَّأْدَاء :

تَدَارَكَه في مُنْصِلِ الألِّ بعدما
مضى غيرَ دَأْداءٍ وقد كادَ يَعْطَبُ (٤٩)

وثلاث مُحَاق (٥٠) .

[وكان] (٥١) ابو عُبَيْدَةَ (٥٢) يُبْطِلُ التُّسَعَ والعُشَرَ الاّ أشياء منه (٥٣) معروفة .

وقال ابو زيد والكسائي : يقال مرَّتْ علينا سَنَةٌ مُجَرَّمَةٌ وكَرِيتٌ : وهو التامُّ ، وكذلك اليوم والشهر .

---

(٤٥) في هامش ت : « ورجل قمطرير » عطفاً على اليوم .
(٤٦) زيادة من ت .
(٤٧) في هامش ت : « درع و درع » بضم الدال فيهما وفتح الراء وضمها .
(٤٨) من هامش الأصل .
(٤٩) ديوان الأعشى : ١٣٨ .
(٥٠) كذا في الأصل وهو تكرار ، ولم ترد الجملة في ت وم ، وورد الشاهد من شعر الأعشى فيهما في آخر باب اسماء الليل .
(٥١) زيادة من ت والمخصص واللسان (عشر) عن ابي عبيد .
(٥٢) في الأصل : (ابو عبيد) ، والتصويب من ت وم والمخصص واللسان .
(٥٣) في م : منها .

ويومٌ أجْرَدُ وجَرِيدٌ : التامُّ ؛ عن الكسائي .

الاموي (٥٤) : تَجرْمَزَ الليلُ : ذَهَبَ .

ابو زيد : سَلَخْنا الشَّهرَ نَسْلَخُه سَلْخاً : اذا مضى عنّا .

وقال : العَصْرَانِ الغَدَاةُ والعَشِيُّ . والعُصُرُ : مِثْلُ العَصْرِ .

[قال] (٥٥) : والمُجَرَّمُ : الماضي الكامِلُ (٥٦) [يعني الحَوْلَ](٥٥)

[وقال] (٥٥) غيرُه : النَّحِيرَةُ آخِرُ يومٍ من (٥٧) الشَّهر ؛ لأنه يَنْحَرَ الذي يدخل بعده ، قال الكُمَيْت [في النَّوَاحِر] (٥٨) :

والغَيْثُ بالمُتَأَلِّقَا
ت ِ من الأَهِلَّة في النَّواحِرْ (٥٩)

والمُتَأَلِّقاتُ : فيها بَرْقٌ .

والسَّرَارُ : ليلةُ يَسْتَسِرُّ الهِلالُ .

باب أسماء أوقات الليل

[قال](٥٥) ابو زيد : [يقال] (٥٥) مضى من الليل عَشْوَةٌ : وهو ما بين أوَّله الى رُبْعِه .

وقال الكسائي : مضى سِعْوٌ من الليل وسِعْوَاءُ وجُهْمَةٌ وجَهْمَة .

[وقال] (٥٥) الأحمر : مضى جَرْسٌ من اللبل وجَرْشٌ وهَتِيْءٌ (٦٠) وهِتَاءٌ وجَوْشٌ وهَزِيعٌ ، ومضتْ قُوَيْمَةٌ من الليل .

(٥٤) كذا في الأصل ، وفي ت وم : « والاموي » وكأنه عطف على الكسائي .
(٥٥) زيادة من ت .
(٥٦) في هامش الأصل فوق كلمة « الكامل » وفي ت وم أيضاً : (المكمل) .
(٥٧) في ت : في الشهر .
(٥٨) زيادة من ت وم .
(٥٩) شعر الكميت : ١/٢٣٣ .
(٦٠) في ت : « وهتي » بلا همز ، وكلاهما وارد . وفي م : وهتيء من الليل .

[وقال] (٦١) ابو عمرو : الدّئْداء من الشّهر : آخره ، وهو الدّأْداء .

[وقال] (٦١) غيرُه : المَوْهِنُ والوَهْنُ : نَحوٌ من نصف الليل .

باب نُعُوت الرِّياح (٦٢)

[قال] (٦١) الأصمعي : الرِّياح معظمُها الأربَع : الجَنُوب والشَّمال والدَّبُور والصَّبَا [٩٢ / أ] . فالدَّبُوْر ؛ التي تأتي من (٦٣) دُبُر الكَعْبَة . والقَبُوْل : من تِلْقائها (٦٤) وهي الصَّبَا . والشَّمال : تأتي من قِبَل الحِجْر . والجَنُوبُ : من تلقائها . وكلُّ ريح من هذه الأربع انحرفت (٦٥) فوقعتْ بين الرِّيحَيْن فهي نَكْبَاء .

وقال ابو زيد مثل هذا كلّه (٦٦) ، وقال : قد نَكَبَتْ تَنْكُبُ نُكُوباً ، قال : وهي التي بين الصَّبا والشَّمال ، والجِرْبِيَاءُ : التي بين الجَنُوب والصَّبا ، قال : ومَحْوَة : هي الدَّبُوْرُ (٦٧) .

[وقال] (٦١) الأصمعي : من أسماء الجَنُوب – أيضاً – : الأَزْيَبُ والنُّعامى ، والهَيْف : اذا هبَّتْ بحَرٍ .

ومن أسماء الشَّمال : الجِرْبِيَاءُ ، ونِسْعٌ ، ومِسْعٌ ، ومَحْوَةُ ؛ لا تَنْصَرِف .

(٦١) زيادة من ت .
(٦٢) في ت وم : باب الرياح .
(٦٣) في الأصل : « في » ، وما أثبتناه من ت وم والمخصص عن ابي عبيد .
(٦٤) في م : التي من تلقائها .
(٦٥) في ت وم : تحرفت .
(٦٦) في ت : وقال ابو زيد في هذا كله مثله .
(٦٧) في هامش الأصل هنا : والدروج .

ومن أسماء الصَّبا : إيْرٌ ، وهِيْرٌ (٦٨) ، وأيِّرٌ ، وهَيِّرٌ — على مثال فَيْعِلٍ — .

والنافِجَةُ : أول كلِّ ريحٍ تَبْدأ بشِدَّة .

والرِّيْدَانة : اللَّيِّنة .

والزَّفْزَافة : الشديدة التي لها (٦٩) زَفْزَفةٌ ؛ وهي الصَّوت .

والحَنُوْنُ : التي لصَوْتها (٧٠) حَنِيْنٌ مثل حنين الإبل .

والمُجْفِل والجافِلَة (٧١) : السَّريعة .

والسَّهُوْكُ والسَّيْهُوج والسَّهُوْج (٧٢) : كلُّه الشديدة (٧٣) .

والهَجُوْمُ : التي تشتدُّ حتى تقلعَ الثُّمَامَ والبُيُوت .

والنَّؤُوْجُ : الشديدةُ المَرِّ .

[قال] (٧٤) : والدَّرُوْجُ : التي يَدْرُج (٧٥) مُؤخَّرُها حتى ترى لها مِثلَ ذَيْل الرسَنِ في الرَّمْل .

[قال] (٧٤) : والخَجُوْجُ : الشَّديدةُ المَرِّ .

والمُتَذَئِّبَةُ (٧٦) : التي تَجِيءُ من ها هنا مَرَّةً ومن ها هنا مرَّة .

---

(٦٨) وفي هامش ت : (أير وهير مخفف من أير وهير) .

(٦٩) في الأصل : بها ، وما أثبتناه من ت وم والمخصص واللسان .

(٧٠) في ت وم والمخصص : التي لها .

(٧١) في م : والجافل ، وفي المخصص : ٨٦/٩ عن ابي عبيد : والمجفلة والجافلة .

(٧٢) في ت وم والمخصص : والسهوج والسيهوج .

(٧٣) وردت هذه الفقرة في ت غ وم بعد فقرة (النؤوج) الآتية .

(٧٤) زيادة من ت .

(٧٥) في الأصل : تدرج ، وما أثبتناه من ت وم والمخصص .

(٧٦) في هامش الأصل : (ابو عبيد : مُتَذَئِّبة ومُتَذائبة ومُنْذَئِبة — مُنْفَعِلة —) ، وفي هامش ت : (مثال مُتَفَعِّلة) .

[قال] (٧٧) : والبَوَارِحُ : الشَّديدات .

[قال] (٧٧) : والنَّسِيم : التي تَجِيءُ منها بنَفَسٍ ضعيف .

[وقال] (٧٧) ابو زيد : يقال منه نَسَمَتْ تَنْسِم نَسِيماً ونَسَماناً .

[قال] (٧٧) : وقالوا عَجَّتِ الريحُ وأنْشَبَتْ وأسْنَفَتْ (٧٨) : كلٌّ هذا في شدَّتها وسَوْقها التراب .

[قال] (٧٧) : والإعْصار : التي تَسْطَعُ في السَّماء .

[قال] (٧٧) : والحَرْجَفُ : القَرَّة ، [قال] (٧٧) : وهي الصَّرْصَرُ (٧٩) .

والبَلِيْلُ : التي فيها بَرْدٌ ونَدىً .

[وقال] (٧٧) الأصمعي : ما كان من الرِّياح نَفْحٌ (٨٠) فهو بَرْدٌ ، وما كان من الرِّياح لَفْحٌ فهو حَرٌّ .

[وقال] (٧٧) ابو عُبَيْدة : السَّمُوْم بالنهار [٩٢ / ب] وقد تكون بالليل ، والحَرُوْرُ بالليل وقد تكون بالنهار .

[وقال] (٧٧) غيرُه : الهَلاّب : الريح مع المطر ، وقال ابو زُبَيْد (٨١) :

أحَسَّ يَوْماً من المَشْتَاةِ هَلاّبا (٨٢)

---

(٧٧) زيادة من ت .

(٧٨) في م : (. . أعجت الريح الخ) ، وفي المخصص : ٨٨/٩ عن ابي عبيد : (أعجت الريح وأنشبت وأنسفت) .

(٧٩) في المخصص عن ابي عبيد : (. . وهي الصرصر والصر) .

(٨٠) في المخصص عن ابي عبيد : (من نفح) ، وفي اللسان عن الأصمعي كالأصل .

(٨١) في ت : (قال) من غير حرف عطف ، وفي م : قال ابو زيد الطائي .

(٨٢) شعر ابي زبيد الطائي : ٣٦ ، وصدره فيه : (ترنو بعيني غزال تحت سدرته) .

[قال] (٨٣) ابو عمرو : [يقال] (٨٣) رِيْحٌ خارِمٌ : باردة (٨٤) .

[وقال] (٨٣) غيرُه : المُعْصِرات : التي تأتي بالمطر .

[قال] (٨٥) : والسَّوَافِنُ والأعاصير : التي تهيج بالغُبار ، واحدها إعصار .

[قال] (٨٣) : والهَبْوَةُ : الريح بالغَبَرَة .

[قال] (٨٣) : والنَّضِيْضَةُ : التي تَنِضُّ بالماء فَيَسِيلْ (٨٦) ، ويقال الضَّعيفة .

والمُسَفْسِفَةُ : التي تجري فوق (٨٧) الأرض .

[قال] (٨٣) : والرياح الحَوَاشِك والمُشْتَكِرَة : المُخْتَلِفة ، ويقال الشَّديدة .

[قال] (٨٣) : والعَرِيَّة : الباردة .

وقال ابو زيد : البَوَارِحُ : الشَّمالُ في الصَّيْفِ الحارَّةُ .

(٨٣) زيادة من ت .
(٨٤) قال في اللسان (خرم) : « ريح خارم : باردة ، كذا حكاه ابو عبيد بالراء ، ورواه كراع : خازم بالزاي ، قال : كأنها تخزم الأطراف » ، وذكر مثل ذلك في تركيب خزم أيضاً .
(٨٥) زيادة من ت وم .
(٨٦) في م : فتسيل .
(٨٧) في ت وم : فويق ، ومثلهما في المخصص واللسان .

الإسلام وحرية الرأي

الدكتور جميل سعيد

(عضو المجمع)

ان الحديث عن حرية الرأى في الإسلام ، موضوع طويلٌ متشعب ، وقد حاولتُ جاهداً ، أن الّم اطرافه ، وآتى بصور اتناوله فيها ، وعساني اوفّق في تبيان هذا الموضوع الهامّ ، الذي شغل الناس ، ومازال يشغلهم ، في كلّ مكان ، وفي كل زمان .

وابين قبل الخوض فيه : انني سأتحدّث عن عناصر هامّة اولاها الإسلام عنايته ؛ في نواحيها النظريّة والتشريعية والعملية . ثم ابيّن اثر هذه الحريّة في حياة المسلمين ؛ وفي طرق تفكيرهم ، فيما تناولوه من امور تتعلّق بالنواحي العلمية عامة ، والنواحي الاجتماعية والسياسيّة .

وسأشير – في حديثي هذا – اشارة الى حالة العرب المتعلقة بهذه الناحية ، قبل مجيئ الإسلام ، ثم اشير الى اعتماد الإسلام على العقل ؛ إذ وجّه الخطاب اليه ، واشاد بتعظيمه . وفضّل العقلاء ؛ اهل التفكير والعلم على غيرهم من الجهّال والمقلّدين . ثم ابين اعتماد الإسلام على حرّية الرأى في الإعلان عمّا يُعمِلُ به الناس عقولهم ؛ لأن حريّة الرأى هذه هي السبيل الوحيد لمعرفة ما يدور في عقول الناس ، وفي نفوسهم وخواطرهم ، مما يكون له ابعد الأثر في حياتهم ؛ في باطنها ، وفي ظاهرها ، وفي نواحيها النظرية والعملية .

وابين ان حرية الرأي هذه ، ولاسيما ما يتعلق بالنواحي السياسية ، قد كُبحتْ بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ثم عادت فانبعثت قويّة في العهد العباسيّ ، فشملت الجدل في امور الحياة السياسية والإجتماعية ، والدينية ، والعلمية . واصبحت المناظرة هي الفيصل في التفرقة بين امر وامر . واصطبغ بها التأليف العلمي بشتى فروعه ، وسأوليها بشيئ من التفصيل لأهمّيتها هذه .

جاء الاسلام في بلاد العرب ، والظلم عندهم من صفات القوّة ، التي يستحق صاحبها المديح عليها ؛ لأنها عندهم علامة العزّة ، والمنعة ، والسيطرة ، وكان سلب هذه الصفة من القبيلة العربية ، يعدّ هجاءً ومهانة . ومن اوجع الهجاء عندهم قول النجاشيّ الشاعر :

قُبيِّلةٌ لا يغــدرون بـــذمــةٍ ولا يظلمون الناس حبّة خَرْدَل

فالشطر الثاني من البيت ، الذي يتراءى للقارئ المسلم أنه مديح ، او مبالغة في المديح ، في الروح الإسلامية ، إنما هو هجاء ، أو مبالغة في الهجاء في الروح العربية الجاهليّة . ولذلك اشتكى المهجوّ به الى الخليفة عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه (١) .

وحين يعنّف الشاعر قُرَيْط بن اُنيْفَ (٢) ، قومه ، لايجد ابلغ في تعنيفهم ، من أن يقول :

لكنّ قومي ، وإن كانوا ذوي عَدَد ليسوا من الشرّ في شيئ وإن هانا

فالشطر الثاني من البيت هذا ، يتراءى للمسلم مديحاً ، وهو هجاء اللائم المعنّف ؛ لأن بني ذُهْل بن شيبان ، استباحوا إبله ، ولم ينصره قومه — مع كثرة عددهم — عليهم ، إذ يقول قبل بيته هذا :

---

(١) الشعر والشعراء لإبن قتيبة ؛ ٢٤٦/١ ط : بيروت .

(٢) قريط بن أنيف ؛ من بلعنبر . ينظر معاني ابيات الحماسة للحسين النمرى ؛ ص : ٥ ط : مطبعة المدني بمصر ؛ بتحقيق الدكتور عسيلان .

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح أبلي

بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

ويقول في سبيل المديح لبني مازن ، وفي سبيل التحريض على هؤلاء المستبيحين ، وفي التعنيف لقومه ، الذين لا يقتدون ببني مازن :

قومٌ إذا الشرُّ ابدى ناجِذيْه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ولملوكهم ورؤسائهم احاديث ترينا الغطرسة والتجبّر والظلم ، وهم يروونها مفتخرين ؛ لأنهم يرون فيها القوّة ، والعزّة ، والمنَعة . فالنعمان بن المنذر ؛ ملك الحيرة ، يجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم . يلقاه الناس يوم نعيمه فيغدق عليهم ماشاء من عطائه ونعمه . ويلقاه الناس يوم بؤسه فيكون لهم القتل ، ولا سبب لهذا وهذا إلا اظهار التجبّر والغطرسة .

وعمرو بن هند – صاحب صحيفة المتلمِّس المشهورة ، وقاتلُ طرفة بن العبد الشاعر المشهور – لُقِّب بالمحرِّق(٣) ؛ لإحراقه بعض بني تميم في جناية جناها احدهم . وقالوا : إن عمرو بن كلثوم الشاعر ؛ صاحب المعلّقة ، قتله . وفي كتاب الكامل (٤) لابن الأثير : « وكان سبب قتله : أن قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أنّ احداً من العرب تأنف ان تخدم امُّه امّي !؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبيّ ... فبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره ان تزور امُّه ليلى امَّ عمرو هنداً بنت الحارث .... وقدم عمرو بن كلثوم ، وبلغ ابن هند قدومه ، فضرب خيامه ... وارسل الى وجوه اهل مملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ودعا الناس اليه . وجلس هو وعمرو بن كلثوم ، وخواصّ اصحابه في السُرادق » وقال ابن الأثير : « وقال

(٣) الأعلام للزركلي

(٤) ٥٤٧/١ ؛ ط : بيروت

لأمـّه اذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق الا الطُرَف ، فنحـّي خدمك عنك ، واستخدمي ليلى ، ومريها فلتناولك الشيئ بعد الشيئ . وفعلت هند ، وقالت لليلى : ناوليني ذلك الطبق ، فقالت ليلى : لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها . والحـّتْ عليها ، فصاحت ليلى : واذُلاّه ! يا آل تغلب ، فسمعها عمرو بن كلثوم فأسرع الى سيف عمرو بن هند ، فضربه به فقتله » .

ويروون عن وائل بن ربيعة ، الملقّب « بكُلَيب وائل » انـّه حمى ارضاً من العالية ، في اوّل الربيع ، فكان لا يقربها احدٌ خشية منه . وقالوا : « انما (٥) لُقّبَ كُلَيباً ؛ لأنه كان اذا سار اخذ معه جروَ كلب ، فإذا مرّ بروضة ، أو موضع يعجبه ، ضربه ثم القاه في ذلك المكان ، وهو يصيح ويعوي ، فلا يسمع عواءه احدٌ إلاّ تجنّبه ، وتجنّب ذلك المكان » .

ويقول ابن الاثير (٦) عن عبد القيس : « وكانت سُنّتهم اذا شُتِموا لطموا واذا لُطِموا قَتَلوا مَن لَطَمَهم » .

ويفعل بعض ملوك الغساسنة فعل كليب ؛ فيحمي ذا أقرُ — وهو واد مملوء حمْضاً ومياهاً — ويتحاشاه العرب خيفة منه . ويرى بنو ذُبيان ؛ قومُ النابغة الذبياني الشاعر ، في انفسهم القوّة لتحدّيه ، ورعْي ما حماه ، فيطلقون فيه نَعَمَهم . وينصحهم النابغة ، فيردون عليه : لو ظفروا بنا ما زادونا على الذي نراك تأمرنا به . ويوجـّه عمرو بن الحارث الغسّاني اليهم خيله ، فيوسعهم قتلاً وسبياً . ويشير النابغة الى هذا ، بقوله (٧) :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقُر — وعن تربُّعهم في كل اصفار
وقلت : يا قوم إن الليث منقبض — على براثنه لعدوة الضاري

---

(٥) المصدر نفسه ، ٥٢٣/١

(٦) المصدر نفسه .

(٧) ديوان النابغة الذبياني ، ص : ٨١ — ٨٢ بتحقيق الدكتور شكري فيصل

وعمرو بن كلثوم يريد ان يفتخر ، ويبالغ في الفخر ، فيقول (٨) :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينـا

لنا الدنيا ومن اضحى عليهـا ونبطش، حين نبطش ، قادرينا

نقول : هذه هي البيئة العربية التي جاء اليها الإسلام ! . وحسبك من هذه البيئة ، ان يكون شعار اهلها : « انصر اخاك ظالماً او مظلوماً » . في هذه البيئة المتصارعة ، المضطربة في ضروب الضلال والظلم ، وضروب العصبيات والأدواء ، انبعثت الدعوة الإسلامية ، وجاءت دعوة عامة للجنس البشري ، بمختلف اراضيه ، وطبقاته ، وجنسياته ، والوانه . وفي فاتحة الكتاب العزيز : « الحمد لله رب العالمين » فهو – تعالى – ليس ربّ العرب وحـدهم ، ولا ربّ قبيلة ، او طبقة منهم ، ولكنّه – سبحانه – ربّ العالمين ، يستوي في هذا العرب وغير العرب من امم الدنيا وتستوي طبقاتهم فيه . وهو لا يختص بمسلّطين يحمون الأرض ويدفعون الناس عن رعيها ، وعن طرقها . ولا يختصّ بديانة سماويّة او غير سماويّة . إنه شامل بدعوته الناس جميعاً . قال – تعالى – (٩) : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيّون من ربّهم » وختم سبحانه هذه الآية الكريمة ، بقوله : «لا نفرّق بين احدٍ منهم ، ونحن له مسلمون». وقال تعالى(١٠) : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، مَن آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلهم اجرهم عند ربّهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .

---

(٨) شرح المعلقات ، ص ط :

(٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣٦

(١٠) سورة البقرة ؛ الآية : ٦٢

وساوى – سبحانه – بين الناس ، وجعل كلّ امرئ مسؤولاً عن عمله ؛ يعاقَب عليه ، او يُثاب عليـه ، « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١١) و « كلّ امرئ بما كسب رهين » (١٢) . وربّ العالمين – سبحانه – عادلٌ لا يرضى بالظلم . « ولا يظلم ربك احـدا » (١٣) و « إن الله ليس بظـلاّم للعبيد » (١٤) و « ان الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تكُ حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه اجراً عظيماً » (١٥) .

وعظّم الاسلامُ العقلَ ، وجعل التعويل عليه في امر العقيدة ، والتَبعة والتكـاليف . ووجّه النظر – بعين العقل – الى امـور الكون ، والى تدبّرها ، قال تعالى (١٦) : « إنّ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كلّ دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » . وقال تعالى (١٧) : « كذلك يبيّن الله لكم الآيات ، لعلّكم تعقلون » وقال – سبحانه – : (١٨) « وهو الذي يحيي ويميت ، وله اختلاف الليل والنهار . أفلا تعقلون ! ؟ » .

وحسبنا من هذه المكانة التي اعطاها الإسلام للعقل ، ان ذهبت طائفة من المسلمين ، الى الإعتداد به ، والى المبالغة في هذا ، حتى تأوّلتْ بعضَ ماجاء

---

(١١) سورة فاطر ؛ الآية : ١٨
(١٢) سورة الطور ؛ الآية ٢١
(١٣) سورة الكهف ؛ الآية ٤٧
(١٤) سورة الأنفال ؛ الآية : ٥١
(١٥) سورة النساء ؛ الآية : ٤٠
(١٦) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٤
(١٧) سورة النور ؛ الآية : ٦١
(١٨) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٨٠

في القرآن الكريم ، وحتى ذهب بعض المعتزلة في تفسير قوله تعالى (١٩) : « وماكنّا معذّبين حتى نبعث رسولا » قالوا : اي عقلاً (٢٠) . وزادوا على هذا ، بأن قالوا في تفسير قوله تعالى (٢١) : « لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل » قالوا : اي بعد العقول (٢٢) .

واهل السنّة ، وإن لم يذهبوا معهم في تفسيرهم هذا ، إلا انهم عظّموا العقل ، وجعلوه عماد الدين . يقول الحسن البصري (٢٣) : « ينبوع الآداب هو العقل ، الذي جعله الله اصلاً ، وللدين عماداً » .

وحثّ سبحانه على تعلّم العلم ، وعلى التفكير ، وجعل الرجس على الذين لا يعقلون . قال – سبحانه – (٢٤) : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » . وسمّى الذين لا يعقلون دوابّاً ، بل شرّ الدوابّ . قال – تعالى – (٢٥) : « إن شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم ، الذين لا يعقلون » .

وجعل – سبحانه – ميزةً لأهل التفكير ، واهل العلم على غيرهم . قال تعالى (٢٦) : « قل : هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون !؟ » وقال تعالى (٢٧) : « وقال لهم نبيُّهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً . قالوا : أنّى يكون له الملك علينا ونحن احقّ بالملك منه ، ولم يؤتَ سعةً من المال ! ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطةً في العلم . . . »

(١٩) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٥
(٢٠) الدعوة الإسلامية – للدكتور احمد احمد غلوش ص : ٢٤٤
(٢١) سورة النساء ؛ الآية : ١٦٥
(٢٢) الدعوة الإسلامية – للدكتور غلوش ؛ ص : ٢٤٤
(٢٣) ادب الدنيا والدين – للماوردى ؛ ص : ٣
(٢٤) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٠
(٢٥) سورة الأنفال ،الآية : ٢٢
(٢٦) سورة الزمر ، الآية ٩
(٢٧) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤٧

وجعل ــ سبحانه ــ العلم ، نعمةً وخيراً ، قال سبحانه (٢٨) : « ومن يؤت الحكمة ، فقد اوتي خيراً كثيرا » . ورفع الله اهل العلم درجات على غيرهم . قال ــ تعالى ــ : « يرفَع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم درجات » (٢٩) .

وجعل الله اهل العلم ، هم الذين يتوجّه اليهم الناس ، لإستقاء المعرفة ، وهم اعرف واعلم ، بما في كتاب الله تعالى ، وهم اسرع الى الإيمان ، والى التصديق بما جاء فيه ؛ لأن عقلهم يهديهم الى هذا . قال تعالى (٣٠) : « أفمن يعلم أنمّا أنزل إليك من ربّك الحقّ ، كمن هو اعمى !؟ إنّما يتذكّر اولو الألباب » .

ولإعظام العقل وإكباره نهى الإسلام ان يركن الناس الى التقليد ، الذي يتّبع فيه الناس ، ما درج عليه الآباء والسلف ، من غير ان يعرضوا ما فيه على عقولهم ويروا ما فيه من خير او شر ، ومن خطأ او صواب ، وقد يكون اسلافهم او آباؤهم الأوائل ، هم الذين اخذوا ما اخذوا فيه ، عن ضلال . قال تعالى (٣١) : « وإذا قيل لهم اتّبعوا ما انزل الله . قالوا : بل نتّبع ما الفينا عليه آباءَنا ، أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون !؟ » . وقال تعالى (٣٢) : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله ، والى الرسول . قالوا : حسبُنا ما وجدنا عليه آباءَنا . أوَ لو كان آباؤهم ، لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون !؟»

واذا كان العقل هو المعوّل عليه في الإيمان ، كان اوّل مدخل الى الإيمان ان يكون المــرء قادراً ، عــلى فهم ما يقال له ، ليُعمِل فيــه عقله . قال

(٢٨) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٩
(٢٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١١
(٣٠) سورة الرعد ؛ الآية : ١٩
(٣١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٠
(٣٢) سورة المائدة ؛ الآية : ١٠٤

– سبحانه – (٣٣) : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » فجعل القرآن يخاطب العرب ، وهم اول من دعوا الى الإسلام ، بلسانهم الذي يفهمونه . وجعلَ الرسول الكريم المخاطِب لهم ، إنساناً مثلهم ، يخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها . قال تعالى (٣٤) : « قلْ : إنما انا بشر مثلكم يُوحى اليّ » .

وإذ عوّل الإسلام على العقل ، وعلى الضمير الإنساني ، وهو الناحية التي تتغيّر في الإنسان ، فتتغيّر معها نظرته الى امور الحياة ، وقد تنقلب مقاييسه في الخطأ والصواب ، وفي الخير والشرّ ، وفي ما هو حَسَنَ وغير حَسَن من الأمور والأعمال . تتغيّر نظرته الى ما الف من امور السلَف واعمال الآباء ، وقد يستحسن من اعمالهم ما سبق ان استقبحوه ، وان يستقبح من اعمالهم ما سبق ان استحسنوه . تتغيّر نظرته في الأعراف والعادات التي الفها تقليداً واتباعاً ... تتغيّر نظرته في مَن كان يراه شريفاً من الناس او وضيعاً منهم . وقد تتغيّر نظرته في الحاكم والمحكوم ... وفي الإجمال : لا حدود لهذا التغيير الذي ينشأ في نفس الإنسان حين يتغيّر ، او يتبدّل عقله ووجدانه .

على ان هذا التغيّر ، اول شروطه ، ان يكون بالحرّية والإقناع ، لا بالقسر والإكراه . ومن هنا كانت الحريّة في الرأى ، هي عماد الإيمان ، وسبيله الى هذا التغيّر الذي يحدث في العقل وفي الضمير . وقد دعا اليها القرآن الكريم ، وحبّذها بكلّ سُبُلها ، وكلّ صورها . ودعا الرسول الكريم الى الأخذ بحريّة الرأى والى الإعلان عنه بالصراحة ، والحريّة التامة ، وبالأسلوب السهل الهيّن ، الذي لا مواربة ولا سيطرة فيه ، ولا إكراه . قال تعالى(٣٥) : لا إكراه في الدين ، قد تبيّن الرشد من الغيّ » . وفي كشّاف

(٣٣) سورة يوسف ؛ الآية : ٢

(٣٤) سورة الكهف ؛ الآية : ١١٠

(٣٥) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦

الزمخشري ؛ في تفسير هذه الآية الكريمة (٣٦) : « أي لم يُجر الله امر الإيمان على الإجبار والقسْر ، ولكن على التمكين والإختيار ، ونحوه قوله تعالى : « ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً ، أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين !؟ » اي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنّه لم يفعل ، ولكنّه بنى الأمر على الإختيار » وقال تعالى (٣٧) : « ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها » وقال تعالى (٣٨) : « فذكّرْ إنما انت مذكّر ، لست عليهم بمصيطر » . وقال – سبحانه – (٣٩) : « وما انت عليهم بجبّار ، فذكّرْ بالقرآن من يخاف وعيد » .

ورأى الإسلام أن ليس مؤمناً ، مَن قال لسانه بالإيمان ، وقلبه غير مطمئن به . قال تعالى (٤٠) : « ومِن الناس مَن يقول : آمنّا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين » . واشار – سبحانه – الى هؤلاء المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ، ما ليس في قلوبهم ، ونعتهم بالكذب ، وإن بالغوا بألسنتهم بالقول بالإيمان . قال تعالى (٤١) : « إذا جاءك المنافقون ، قالوا : نشهد إنّك لرسول الله . والله يعلم إناك لرسواه ، والله يشهد إن المنافقين الكاذبون » ورأى – سبحانه – هذه الفئة اعدى اعداء الإسلام ، فوصفهم بالمبالغة في العداوة ، قال سبحانه فيهم (٤٢) : « هم العدوّ فاحذرهم » .

(٣٦) الكشاف : ؛ ٣٠٢/١ ، ط : بيروت
(٣٧) سورة السجدة ، الآية :
(٣٨) سورة المغاشية ، الآية : ٢٠ – ٢١
(٣٩) سورة ق ، الآية :
(٤٠) سورة البقرة ، الآية : ٧
(٤١) سورة المنافقون ؛ الآية : ١
(٤٢) سورة المنافقون ؛ الآية : ٣

ومن هنا اوصى — سبحانه — ان يحاورَ غيرُ المسلمين بالرفق ، والا يُغلَظ لهم في القول ، في المحاورة والجدل . وبيّن للرسول الكريم ان يُطيل في جدلهم ، وان يكون غاية ما يبلغه فيه البيان والوضوح . قال تعالى (٤٣) : « فإن اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك إلا البلاغ » .

وتلطّف — سبحانه — في مجادلة اهل الكتاب ، وكانوا اكثر جدلاً من غيرهم ، تلطّف حتى قال (٤٤) : « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلاّ بالتي هي احسن » . وقد دارت لفظة الجدل ، وما اشتُق منها اكثر من ثلاثين مرة (٤٥) في القرآن الكريم . والجدل في اللغة (٤٦) : هو اللّدَدُ والخصومة ، والقدرة عليهما . والجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وقد ذهب الراغب الإصفهاني في كتابه : « مفردات غريب القرآن » الى القول : الى ان الأصل في الجدال : هو الصراع ، واسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة . والجدالة : هي الأرض الصلبة .

ولنبيّن ما تحويه العبارة : « بالتي هي احسن ، التي ذكرها — سبحانه — في آية المجادلة هذه ، نسوق ما قاله الزمخشري في تبيانها ، حين عرض للآية الكريمة : « ولا تستوي الحسنة ، ولا السيئة ، ادفعْ بالتي هي احسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم » . قال الزمخشري : « إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما ، فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها ، إذا اعترضتك حسنتان ، وادفعْ بهما السيئة ، التي ترد عليك من بعض اعدائك » واراد ان يزيد بيانه هذا ايضاحاً فقال : « ومثال ذلك : رجلٌ اساء اليك اساءة ، فالحسنة ان تعفو عنه . والتي احسن من هذه الحسنة ، ان تحسن اليه مكان اساءته

(٤٣) سورة الشورى ؛ الآية ٤٨
(٤٤) سورة العنكبوت ؛ الآية ٤٦
(٤٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي
(٤٦) القاموس المحيط — الفيروز آبادي

اليك » وزاد في بيانه هذا ، فقال : « مثل ان يذمّك ذامّ فتمدحه ، ثم زاد على هذا ، حتى قال : ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوّه . فإنك اذا فعلتَ ذلك انقلب عدوّك المشاق ، الى مثل الوليّ الحميم مصافاةً لك .

وبعد ان استمعت الى تفسيره هذا ، لعبارة « بالتي هن احسن » استمعْ الى قوله تعالى : « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي احسن ! » . ثم يشير – سبحانه – الى هذا الجدل « بالتي هي احسن » فيبيّنه ، وكأنه يحدّده بألفاظه وعباراته ، فيقول للمسلمين : « وقولوا : آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، وإلاهنا والاهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (٤٧) . فانظر الى هذه الآية الكريمة ، والى ما يملأ نفسك من روح الرقة والتسامح في حريّة الرأى ، وفي الإعلان عنه ، وفي طريقة الجدل ، او الأخذ والردّ فيه . وانظر ايّ روح ينبعث منه الى نفسك ، في قوله تعالى : « آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلاهنا وإلاهكم واحد ! »

وانظر الى الآية الكريمة ايضاً ، في قوله تعالى (٤٨) : « ادعُ الى سبيل ربّك بالحكمة ، والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتي هي احسن . إنّ ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين » . وانظر الى التاطّف الكريم ، في الإعلان عن حرّية الرأى ، وفي طريقة الجدل فيه . إنه – سبحانه – لم يقل صراحة ارسوله الكريم : إنك انت على حق ، مع انه – صلّى الله عليه وسلم – على الحقّ . ولم يقل – تعالى – صراحة : إنهـم على باطل ، مع انهم كانوا حقاً على باطل . ولكنّه تأنى لإيراد هـذا المعنى بالصورة الحسنة ، التي لا تغضب المجادل ، الذي اعطاه الحريّة الكاملة في الأعلان عن رأيه ، فقال – سبحانه – : « إن ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبياه ، وهو اعلم بالمهتدين » .

---

(٤٧) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٩ (٤٨) سورة النحل ، الآية : ١٢٥

نقول : بهذه الروح من الحريّة والتسامح ، دعا الإسلام الى الإعلان عن الرأى ، والى الأخذ بالتلطّف فيه ، بالقول وبالفعل .

وبهذه الروح السمحة الكريمة ، كان الرسول الكريم يستمع لرأى اصحابه ، وقد يكون بعضها مخالفاً لرأيه ، في احرج الأوقات واضيقها ، وأشدها عسراً . يقول – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه في حرب بدْر : هنا فانزلوا . ويسمعَ اصحابه رضوان الله عليهم الى قوله ، وقد عوّدهم الإعلان عن رأيهم بحريّة وصراحة ؛ عوّدهم حريّة الرأى ، فيشير عليه احدهم برأى مخالف ، يراه – صلوات الله عليه – صواباً ، فينزل عن رأيه ، ويأخذ بالرأى المخالف . جاء في سيرة ابن هشام (٤٩) ، في الحديث عن حرب بدر : « ومضت قريش حتى نزاوا بالعُدْوة القُصوى من الوادي .... فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، يبادرهم الى الماء ، حتى اذا جاء ادنى ماء من بدر نزل به ... قال ابن اسحاق : فُحدِّثت انهم ذكروا ان الحُباب بن المنُذر بن الجموح ، قال : يا رسول الله ! أرأيتَ هذا المنزل ، أَمنزلاً انزلكه الله ، ليس لنا ان نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهضْ بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله . ثم نغوِّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال : رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – : لقد اشرتَ بالرأى . فنهض – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من الناس ، فسار ، حتى إذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ، ثمّ امر بالقُلُب فغوِّرت . وبني حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فمُلِئ ماءً ثم قد قذفوا فيه الآنية » .

---

(٤٩) سيرة ابن هشام ؛ ٢/٦٢٠ ط : الحلبي بالقاهرة

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٠) : « واخرج احمد عن عبدالرحمن ابن غنم ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلَّم ، قال لأبي بكر وعمر : لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما » .

وقال السيوطي (٥١) : « واخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود ، رضى الله عنهما ، قال : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ » .

وبايع الناس ابا بكر بيعته العامة ، بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلَّم ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « اما بعدُ ، أيها الناس ! فإني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن احسنتُ فأعينوني ، وإن اسأت فقوّموني . الصدق امانة ، والكذب خيانة . اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم » .

وتراه في كلمته الموجزة البليغة هذه ، يبيّن للناس أنه ، وإن وُلّي عليهم ، فهو ليس ببخيرهم ، وكأنه بإشارته هذه يبيّن انه لا يرى رأيه احسن الآراء ، وانه يدعو اهل الرأى الى معونته ، ثم يزيد في هذا فيقول : فإن احسنت فأعينوني ، وإن اسأت فقوّموني ... وكأنه — رحمه الله — يتوهَّم ان بعض أهل الرأى وأهل الفضل قد يحجمون عن معونته فيما هو حسن ، او يحجمون عن تنبيهه او تقويمه — وهو الخليفة — عمّا هو سيئ . أو انهم يطاوعونه على امر يراه حسناً ، ولا يرونه كذلك ، ويسكتون ؛ لأنه الخليفة . نقول : كأنه يتوّهم هذا ، فيقول — رضى الله عنه — : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، فهو يحثّهم بهذا الى عدم التواني في تنبيهه الى ما هو حسن ، والى تقويمه ، اذا ما رأوا جنَفاً منه . ويختم كلمته هذه بأن يدعوهم الى طاعته ، ما اطاع الله ورسوله ، ولا طاعة له عليهم في غير هذا .

---

(٥٠) ص : ٥١ (٥١) تأريخ الخلفاء ؛ ص : ٦٦

هذا موقف ابي بكر ، من حرية الرأى ومن الأخذ به ، إنه يرى سكوت الناس عن حق ، او سكوتهم عن باطل ، خيانة لدينهم وعقيدتهم . وهذا موقفه في خلافته وحكمه .

وحين الحّ عليه المرض اسرع الى الإستشارة والرأى . قال الحسن (٥٢) البصري : « لما ثقل ابو بكر ، واستبان له من نفسه ، جمع الناس اليه ، فقال : إنه قد نزل بي ما قد ترون . ولا اظنّني إلا ميتاً لما بي ، وقد اطلق الله ايمانكم من بيعتي ، وحلّ عنكم عقدتي ؛ وردّ عليكم امركم ، فأمّروا عليكم من احببتم ، فإنكم إن امّرتم في حياة منّي ، كان اجدر الا تختلفوا بعدي » . فقاموا في ذلك ، فلم يستقم لهم امرٌ ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك . قال : فأمهلوني حتى انظر لله ، ولدينه ولعباده » .

وفي كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة (٥٣) الدينوري في الحديث عن ابي بكر : « قال : ثم امر ان تجتمع له الناس ، فاجتمعوا ، فقال : ايها الناس ، قد حضرني من قضاء الله ما ترون ، وإنه لابد لكم من رجل يلي امركم ، ويصلّي بكم ، ويقاتل عدوّكم ، فيأمركم ، فإن شئتم اجتمعتم فائتمرتم ، ثم ولّيتم عليكم من اردتم ، وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي . ووالله الذي لا اله الا هو ، لا آلوكم في نفسي خيراً . قال : فبكى ، وبكى الناس ، وقالوا : يا خليفة رسول الله ! انت خيرنا واعلمنا ، فاختر لنا ، قال : سأجتهد لكم رأيي ، واختار لكم خيركم إن شاء الله ، فخرجوا من عنده»

(٥٢) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى . وعلي الطنطاوي في كتابه : « ابو بكر الصديق » ؛ روايات صحيحة مجموعة من نحو مائة كتاب ؛ ص : ٢٢٥

(٥٣) ١/١٩

ثم انه دعا (٥٤) — بعد ذلك — عبدالرحمن بن عوف ، فقال له : اخبرني عن عمر بن الخطّاب . فقال له : ما تسألني عن أمرٍ إلا وانت اعلم به منّي . فقال له : وإن ... فقال عبدالرحمن : هو — والله — افضل من رأيك فيه . ثمّ دعا عثمان ، فقال له مثل ذلك . فقال : علمي به ان سريرته خيرٌ من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله . فقال له ابو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك . ثم شاور سعيد بن زيد ، واسيد بن الحُضَير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال اسيد : اللهمّ اعلمه الخيرة بعدك . يرضى للرضا ، ويسخط للسخط ، والذي يُسرّ خيرٌ من الذي يُعلن ، ولن يلي هذا الأمر احدٌ اقوى عليه منه » .

قال ابن قتيبة (٥٥) : « ثم دخل عليه اناس من اصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ! ألا ندعو لك طبيباً ينظر اليك ؟ فقال : قد نظر اليّ . قالوا : فماذا قال ؟ قال : إني فعّال لما اريد . . . ثم دعا عثمان بن عفّان ، فقال اكتب عهدي ، فكتب عثمان واملى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها ، وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ، فإن تروه عدل فيكم ؛ فذلك ظنّي به ورجائي فيه ، وإن بدّل وغيّر فالخير اردت ، ولا اعلم الغيب . وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه » .

وفي تأريخ الخلفاء للسيوطي (٥٦) ، باسناد يرويه : « لما ثقل ابو بكر ، اشرف على الناس ، من كوّة ، فقال : ايها الناس ! إني قد عهدت عهداً ،

(٥٤) علي الطنطاوي — في كتابه : « ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٥
(٥٥) الإمامة والسياسة ؛ ص : ١٩
(٥٦) ص ؛ ٨٣ ، وعلي الطنطاوي ؛ ص : ٢٢٧ . ومختصر الموافقة للزمخشري

افترضونه ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله ! فقام عليّ ، فقال : لا نرضى إلاّ ان يكون عمر . قال : فإنه عمر » وقال ابن الأثير (٥٧) : « وكان ابو بكر اشرف على الناس ، وقال : أترضون بما استخلفت عليكم ؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة ، وإني استخلفت عليكم عمر ، فاسمعوا له ، وأطيعوا . فقالوا : سمعنا واطعنا » « واقرّوا بذلك جميعاً (٥٨) ، ورضوا به ثم بايعوا ، فرفع ابو بكر رضى الله عنه يديه ، فقال : اللهمّ إني لم ارد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما انت اعلم به ، واجتهدت لهم رأيي ، فولّيت عليهم خيرهم ، واقواهم عليه ، واحرصهم على ما ارشدهم . وقد حضرني من امرك ما حضر ، فأخلفني فيهم ، فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، واصلح لهم اميرهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبّع هدى نبيّ الرحمة ، وهدى الصالحين بعده ، واصلح له رعيته ، ثم دعاه فأوصاه » .

ويبدو ان بعض الصحابة — رضى الله عنهم — لم يرضهم استخلاف عمر ، وانهم عاتبوا ابا بكر على هذا (٥٩) : « فقال له قائل منهم : ما انت قائل لربك ، اذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد ترى غلظته ، وهو اذا ولي كان أفظّ واغلظ ! ؟ فقال ابو بكر ، رضى الله عنه — وكان نائماً في مرضه — : اجلسوني ، فلما جلس ، قال : أبالله تخوّفوني ! ؟ خاف من تزوّد من امركم بظلم ! اقول : اللهمّ إني قد استخلفت على اهلك خير اهلك . ثم قال للقائل : ابلغ عنّي ما قلتَ مَن وراءَك » .

(٥٧) الكامل ؛ ١/٤٢٤

(٥٨) علي الطنطاوي « ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٧ ، وطبقات ابن سعد وتأريخ الخلفاء

(٥٩) ينظر الإمامة والسياسة — لإبن قتيبة ؛ ص : ١٩ . والطنطاوي في كتابه ؛ ابو بكر الصديق ؛ ص : ٢٢٥

« وعن معيقب بن ابي فاطمة(٦٠) . قال : كنت على نفقة ابي بكر ، فلما كان مرضه الذي توفى فيه ، أتيته فوجدت عنده بعض الصحابة خالياً به يعاتبه باستخلافه عمر ، فأردت ان ارجع ، فأشار اليّ ان اجلس فجلست ، فارتفع الكلام ، فسمعت ابا بكر ، يقول : لا والله ، ولا نعمة عين ، هو والله خيرٌ لكم ، والله ! لو وليّتك لجعلتَ انفك في السماء ، ولرفعتَ نفسك فوق قدرك ، حتى يكون الله هو الذي يضعك .... ثم قام فخرج ؛ فدنوت منه إذ قيل : عثمانُ وعليٌ بالباب ... فأذن لهما ، ثم قال : لعلكما تقولان في عمر ، ما قال فلانٌ آنفاً ؟ قالا : وما ذا قال يا خليفة رسول الله ؟ قال : زعم ان عمر احدثكم اسلاماً و (ذكر خصالاً اخرى) . قال عثمان رضى الله عنه : بئس لَعَمرُ الله ما قال فلان . عمر بحيث يحب من قوّته مع سابقته . وقال عليّ رضى الله عنه : بئس ما قال : عمر عند ظنّك به ، ورأيك فيه ، إن وليته ، مع انه قد كان والياً معك ـ تحظى برأيه وتأخذ منه ، فامض لما تريد ، ودع مخاطبة الرجل ، فإن يكن على ما ظننت إن شاء الله فله عمدتَ ، وإن يكن ما لا تظن لم ترد إلا الخير » .

وقالوا : إن ابا بكر قال : (٦١) « والله ما آسى الا على ثلاث فعلتهن ، ليتني كنت تركتهنّ ، وثلاث تركتهنّ ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهنّ » قال ابن قتيبة (٦٢) : « ... واما الثلاث اللاتي كنت اودّ اني سألت رسول الله صلّى عليه وسلم عنهنّ ؛ فليتني سألته لمن هذا الأمر من بعده ؟ فلا ينازعه فيه احد . وليتني كنت سألته هل للأنصار فيها

(٦٠) الكتاب السابق ؛ ص : ٢٢٧ — ٢٢٨ ،. ومختصر الموافقة للزمخشري .
وفي حاشية الطنطاوي ، عن معيقب ، انه شهد المشاهد بعد بيعة الرضوان وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم على بيت المال لعمر ، ثم كان على خاتم عثمان ، ومات في خلافته ، وقيل : عاش الى بعد الأربعين « رضى الله عنه »

(٦١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٣٠٨/١ ط — بيروت

(٦٢) الإمامة والسياسة ، ١٩/١

– أي الخلافة – من حق ، وليتني كنت سألته عن ميراث بنت الأخ والعمّة ، فإن في نفسي من ذلك شيئاً » .

وبعدُ ، فقد افضنا في الحديث عن ابي بكر ؛ في موقفه من الخلافة . لقد ودّ رحمه الله – لو انه سأل الرسول الكريم عمن يلي امرها بعده ، وعمّا إذا كان للأنصار فيها من حق . وحين لم يكن هذا ، رأى اخذاً بالآية الكريمة : « امرهم شورى بينهم » ان يشاور فيها اهل المكانة والرأى من الصحابة الكرام . وحين اشاروا عليه باستخلاف عمر ، عمل برأيهم ، واعان هذا للناس ، وبيّن لهم انه راعى صالح المسلمين ، ولم يعهد بها الى ذي قرابة له .

ولا عجب في هذا . لقد كرّس – رحمه الله – ماله ، وحياته في سبيل الإسلام . وكانت وصيّته لابنته عائشة – رضى الله عنهما – (٦٣) : « إننا منذ ولينا امر المسلمين ، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً . ولكن قد اكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا . فانظروا ما زاد من مالي ، منذ دخلت هذه الإمارة ، فابعثوا به الى الخليفة من بعدي وابرأوا منهن ؛ فإني قد كنت استحلّه واستصلحه جهدي » « فإذا (٦٤) انا متّ فردّي اليهم صحفتهم ، وعبْدهم ، ولقحتهم ورحاهم ، ودثارة ما فوقي اتقيت بها البرد ، ودثارة ما تحتي اتقيت بها نزّ الأرض . كان حشوها قطع السعف » و « انظروا (٦٥) ملاءتيّ هاتين ، فإذا متّ فاغسلوهما ، وكفّنوني فيهما . قالت عائشة : يا ابتاه ! قد رزق الله واحسن ؛ نكفّنك في جديد . قال : إن الحيّ احوج الى الجديد يصون به نفسه من الميت . إنما يصير الميت الى الصديد والى البلى » .

(٦٣) الطنطاوي ؛ ص : ٢٣١ نقلا عن : ابن سعد
(٦٤) العقاد ؛ عبقرية الصديق ؛ ص ١٧٧
(٦٥) الطنطاوي ؛ ص ٢٣٢ ، نقلا عن ابن سعد

وولّى عمر . يقول المسعودي عنه(٦٦)« وكان متواضعاً خشن الملبس ، شديداً في ذات الله . واتبعه عمّاله في سائر افعاله وشيمه واخلاقه . وكان يلبس الجبّة الصوف المرقعة بالأدم ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القربة على كتفه ، مع هيبة رُزقها » ويقول ابن قتيبة (٦٧) : « فعمل عشر سنين بعد ابي بكر ، فو الله ما فارَق الدنيا ، حتى احبَّ ولايتَه مَن كرهها . لقد كانت إمرتُه فتحاً ، واسلامه عزاً ونصراً . اتبع في عمله سنّة صاحبيه وآثارهما ، كما يتبع الفصيل اثر امّه . ثم اختار له الله ما عنده » .

ويذكر الطبري (٦٨) باسناد يرويه : « ان رهطاً اتوا عمر ، فقالوا : كثُر العيال واشتدّت المؤونة ، فزدْنا في اعطياتنا ، قال عمر : فعلتموها ! جمعتم بين الضرائر ، واتخذتم الخدم في مال الله عزّوجل ! اما والله لوددت اني واياكم في سفينة في لجّة البحر ، تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلاً منهم ، فإن استقام اتّبعوه ، وإن جنف قتلوه .. فقال طلحة : وما عليك لو قلت : إن تعوّج عزلوه ؟ فقال : لا ، القتل انكل لمن بعده » .

هذه حاله في خلافته ، وعمله ، وحرصه . امّا موقفه من الرأى وحرصه على الإستماع له ، فحسبنا منه ان يقف على المنبر ، فيقول : « ايها الناس ! مَن رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمه » فيرد عليه رجل من عرض الناس ، بقوله : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بسيوفنا » . ومع جفاف هذا الردّ وغلظه ، لا يرى عمر فيه بأساً ، بل يقول بلسان الحامد الشاكر : « الحمد لله الذي جعل في امّة محمد ، من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه » .

---

(٦٦) مروج الذهب ؛ ٣١٣/٢
(٦٧) الإمامة والسياسة ؛ ٢٣/١
(٦٨) تاريخ الطبري ؛ ٢١٣/٤

وفي المبسوط للسرخسي (٦٩) : « ان عمر كان يستشير الصحابة ، مع فقهه ، حتى اذا رفعت اليه حادثة ، قال : ادعوا لي علياً ، وادعوا لي زيداً . . . فكان يستشيرهم ، ثم يفصل بما اتفقوا عليه » وعن الشعبي ، قال : « كانت القضية ترفع الى عمر ، رضى الله عنه ، فربّما تأمّل في ذلك شهراً ، ويشير اصحابه » . وكان رحمه الله ، يُشتكى اليه من هجاء النجاشيّ الشاعر ، ومن هجاء الخطيئة ، ويسمع الهجاء ، وهو الأديب الذوّاقة ، العارف بالشعر ، فلا يرى ان يفصل في الأمر بغير الإستماع الى الرأى فيه .

هذه حالة في الحرص على الاستماع الى الرأى ، ثم كانت استشارته للكبرى في مَن يتولى الخلافة بعده . قال ابن قتيبة (٧٠) : « ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه ، وهو في البيت من جراحه تلك ، فقالوا : يا امير المؤمنين ! استخلفْ علينا . قال : والله لا احملكم حياً وميتاً . ثم ثم قال : إن استخلفت ، فقد استخلف من هو خيرٌ منّي ، يعني ابا بكر . وإن ادع فقد ودع من هو خيرٌ منّي ، يعني النبي عليه الصلاة والسلام . فقالوا : جزاك الله خيراً يا امير المؤمنين ، فقال : ما شاء الله راغباً ، وددتُ ان انجو منها لا لي ولا عليّ » ثم بلغه ان عائشة ، رضى الله عنها ترى الا يدع امّة محمد بلا راع ؛ لأنها تخشى عليهم الفتنة . ويقول ابن قتيبة ايضاً انه قال : « ولكني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله ، وهو عنهم راض ، فأرسل اليهم فجمعهم ، وهم عليّ ابن ابي طالب ، وعثمان بن عفّان ، وطلحة ابن عبيدالله ، والزبير بن العوّام ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، رضوان الله عليهم » وكان طلحة غائباً ، فقال : يا معشر المهاجرين الأولين ! إني نظرت في امر الناس ، فلم اجد شقاقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدي

(٦٩) فجر الإسلام لأحمد امين ؛ ص : ٢٣٩
(٧٠) الإمامة والسياسة ؛ ١/٢٥

شقاق ونقاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة ايام ، فإن جاءكم طلحة الى ذلك ، والإ فاعزم علتكم بالله الا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم . فإن اشرتم بها الى طلحة فهو اهل لها . وليصلّ صهيب هذه الثلاثة الأيام التي تشاورون فيها . واحضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من امركم شيئ ، واحضروا معكم الحسن بن عليّ ، وعبدالله ابن عبّاس ، فإن لهما قرابة ، وارجو لكم البركة في حضورهما ، وليس لهما من امركم شيئ . ويحضر ابني عبدالله مستشاراً ، وليس له من الأمر شيئ . قالوا : يا أمير المؤمنين ! إن في خلافته موضعاً فاستخلفْه ، فإنا راضون به ، فقال : حسبُ آل الخطّاب تحمّل رجل منهم الخلافة ، ليس له من الأمر شيئ . ثمّ قال : يا عبدالله إيّاك ثم إياك ، لا تتلبّسن بها » .

وتشاوروا بعد موت عمر ، وآل الأمر الى عثمان ، رضى الله عنه . قال ابن قتيبة ايضاً : « وبايع الناس جميعاً ، فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين في ولايته ، وهو احبّ الى الناس من عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . وكان عمر رجلاً شديداً ، قد ضيّق على قريش انفاسها ، ام ينل احد معه من الدنيا شيئاً ، إعظاماً له واجلالاً ، وتأسّياً به واقتداءً ، فلما وليهم عثمان ، وليَ رجل لين » .

— يتبع —

★ ★ ★

كتاب كيمياء العطر والتصعيدات
المنسوب للكندي

الدكتور جابر الشكري

(عضـو المجمع)

تمهيد :

دار حديث في احدى جلسات لجنة التراث العلمي العربي في المجمع العلمي العراقي حول كتاب « كيمياء العطر والتصعيدات » للكندي . فأبدى الأستاذ الفاضل الدكتور صالح أحمد العلي رئيس اللجنة رغبة لدراسة هذا الكتاب . وطلب الي ّ إعداد هذه الدراسة ، فلبيّت الطلب بكل ّ سرور ، شاكراً ايّاه واللّجنة الموقّرة على الثقة التي غمروني بها .

ان هذا الكتاب هو أوّل كتاب تراثي ترد فيه كلمة « كيمياء » بمعناها العلمي الحديث ، فهو يبحث في تحضير أكثر من مئة عطرٍ . وقد استعمل المؤلف نحو مئة وخمسين مادة أوليّة ، غالبيّتها أعشاب ونباتات عطريّة معروفة ، واستعمل أيضاً أجهزة وأدوات مختبريّة ممتازة ، بغية اجراء التجارب والعمليّات التقنيّة اللا ّزمة للتحضير .

لقد ترجم الكتاب الى اللّغة الألمانيّة ترجمة واضحة لا غموض فيها ، مع مقد ّمة طويلة وافية جداً . وقد وجدت في أوّل المقد ّمة عبارات وبضع جمل كان الأجدر بالناشر الفاضل أن يتثبّت من صيغها ، لأنها لا تتفّق مع الترجمة الدقيقة للنصّ العربيّ التي أوردها اكل ّ صنعة من الصنعات .

وأقول جازماً ، لو أن المرحوم العلا ّمة « بروكلمان » اطّلع عليها لما أجازها . وقد أفردت لهذا الأمر ملحقاً بالبحث ، ووضعت النص ّ الألماني مع ترجمته أمام القارئ الكريم ، ليكون الحكم في هذه المسألة .

ووجدت من المناسب أن أبوّب دراستي على النحو الآتي : —

الباب الأوّل : — جرد ودراسة ما يتيسّر لي من المؤلّفات العربيّة في الأطياب والعطور .

الباب الثاني : — وصف الكتاب بحسب ما ذكره الناشر .

الباب الثالث : — الصنعات التي يُذكر فيها البيع ، والتجارة ، والسَّفر وغيرها .

الباب الرابع : — صور من كتب الكندي ونماذج من كتاباته .

الباب الخامس : — هل الكتاب من تأليف الكندي ؟

الباب السادس : — خلاصة البحث .

ملحق ...

الباب الأوّل

المؤلّفات العربيّة في الأطياب والعطور

ذكر ابن النديم (١) عشرة كتب هي : —

١ — كتاب العطر : الّف ليحيى بن خالد . (لم نقف على شيءٍ منه) .

٢ — كتاب العطر : لابراهيم بن العباس . (وهو ابراهيم بن العباس ابن محمد بن صول الكاتب) أحد البلغاء والشعراء ، وله كتاب العطر . (ص١٣٦) وذكره اسماعيل باشا البغدادي (٢) . وقال فيه ياقوت الحموي (٣) نقلاً عن ابن النديم . وقد مات ابراهيم في شعبان سنة ٢٤٣ هـ ، وهو يتولى ديوان الضياع والنفقات بسامرا .

(١) الفهرست ، ص ٣٧٨ . توفي في شعبان سنة ٣٨٠ هـ = ٩٩٥ م .
(٢) هدية العارفين / ٥ / ص ٢ .
(٣) معجم الأدباء ، ١ / ص ٢٧٧ .

٣ – كتاب العطر : للكندي .

٤ – كتاب كيمياء العطر : للكندي . (وفي سياق كلامه عن الكندي في ص ٣٢ ، ذكر من كتبه : أ – كتاب رسالته في العطر وأنواعه .

ب – كتاب رسالته في كيمياء العطر .

وذكر القفطي (٤) : أ – كتاب كيمياء العطر . ب – رسالته في العطر وأنواعه . وقال ابن ابي أصيبعة (٥) في الكندي : – ومن كتبه : أ – رسالة في العطر وأنواعه . ب – رسالة في كيمياء العطر .

وذكره « بروكلمان » نقلاً عن الفهرست . الا ّ أنه قال : كيمياء العطر والتصعيدات . وذكره « سزكين » باسم كيمياء العطر والتصعيدات أيضاً . ويظهر ان بروكلمان وسزكين أخذا العنوان من الكتاب الذي نشره « كاربرس » وهو موضوع حديثنا الآن .

٥ – كتاب كيمياء العطر : المؤلف مجهول .

٦ – كتاب آخر في العطر والتركيبات . المؤلف مجهول .

٧ – كتاب العطر : لحبيب العطّار . (لم نقف على شيْ منه) .

٨ – كتاب العطر وأجناسه : للمفضّل بن سلَمة .

وذكر في الفهرست (ص ٨٠) : هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغويّ عالم ، كوفي المذهب ، مليح الخط ، ومن كتبه : – أ – كتاب الطيف . ب – (كتاب البلاد) والزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر . ج – وذكر كتاب « المطيب » أيضاً .

وقال ابن خلّكان (٦) : أ – كتاب الطيف . ب – كتاب الزرع والنبات ، وتوفى المفضل في المحرم سنة ٣٠٨ هـ ، وهو في غضّ الشباب .

---

(٤) اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٦ . توفى القفطي سنة ٦٤٦ هـ .
(٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ص ٢٩٢ . توفى في سنة ٦٦٨ هـ .
(٦) وفيات الأعيان / ج ٢٣ ص ٣٤٣ . توفي في سنة ٦٨١ هـ .

وقال الزركلي (٧) : المُفَضَّل بن سلمة بن عاصم أبو طالب ، لغوي ، عالم بالأدب ، ومن خاصّة الفتح بن خاقان وزير المتوكل . ومن كتبه : أ — كتاب الزرع والنبات . ب — كتاب الطيف . (توفى نحو ٢٩٠ هـ) .

لم نجد للمفضل كتاباً بعنوان « كتاب العطر وأجناسه » كما ذكر ابن النديم . ولا ندري أهــو من ضمن كتاب الزرع والنبات ، أم هــو أحد فصوله ؟ وقد يكون الاسم لهذا الكتاب « كتاب الطيب » ؟ .

٩ — كتاب العطر وأجناسه ومعادنه — لرجل جبلي يقال عنه ....

١٠ — وذكر ابن النديم أيضاً (ص ١٩٧) كتاب العطر للشطرنجي (وهو من ضمن الكتب المصنّفة في الآداب لقومٍ لم يعرف حالهم على استقصاء) .

ملاحظة :

يظهر من ذلك ان للكندي كتابين ، هما كتاب العطر . وكتاب كيمياء العطر . ولم نجد ذكراً للكتاب الأول . وقد ذكر الكتاب الثاني الذي يُميّز بلفظة « كيمياء » وقد زيدت كلمة « التصعيدات » فقيل فيه « كيمياء العطر والتصعيدات » وهو الكتاب الذي نحاول القاء نظرة عليه .

وكُتِبَ عن العطور والأطياب في كثيرٍ من الكتب العربيّة ، نوجز منها ، بحسب تواريخ مؤلّفيها : —

١ — كتب « العسكريّ » المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ مصطلحات جيّدة في الطيب و العطور (٨) .

(٧) الأعلام / ج ٨ ، ص ٢٠٣ .

(٨) كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري / ج ١ ، ص ٣٨٤ / تحقيق الدكتور عزة حسن / دمشق ١٩٦٩ .

٢ — وعقد « ابن سيده » المتوفى سنة ٤٥٨ ه باباً طويلاً عن الرياحين وسائر النبات الطيّب الريح ، وما يتعلّق بالأطياب وأسمائها (٩) .

٣ — وأورد « الزمخشري » ، « ٤٦٧ — ٥٣٨ ه » فصلاً ممتعاً عن الروائح وما جاء في الطيب وألوانه من مفردة ومركّبة (١٠) .

٤ — وبحث « النويري » المتوفى سنة ٧٣٣ ه في كتابه « نهاية الأرب — الجزء الثاني عشر » موضوع الطيب بحثاً رائعاً . وسنتحدث عن هذا الكتاب فيما بعد . .

٥ — وتكلّم « القلقشندي » المتوفى سنة ٨٢١ ه في كتابه « صبح الأعشى — الجزء الثاني » عن نفيس الطيب ، وما يحتاج الكاتب الى وصفه . ولنا في هذا حديث يأتي فيما بعد .

٦ — وذكرت في « كتاب الافصاح » أسماء ومصطلحات ممتازة عن الطيب والعطور (١١) .

كتاب زاد المسافر :

توجد في مكتبة المجمع العلمي العراقي — قسم المخطوطات — مخطوطة تقع في (٣٧ ورقة — ٦٤ صفحة) أوّلها : رب يسّر يا كريم — بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . كتاب عمل العطريات المنتخبات ....

---

(٩) المخصص لابن سيده /ج ٣ ص ١٩٣ .

(١٠) ربيع الأبرار للزمخشري / ج ٢ ، ص ٢٦٥ تحقيق الدكتور سليم النعيمي/ وزارة الأوقاف / بغداد ١٩٨٢ .

(١١) الافصاح في فقه اللغة / تأليف حسن يوسف وعبدالفتاح الصعيدي /ج ٢ ، ص ٣٥٧ . القاهرة ١٩٦٤ م .

وجاء في الصفحة الأولى من المخطوطة : « من كتاب زاد المسافر بتمامها تمّ الكتـــاب المبارك وهـــو يوم الخميس ١٢ رجب الفرد من شهور سنة (٩٠١ – ١٠٠٠ هـ) . وذلك برسم الجناب العالي حاوي أصناف المفاخر والمعالي ، حكيم زمانه وفريد عصره وأوانه ، سيدي حسين لطف ...

وهذه النسخة مصوّرة من المكتبة الوطنيّة .

Bibliothequ Nationale, Arabe 2884.

ذكر ابن النديم « كتاب زاد المسافر لابن أماجور (١٢) . وقال أيضاً » كتاب زاد المسافر وخدمة الملوك « لأحمد بن الطيّب » (١٣) .

وقال حاجي خليفة (١٤) . كتاب زاد المسافر للشيخ حسين ....

ولا ندري لمن يعود هذا الكتاب ، مع العلم أنّه يضم مجموعة لا بأس بها من العطور وطرق تحضيرها .

صُبح الأعشى (الجزء الثاني عشر) :

عقد القلقشندي (٧٥٦ – ٨٢١ هـ = ١٣٥٥ – ١٤١٨ م) في هذا الجزء من كتابه فصلاً بعنوان « نفيس الطيب » تناول فيه بعض الأطياب ، كالمسك والعنبر والعود والصندل . وكان بحثه فيها يتناول مصادر ها وأوصافها . وقد غلبت عليه الناحية التاريخية والأدبيّة . ويهمّنا من البحث المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي ، وهي : —

(١٢) الفهرست ، ص ٣٣٨ . وهو أبو القاسم عبدالله بن أماجور .
(١٣) الفهرست ، ص ٣٢١ . وهو أبو العباس أحمد بن محمد .
(١٤) كشف الظنون / ج ٢ ، ص ٩٤٦ . وقال : — زاد المســافر : في الطب لابن الجزار أحمد بن ابراهيم الطبيب الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
ولأبي العباس أحمد بن محمد السرخسي الطبيب المتوفى سنة ٢٨٦هـ .
ولأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة .... وللشيخ حسين .

باب المسك : — ١ — محمد بن أحمد التميمي المقدسي ، وكتابه الذي سمّاه « طيب العروس » (ص ١١٩) . ٢ — أحمد بن يعقوب (ص ١٢٠).

باب العنبر : — ١ — التميمي . ٢ — أحمد بن يعقوب . وذكر اسم الحسين بن يزيد السيرافي (ص ١٢٣) .

باب العود : — ١ — التميمي . ٢ — محمد بن العباس (ص ١٢٥) . ٣ — محمد بن العباس الخشيكي (ص ١٢٦) . ٤ — الحسين بن يزيد السيرافي (ص ١٢٧) . ٥ — أحمد بن العباس (ص ١٢٩) .

باب الصّندل : — التميمي .

ملاحظة : — لم نقف على ترجمة أحد منهم سوى التميمي . ويظهر من هذه القائمة ان القلقشندي اعتمد كثيراً على التميمي . وسنذكر ترجمته بعد ذلك .



نهاية الأرب :

خصّص النويري (١٥) الجزء الثاني عشر من كتابه القيّم « نهاية الأرب في فنون الأدب » بدراسة الطيب والبخورات والغوالي والندود والمستقطرات الخ.

وقد بحث عن الأطياب بحثاً في غاية الروعة والدّقة ، سواء أكان ذلك من الناحية العلميّة ، أم كان ذلك من الناحية التاريخيّة ، أم كان ذلك من الناحية الأدبيّة . وأجاد « أحمد الزين ، المُصَحِّح » فيما أورده من تعليقات وشروحات حول المصادر التي اعتمد عليها النويري ، وكذلك التعليقات على أسماء النباتات والرياحين وغير ذلك .

---

(١٥) هو شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (٦٧٧ — ٧٣٣ هـ = ١٢٧٨ — ١٣٣٣ م) عالم باحث غزير الاطلاع ، ونسبته الى نويرة (من قرى بني سويف بمصر ، مولده ومنشأه بقوص . وتوفى في القاهرة / الأعلام ١ / ١٥٨ .

لقد اعتمد النويري على مصادر عدّة ، وذكر في كل بابٍ من أبواب الكتاب أسماء من أَخَذَ عنهم في هذا العطر أو ذاك . وقد حاولنا احصاء مصادره لنكون على بيّنة من ذلك ، والافادة منها في موضوعنا الرئيس وهو دراسة « كتاب كيمياء العطر والتصعيدات » .

تعليق :

وبهذه المناسبة أرى لزاماً عليّ أن أقدِّم وافر الشكر والامتنان للمؤرخ الكبير العلاّمة الدكتور صالح أحمد العليّ — رئيس المجمع العلمي العراقي — لما أبداه لي من ملاحظات قيمّة ، ولإرشادي الى هذا الكتاب .

المصادر التي اعتمد عليها النويري في موضوع الطيب الواردة في الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب مرتّبة بحسب الموضوعات

(من صفحة ١ الى ١٤١)

المسك : محمد بن أحمد بن الخليل بن سعيد التميمي المقدسي (١٦) في كتابه « بجيب العروس وريحان النفوس — ص ٢ » وجاء اسم الكتاب في مكان آخر « جيب العروس » . وقد ذُكر الكتاب في صبح الأعشى باسم « طيب العروس » . ولم يذكر هذا الكتاب في طبقات الأطباء ولا في كشف الظنون .

---

(١٦) التميمي المقدسي الطبيب واسمه محمد بن احمد بن سعيد . كان موجوداً بمصر في حدود سنة ٣٧٠ هـ . لم يذكر له هذا الكتاب (عن القفطي ص ٧٤) .
عن ابن ابي أصيبعة ، ص ٥٤٦ .
هو أبو عبدالله محمد بن سعيد التميمي ، كان مقامه أولا بالقدس ... =

محمد بن أحمد العباس المسكي .

محمد بن أحمد (ص ١٠ و١٥) ولا ندري هل يقصد التميمي أم المسكي أم غيرهما .

الحسين بن يزيد السّيرافي ، وهو من أهل الخبرة ببرّ الصين وغيرها .

محمد بن يعقوب .

العنبر : التميمي ، وقال حدثّني ابي عن ابيه عن أحمد بن ابي يعقوب .

الحسين بن يزيد السيرافي .

احمد بن أبي يعقوب .

العود : التميمي . محمد بن العباس . أحمد بن أبي يعقوب . محمد بن العباس المسكي في كتابه .... وقد يقال المشكي ، لكن الصحيح فيما يظن المسكي .

(تطرية) العود الأبيض : التميمي ..... فيما نقله عن ابي بكر محمد بن احمد المعروف بأبي البوّاب .

الصندل : التميمي .

السُنبل الهندي والقَرَنْفُل : أحمد بن أبي يعقوب . محمد بن العباس المسكي . التميمي .

=

له معرفة جيدة بالنبات وماهيته والكلام فيه . وكان متميزاً في أعمال صناعة الطب . لم يذكر له كتاب = يجيب العروس .... أو أي كتاب في العطر .

عن الزركلي ص ٢٠٣ ج ٣ :

هو محمد بن احمد بن سعيد التميمي ، أبو عبدالله ، طبيب ، عالم بالنبات والاعشاب ، ولد في القدس وانتقل الى مصر ، وتوفي بالقاهرة نحو ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م . ولم يشر الى كتاب العطر .

لم يذكر الكتاب بروكلمان ولاسزگين .

القُسْط وأصنافه : التميمي في جيب العروس .

الغوالى : الزّهـّراوي (١٧) في كتابه .... التميمي ... في كتابه « جيب العروس » . في باب الغوالي : — وغالية نَسَبَهَا التميمي الى كتاب الحسن المصري (والبصري في الأصل خطأ) . وهو أبو الحسن علي بن رضوان المصري . وغالية تسمّى السّاحريّة . وقد ختم بها التميمي باب الغوالي .

أحمد بن يعقوب ... وغالية من غوالي الخلفاء . محمد بن العبّاس .

النّدود : التميمي ... صَنْعة ندٍ تركيبه لأبي سعيد يانِس الفارسيّ .

ندٌّ كانت بنان العطّارة تصنعه للواثق بالله . وندٌّ تصنعه لجعفر المتوكل على الله ، ندٌّ كانت ام الخليفة المقتدر بالله تصنعه وتبخّر به الكعبة وصخرة بيت المقدس في كلّ جمعة .

ندٌّ ..... عن ام أبيها بنت جعفر بن سليمان .

عمل الرّامك والسُّك : التميمي . ابن يعقوب .

الأدهان : التميمي . أحمد بن أبي يعقوب . أبو عمران موسى اليهودي المعروف بالبانّي (وهو غير موسىّ بن ميمون الطبيب) . أبو سعيد اليهودي العطّار . (لم يذكر اسماهما في عيون الأنباء ، ولا في غيره من الفهارس) سعيد بن عمّار البانيّ . أبو عمران بن الحارث الباني . على ابن عمران موسى ابن الحران الباني ..... على ما ورد في « كتاب العطر المؤلّف للمعتصم بالله .

---

(١٧) هو خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي ، أبو القاسم . كان طبيباً فاضلا . اشهر من ألف في الجراحة عند العرب . ولد في الزهراء (قرب قرطبة) . وكان الزهراوي خبيراً بالادوية المفردة والمركبة له تصانيف مشهورة في الطب ، افضلها كتابه المعروف « بالزهراوي » وله كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » وهو اكبر تصانيفه واشهرها . (الأعلام /٢/ص٣٥٨ . وطبقات الأطباء ص ٥٠١) . توفى الزهراوي بحدود سنة ٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م .

(لم يذكر هذا الكتاب في الفهرست ولا في كشف الظنون) وقد نقل التميمي عنه . محمد بن العباس .... دُهن الحَماحم (وهو الحبق الكرماني) .

دهن التّفاح : دهنٌ ألّفه التميمي . الدهن البرمكي يقوم مقام الغالية . صنعة دهن صنع للمأمون من كتاب « يوحنّا بن ماسويه » (١٨) وكذلك : « دهن برمكيّ مُبخّر من كتاب « ماسويه » .

دهن العنبر : التميمي عن كتاب ابن العباس ..... منقول من كتاب المعتصم . قال يوحنّا بن ماسويه في صنعة دُهن الغافية ....

---

(١٨) يوحنا بن ماسويه ، ابو زكريا (توفى سنة ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م) . من علماء الأطباء السريان ، عربي المنشأ . خدم الرشيد والمأمون والمتوكل . وتوفى بسامراء ... وله كتاب = جواهر الطيب المفردة = الأعلام ٢٧٩/٩ .

* القفطي :ـ لم يذكر هذا الكتاب .

* السامرائي الدكتور كمال / مختصر تاريخ الطب العربي ج ١/ ص ٤٢١ ، بغداد ١٩٨٥ م . قال :ـ كتاب جواهر الطيب المفردة بأسمائها وصفاتها ومعدنها . ويبحث في أنواع العطور وكيفية استخراجها من مواطن وجودها (جامعة القاهرة) . وقد حدثنا الدكتور السامرائي مشكوراً واشار الى ان ما ذكر في كتابه « جواهر الطبيب هو خطأ مطبعي ، اذ الصحيح هو = جواهر الطيب » .

* المقدمة من كتاب = الجواهر وصفاتها = لابن ماسويه / تحقيق الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف / مطبعة دار الكتب ١٩٧٧ م . حيث قال :

جواهر الطيب / لابن ماسويه . بحث فيه أنواع العطور النفيسة وكيفية استخراجها واستجلالها . ومواطن وجودها وأثمانها . ومما قاله : ورد عنوانه في الفهارس الخطية لمكتبة جامعة القاهرة على صورة « جواهر الطبيب » وقد طبع هذا الكتاب . ويؤكد لنا الدكتور عبدالسلام ان العنوان لهذا الكتاب هو « جواهر الطيب » اذ وقف عليه بالقاهرة .

وذكره « بروكلمان » بعنوان : جواهر الطيب المفردة / Band I : 266 .

وقال « سزگين » كتاب جواهر الطيب المفردة بأسمائها وصفاتها ومعادنها / Band III : 233 .

عمل النضوحات والمياه المستقطرة وغير المستقطرة

التميمي . صنعة عمل نضوح نقلتهُ من كتاب الزهراوي . ماء الزعفران عن ابن ماسويه .

ماء الورد : التميمي . كتاب الزهراوي . تصعيد ماء خلوق من كتاب ابي الحسن المصري .

صنعة ميسوس نادر :

أخذ عن الطبيب بَخْتَيْشُوع (١٩) من كتاب العطر ، المؤلف للخليفة المعتصم . التميمي عن أحمد بن ابي يعقوب . ماء العنب المطيَّب والعقيد المصنوع منه . وقد سمّاه اليميمي بهذه التسمية ونقله عن كتاب العباس ابن خالد .

صنعة عقيد ماء التفاح عن كتاب ابي الحسن المصري .... من كتاب محمد بن العباس .

ملاحظة مهمة :

لم نجد ذكراً للكندي في كل هذه المصادر إطلاقاً .

---

(١٩) بختيشوع : هو بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ابن جرجس ، طبيب سرياني الأصل مشهور ، خدم الخلفاء العباسيين ، ولاسيما الخليفة المتوكل (٢٠٦ ــ ٢٤٧ هـ = ٨٢١ ــ ٨٦١م) فعلت مكانته وأثرى حتى كان يضاهي الخليفة في الفرش واللباس .

توفي بختيشوع في سامراء سنة ٢٥٦ هـ = ٨٦٩م (السامرائي ٣٩٦) .

لم نقف على الكتاب الذي الفه للخليفة المعتصم (١٧٩ ــ ٢٢٧ هـ = ٧٩٥ ــ ٨٤١ م) . ولم يذكر في الفهرست أو أي معجم . ونستنبط من وصف الوليمة التي أقامها للخليفة المتوكل أن بختيشوع كان مهتماً بالعطور والرياحين لكثرة ماله ووفرة جاهه . وربما كتب في الطيب ، كما كتب في الطب (طبقات الاطباء ، ص ٢٠٥) لم يذكر سزگين هذا الكتاب .

جدول بأسماء الخلفاء العباسيين والأطباء الذين عاصروهم

الخليفة	سنة الوفاة	الطبيب	سنة الوفاة
	هـ		هـ
المأمون	٢١٨	جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس وله كتاب في صنعة البخور ألّفه للمأمون	٢١٣
المعتصم	٢٢٧	ابن ماسويه	٢٤٣
الواثق	٢٣٢	بختيشوع بن جبرائيل	٢٥٦
المتوكّل	٢٤٧	الكندي	٢٥٨

توفي التميمي سنة ٣٨٠

كُتِبَ « كتاب الكندي » سنة ٤٠٥ .

توفي ابن النديم ٤٣٨ .

توفي القفطي ٦٤٦ .

توفي ابن ابي أصيبعه ٦٦٨ .

ملاحظة : – من المحتمل جداً أن ناسخ الكتاب المنسوب للكندي قد عاصر التميمي .

ومن المحتمل أيضاً ان ابن النديم أخذ كتاب « كيمياء العطر » من الناسخ وسجّله في الفهرست .

الباب الثّاني
وصف الكتاب
بحسب ما ذكره الناشر

ترجم السيد « كارل كـّاربرس — Karl Garbers » « كتاب كيمياء العطر والتصعيدات ، للكندي » ونشرته الجمعيّة الألمـانية للاستشراق ، وطبع في لايبزك سنة ١٩٤٨ م ، بعنوان :

Kitab Kimiya Al - itr
Wat - tasidat
von
Ya'qub b. Ishaq Al-Kindi
(Deutsche Morgenlaendische Gesellschaft Leipzig 1948

(الصورة رقم ١)

ومما يقوله في المقدّمة ما يأتي : — إني عملت هذا البحث ونِلْتُ فيه شهادة الاستاذيّة ((Habilitation (Habil.))) من جامعـة برلين — قسم الفلسفة في سنة ١٩٤١ م .

ويشكر المؤلفُ الاستاذ الكبير « بروكلمان المتوفى سنة ١٩٥٦ م
((Herrn Geh. Rat Prof. K. Brockelmann 1868 — 1956))
على قراءته للمسوّدات ، وما أبداه من ملاحظات وآراء قيّمة .

ويقول : هذه من جملة أعمال الكندي الكثيرة . وتوجد المخطوطة في « أيا صوفيا برقم ٣٥٩٤ » وتتكوّن من ٩٠ صفحة ، وحجم الصفحـة ١٧٫٥ × ١٣ سم ، وتوجد في الصفحة الواحدة عشرة أسطر ، المخطوطة مكتوبة بالخط الكوفي . (*)

(*) عدد صفحاته المطبوعة ٦٠ صفحة .

إن المخطوطة التي بين أيدينا مستنسخة في ١٤ جمادى الأولى سنة ٤٠٥ هـ ، وعنوانها :

« كيمياء العطر والتصعيدات » وقد ترجم العنوان الى الألمانية ترجمة جيدة ، فقال :

Chemiè des Parfuems und Destillalionen

وقال : ذكر المخطوطة « هـ . ريتر H. Ritter)) » في مجموعة كتب الكندي الموجودة في مكتبات اسطنبول

(Archiv orientali Bb. 4, S. 371

(ولم يذكر عليها اسم الناسخ) .

لقد ذكر ابن النديم في الفهرست كتابين في العطر — كما ذكرنا سابقاً — وهذه النسخة عليها العنوان :



كتاب

يعقوب بن اسحق الكندي

في كيمياء العطر والتصعيدات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثيرا كما هو أهله ومستحِقّه وصلّى الله على محمد عبده ورسواه وآله وسلّم .

هذا كتاب الترقّق في العطر (الصورة رقم ٢) .

ولا ندري كيف زيادت كلمة « التصعيدات » أكانت هذه الكلمة فعلاً في النسخة الأصليّة ، أم ان هذا الكتاب برمّته هو كتاب آخر ، ونسب الى الكندي ؟ هذا ما سنحاول دراسته .

وورد في خاتمة الكتاب النصّ الآتي : — « تمّ الكتاب والحمد لله كثيرا وصلى الله على محمّد وآله وسلم تسليما . عورض به وصحّ والله نستعين

وفرغ من المُعارضة يوم الثُلاثاء رابع عشر جُمادَى الأُولى في سنة خمس وأربع مائة والصلوة على محمد وآله » (الصورة رقم ٣) .

ذكر « سزكين هذا الكتاب فيموسوعته ((B. III, S. 246)) وقال كيمياء العطر والتصعيدات ، وأتبع هذا العنوان بالجملة التي ذكرت فيه ، وهي « كتاب الترقّق في العطر » ولكن سزكين قال : كتاب الترفّق في العطر : K. at - Taraffuq fil - itr

والأستاذ الفاضل امّا أن يكون قد اطّلَع على نسخة أخرى ، أو أنّه وقع في لبسٍ من كلمة ترقّق ، فقال ترفّق .

نحن نميل الى الكلمة « ترقّق » وقد ترجمت في النص بكلمة verfeinerung وهي ترجمة تقابل الكلمة العربيّة ، ومعناها بالألمانيّة : دقيق ، أو رقيق ، أو ناعم . وقد اعتمد سزكين على هذا الكتاب كثيراً ، وأخذ منه المحتويات ، وذكر ذلك فعلاً في ص ٢٤٦ ، الجزء الثالث .

ولابُدّ من الاطلاع على المخطوطة الأصليّة انكون على علمٍ تامٍ منها ، ولتصحيح هذه الكلمة البسيطة ، إذ هي أبسط بكثير ممّا وجدناه في صلب الموضوع ، الذي سنحاول دراسته .

وبهذه المناسبة نقول ان ابن النديم ذكر في الفهرست ص ٣١٦ ، كتاباً ضمن كتب الكندي الفلسفيّة بعنوان « رسالته في الترفق في الصناعات » .

وذكر المخطوطة « بروكلمان — Suppl. I, S. 374 » وعنوانها : كتاب في كيمياء العطر والتصعيدات وهي المخطوطة التي بين أيدينا نفسها . حيث شكَرَ الناشر على نشرها وترجمتها ، كما قلنا .

KITĀB KĪMIYĀ' AL-ʿIṬR WAT-TAṢʿĪDĀT

BUCH ÜBER DIE CHEMIE DES PARFÜMS
UND DIE DESTILLATIONEN

VON

YAʿQŪB B. ISḤĀQ AL-KINDĪ

EIN BEITRAG ZUR GESCHICHTE DER ARABISCHEN
PARFÜMCHEMIE UND DROGENKUNDE
AUS DEM 9. JAHRH. P. C.

ÜBERSETZT VON

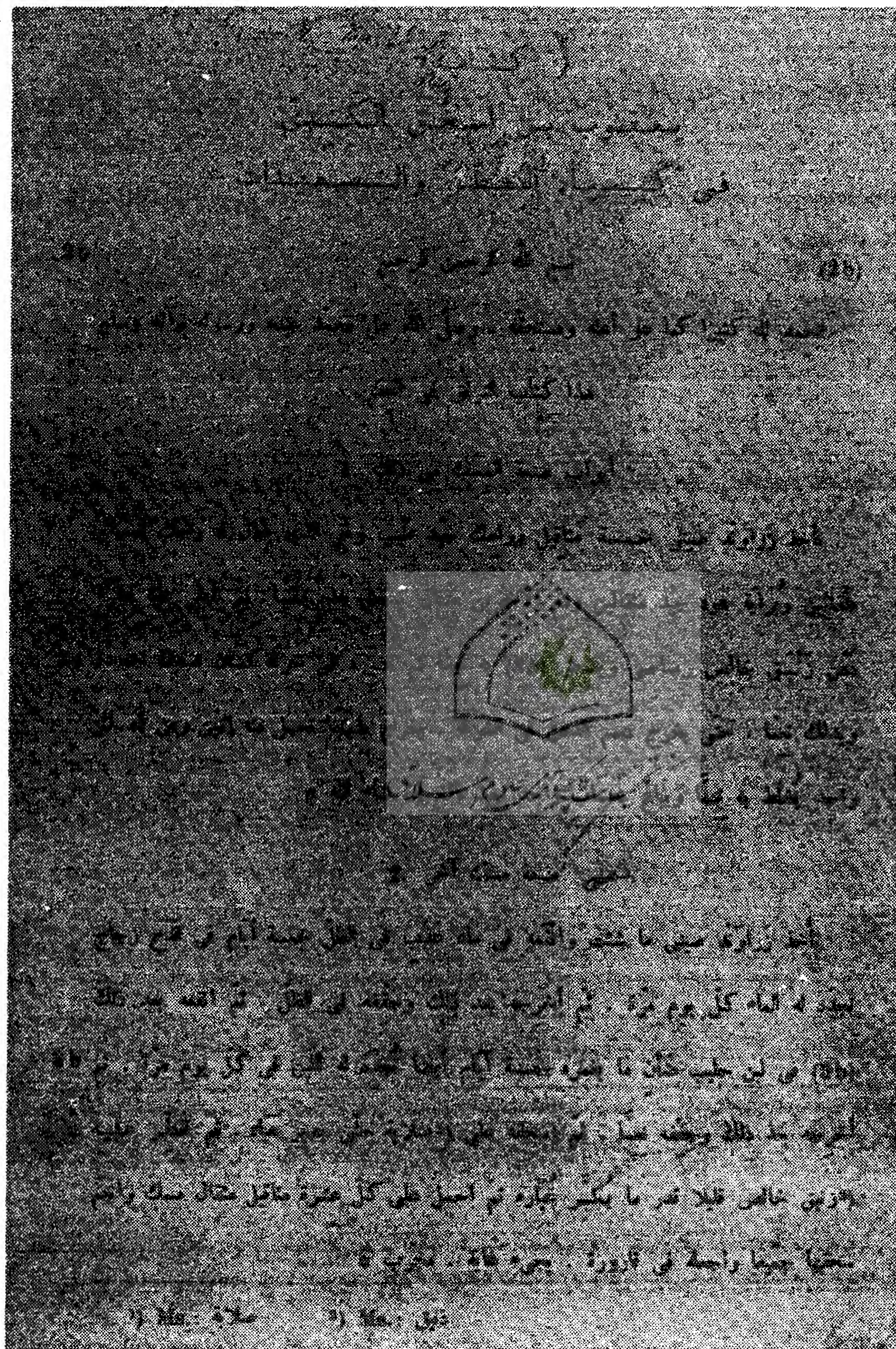
KARL GARBERS



DEUTSCHE MORGENLÄNDISCHE GESELLSCHAFT

KOMMISSIONSVERLAG F. A. BROCKHAUS
LEIPZIG 1948

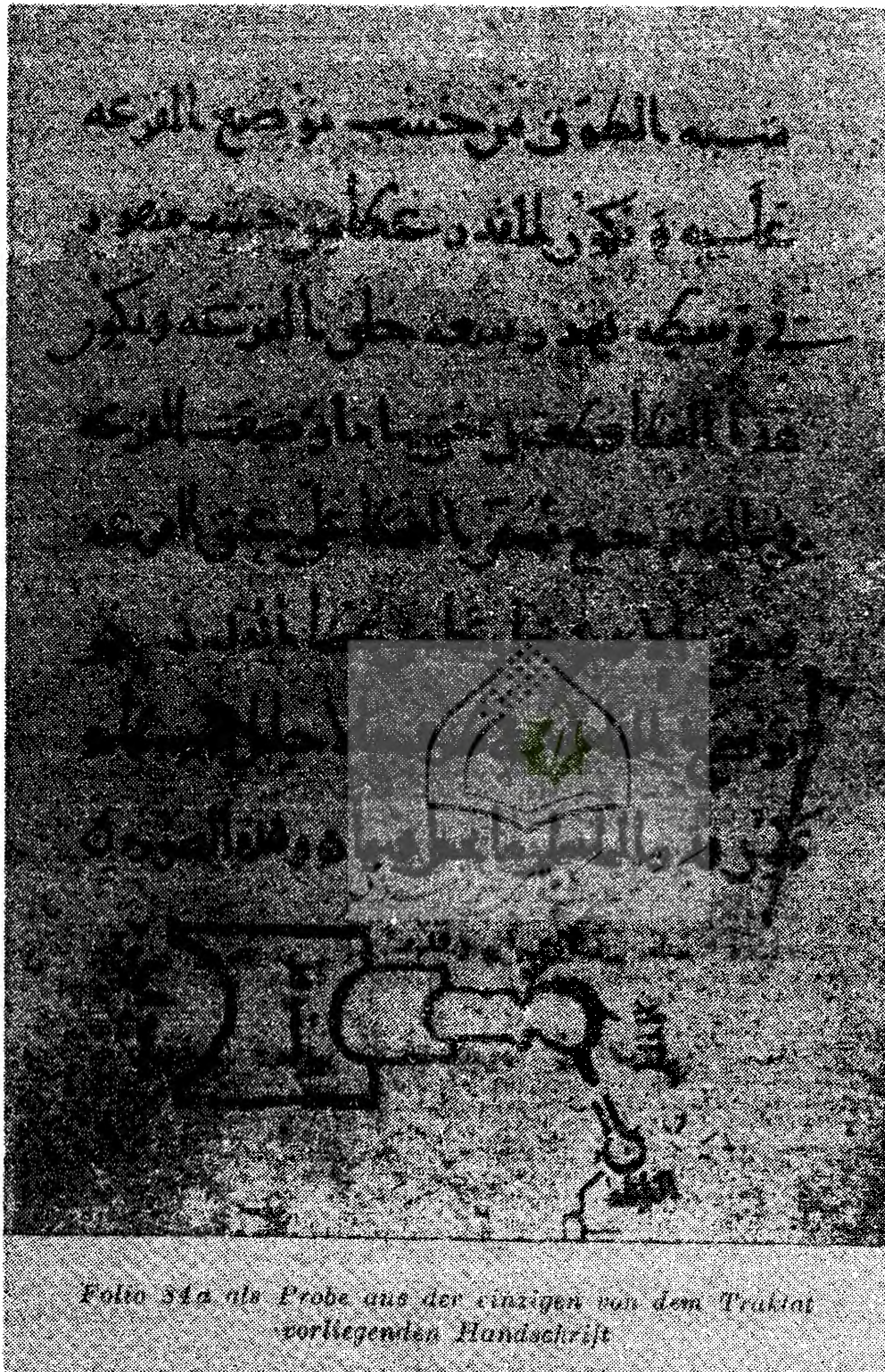
صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



Folio 34a als Probe aus der einzigen von dem Traktat vorliegenden Handschrift

صورة رقم (٤)

الباب الثّالث

الصنعات التي يُذكر فيها – البيع –

وردت في « الصنعات » بعض العبارات كالبيع ، والغش ، ودمشق ، ومصر .... الخ . وقد أوردها الناشر في المقدّمة ، ووجدنا من المناسب جرد هذه المصطلحات الواردة في النصّ العربيّ ، لنكون على بيّنة منها ، ولأنّها لا تتّفق وما تصوّرها الناشر الفاضل في مقدّمة الكتاب .

(تشير الأرقام الى رقم الصنعة في النصّ العربيّ) .

٣ – مسك ... وبعه كيف شئت .

٥ – مسك ... وبعه كيف شئت ممن شئت .

٧ – مسك ... ثم يباع كيف شئت .

٨ – مسك ... ثم بعها ممن شئت .

١٠ – مسك ... وبعه ممن شئت يجئ عجبا .

١١ – مسك : وحملتُ منه للواحد واحد ، وبعت منه مراراً كثيرة من العطّارين فلم ينكره . وبعت منه بدمشق جملة بثاثين ديناراً على أنه جاء معي من بغداد .

١٢ – صنعة تزيد في المسك : قال لي محمد بن هرثمة : دخلت على رجلٍ مشهور ببغداد من مياسير أصحاب المسك ... ثم عرضه على القوم ثم باعه وقد زاد زيادة صالحة .

(لم نجد لمحمد بن هرثمة ذكراً في الفهارس . جاء في النصّ « نزيد » وقد يكون فيه خطأ مطبعي . وقد ترجم الكلمة الى الألمانيّة ترجمة جيّدة فقال (hinzufuegen)) .

١٤ – العنبر .... من العنبر ويباع .

١٧ ــ زعفران ... بعه كيف شئت . لا ينكره أحد . لقد ترجمت الكلمة ــ لا ينكره ablehnen ، وهي تقابل النص تماماً . وجاء المصطلح نفسه في الصنعة ١٨ أيضاً .

١٩ ــ زعفران آخر : ويقول فيها كَرِّرْ العملية اذا لم تنجح في أوّل التجربة ــ وهذا عملٌ ممتاز يسير عليه الكيميائي الحديث في اجراء تجاربه . كما استعمل كلمة ablehnen مقابل لا ينكر .

٢١ ــ زعفران جيّد .... وبعه كيف شئت .

٢٤ ــ خلوق جيّد ، لا ينكره أحد ablehnen وممّا يقول .. وبعه بحساب الجيّد الغاية المحض ، أعني الزعفران ... انه لا ينكر في مَحْنَتَه .

ونورد النصّ الألماني : ــ

((Und verkaufe unter Berechnung des besten ...))

((Man wird er bezueglich seiner Reinheit nicht ablehnen.))

٢٦ ــ صنعة الورس ... ثم بعه كيف شئت ، لاينكر ((nicht ablehnen))

٣١ ــ صنعة عود لا ينكر . (nicht ablehnen) .

٣٢ ــ صنعة عود يُحكى (كذا في الأصل) الهندي في جودته وحُسنه .

... اذا أردت بيعه فلّقت القِطعة ...

٣٣ ــ أبواب صنعة الغوالي .

.... وهذه الصنعة أخذتها من ابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي وقد رأيته وقد عَمِلَه وفتّقه قُدّامي . وأخذت من هذا الجسد ودفعته الى كثير من العطّارين . فعمله وخرج عنه في حساب الغالية التي هي من مسك وعنبر وسُكّ مُرتفع فقط وجرى مجراها وبدل لي فيه مفروجها . . . . وعلّمته إيّاه فهو يعمله اليوم على وَصْفِنا .

ملاحظة : إستعمل المترجم كلمة بدّل بمعنى الغُشّ ، ويتصوّر ان في ذلك غشّاً للوصفة . وقد ترجم الكلمة بدّل الى الألمانيّة Vertauschung وهذا صحيح ، ولكنّه أخذ المعنى في المقدّمة « غُش » .

٣٤ — صنعة غالية أخرى قِطرانيّة كان يعملها ابان العطّار .

.... وهذا يُسمّى الرشيدي لأن وُلْد ابان يَزْعُمُون ان هذه الغالية (في النص هذا) كان ابان يعملها للرشيد فسميّت الرشيديّة . وقد يعملها على ما قلنا ولا يدخل فيها العنبر . (لم نجد ذكراً « لأبان » في الفهارس) (١).

٤٦ — صنعة غالية أخرى عجيبة :

.... قال أبو يوسف : وأمّا الذي اشتريتُه منه وعلِمتُه فقال لي ان الذي الذي اشتريتُه منه إنه حمَل على الأوقيّة من الجسد مثقالاً من المسك ، ومثقال عنبر ، وكان جيداً طيّباً .

فاذا دبّرته على ما أمرتُك اخلِطه نعما ثم صيّره في قدح زجاج صغير ثم يصير في ثلج أو ماءٍ باردٍ أو موضع باردٍ حتى يَجْمُدُ .....

ملاحظة : هذه هي عملية التبريد ، وهي تقابل الآن تماماً وضع المادة في الثلج أو الثلاّجة حتى تجمد .

٤٧ — صنعة غالية

أحمد بن علي

أخذتها منه بمِصر

..... أخبرني أحمد بن عليّ قال : — عمل هذه الغالية رَجُل من الحكماء

---

(١) ذكر الاسم : أم أبان : في ربيع الأبرار / ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

أطيب الطيب طيب أم أبان فارمسك بعنبر مسحوق

خلطته بعودها وبنان فهو أحوى على اليدين شريق

لخالد بن يزيد بارمينية لختان بعض أولاده . ففُتِّقت ثلاثة أصناف : صنف بالمسك والعنبر والبان على كل جُزأين (كذا في الأصل) من الرُكن جُزْء من المسك والعنبر وغُلِّف بها بَطارِقة البلد وصاحب الخراج والقاضي وأصحابه وأصحاب البريد . والدرجة الثانية ثلاثة أجزاء من الجَسَد وجزء من المسك وجزء من السُّك الجيّد ونصف جُزء عنبر ودبّره بالبان وغلّف بها القوّاد ومن أشبههم . والدرجة الثالثة خمسة أجزاء من الجَسَد وجزء من المِسْك وجزأين من العود وربع جزء عنبر ، ودبّره بالبان مثل الأوّل وغلّف بها الجند والتّجار وسائر الناس ، فاحتفظ بها أيها المالك لعلمها وعملها إن شاء الله .

ملاحظة : أ — لم نجد ذكراً لأحمد بن علي في الفهارس .

ب — استعمل المترجم الكلمة الألمانية König أي المَلِك ، مقابل الكلمة العربيّة المالك ، وهذا خطأ .

ج — هل سافر الكندي الى مصر ، كلاّ !!!

٥٠ — صنعة دهن زئبق جيّد .... وقد بيع منه بمالٍ ، مُجَرَّب .

٥٢ — صنعة دهن ورد غالية .... لا ينكرُه أحد من الناس . بعه كيف شئت .

ملاحظة : استعمل المترجم هنا الكلمة الألمانية zurueckweisen مقابل ينكره ، وهذا صحيح . وقد استعمل سابقاً — كما ذكرنا — ablehnen وتعطي المعنى ينكر ، أو يرفض .

٥٣ — صنعة دهن خيري مرتفع .... فجاء عجباً واكتسبت فيه مالاً .

٥٥ — صنعة دهن خيري آخر طيّب .... وقد بيع الأوّل وَحْدَه على أنّه خيري خالص .

ملاحظة : ليس في العمليّة أي غش كما ينوّه الناشر في المقدّمة . وذكر في هذه الصنعة أنواع الخيْريّ ، والمقصود هو الخُزامى ، إذ هو أنواع كثيرة.

٦٦ — ابواب عمل الكافور .

.... وقال لي أبو يوسف انّه عمل هذا الباب بغير رُخام ....

٦٧ — صنعة كافور آخر ...... وبعه ممن شئت ولا ينكره استعمل الترجمة zurueckweisen (صحيح) .

٦٨ — صنعة كافور آخر ..... وقد عملتُه واكتسبت منه .

٦٩ — صنعة كافور آخر .... وإن أردت أن تبيعه فاحمِل للواحد من هذا المُدَبَّر واحد ، وبعه كيف شئت ، لا ينكر في شيء من سَجيَّة الكافور . وقد عملناه .

(استعمل الكلمة zurueckweisen (صحيح) .

٧٤ — صنعة ماء كافور لا ينكر .... فإنه يَقطُر منه ماء كافور لا يَشُكُّ فيه عطّار ولا غيره مجرّب (لا ينكر zurueckweisen — صحيح .

ملاحظة : يحتمل أن يكون الكاتب عطّاراً .

٨٢ — صنعة التصعيد في الرطوبة وغير ذلك . وصنعة القرعة والأنبيق وصورتها .

يصف المؤلّف في هذه التجربة عمليّـــة التقطير Distillaltion ، وعملية التقطير بالبخار Steam Distillation ، وكذلك الأجهزة المستعملة وصفاً ممتازاً .

٨٣ — تصعيد الكافور .... يصف هنا عملية التسامي sublimation .

(ملاحظة : كان المقصود بالتصعيد ، هو كل أنواع التقطير المستعملة الآن . ومن ضمنها التّسامي) .

الباب الرّابع
صور من كتب الكندي
ونماذج من كتاباته ، بغية مقارنتها
مع ما ورد في كتاب — كيمياء العطر والتصعيدات —

قوى الأدوية المركبة — للكندي

نسخة مصوّرة مخطوطة من مكتبة مونيخ برقم ٨٣٨ / ٢٠ ورقة .
وهي من مكتبة مخطوطات المجمع العلمي العراقي . جاء في المقدّمة : —

بسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين أمين

(أهذه الجملة للناسخ أم للكندي ؟؟)

وفي النهاية :

والله الباقي والسبح لله دايما أمين تم الكتاب والله المهدي الي الصواب.

« من أقوال الكندي وانشائه الواردة في هذه المخطوطة » .

« فأقول ان اقسام تركيب الادوية يكون على ضروب كثيرة الا انه يرجع عند التجصيل الى ستة (في الأصل ستت) اضرب احدها تركيب الدوا الحار والثاني تركيب الدوا البارد مع الدوا البارد والثالث تركيب الدوا الحار مع البارد والرابع تركيب الدوا المعتدل مع الدوا المعتدل والخامس تركيب الدوا البارد مع الدوا المعتدل فاما تركيب الدوا الحار فيكون على ثلثة اضرب احدها ان تركيبه (في الأصل تركيب) مع حار مثله الثاني ان تركيبه (تركيب) مع حار فوقه والثالث ان تركيبه (تركيب) مع حار دونه فان كان تركيب الدوا الحار مع حار كان مثله لم يزد حر الدوا المركب ولم ينقص منه شي وان كان .... » .

رسالة الكندي في السيوف(٢)

يقول الكندي عند حديثه عن أنواع السيوف : « واما المولدة فتنقسم خمسة أقسام : منها الخراسانيّة وهي ما عمل حديده وطبع بخراسان ومنها البصريّة وهي ما عمل حديده وطبع بالبصرة . ومنها الدمشقيّة وهو ما عمل حديده وطبع بدمشق . ومنها المصريّة وهي ما طبع بمصر . ومنها المنصوريّة وهو ما حمل حديده من سرنديب وطبع بالمنصورة » .

تلخيص كتاب النفس لابي الوليد بن رُشد – تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الاهواني – القاهرة ١٩٥٠ م .

رسالة العقل للكندي – ص ١٧٨ –

المقدّمة :



بسم الله الرحمن الرحيم

العزّة لله

رسالة ابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي في العقل . فهّمكَ الله جميع النافعات وأسعدك في دار الحياة ودار الممات .

النهـــاية :

والحمد لله كثيراً بحسب استحقاقه فهذه آراء الحكماء الاولين في العقل . وهذا – كان الله لك مسددا – قدر هذا القول فيه ، إذا كان ما طلبت القول المرسل الخبري (كذا في الأصل) كاف فكن فيه سعيدا .

تمت الرسالة والحمد لله .

---

(٢) صناعة الفولاذ الدمشقي في التاريخ العربي / الدكتور احمد يوسف الحسن . حلب ١٩٧٢ م .
السيوف وأجناسها / الكندي – نشر وتحقيق عبدالرحمن زكي / مجلة كلية الآداب جامعة فوآد الأول ، ص ١ – ٣٦ / القاهرة ١٩٥٢ م .

نصوص ثلاث صنعات

في كتاب : كيمياء العطر والتصعيدات :

صنعة مسك (٥)

تأخذ عشرة مثاقيل سُنبل الطيب ومثله بُراية عودٍ ومثله قِرفَة رقيقة ونصف درهم كافور ومثقال قَرَنْفل جيّد ونصف دِرهم زعْفَرَان ودرهم وَرْس أسود ومثل هذه الأخلاط كُلّها سادوران . يُدَّق كل واحد من هذه وَحدهُ وينخل بحَريرة ويُعجن بماء وَرْد جُوريّ ويُقرص اقراصاً رقاقاً ويؤخذ جام قوارير ، فيُبْسَط فيه على خرقة مطيّبة ويُنقى عليه الغبار بأن يُركّب على الجام جام آخر ويُجَفّف في الظِّل . ثم يُسْحَق ويحمل على الواحد واحد مساك . وبِعه كيف شئت ممن شئت .

تصعيد ماء الزعفران (٨٥).

تأخذ من الزعفران الشعر ما شئت وصبّ عليه لكلّ أُوقية أربعة أرطال بالبغدادي ماءً . فاذا أردته أجود ما يكون فيكون الماء ورد ينقعه فيه من الليل . فاذا كان من الغد صيّرتَه في القرعة وصاعدته في رطوبة . يخرج كلّه ماء ورد في لونه ، ورائحته رائحة الزعفران المُتَفَتّق عجب طيّب جداً .

تصعيد ماء الورد اليابس (١٠٥) تأخذ ثلثة أرطال ورد يابس أحمر تنقيه من أَقْماعه . ثم تصبّ عليه ثلثة أرطال ماء وتتركه ثلثة أيام . ثم تداكه بيدك نعماً ، حتى يخرج طَعْمه كلّه . ثم تصفّيه ثم تصاعده كما قلنا قبل في رطوبة ، يجيءُ جيداً .

الباب الخامس
هل الكتاب من تأليف الكندي ؟؟

بعد ان عرضنا كثيراً من متطلّبات الدراسة حول « كتاب العطر والتصعيدات » — وبحسب ما استطعنا — لابُدّ لنا أن نضع النقاط على الحروف ، ونعرض الأمر على أصحاب الاختصاص في دراسة المخطوطات القديمة ليقولوا رأيهم فيه ، إذ هم أعلم منّا بخفاياها وخصائصها ونقول : —

أولاً : —

من المعروف ان الكندي لا يبدأ كتبه بعد البسملة ، ولا يختمها — بالعبارات الواردة في هذا الكتاب ، وهي « وصلّى الله على محمد عبده ورسوله وآله وسلم » و « تم الكتاب والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله وسلم تسليما » .

تقارن هذه الجمل مع الجمل الواردة في كتاب « قوى الادوية المركبّة . وكتاب السيوف وأجناسها ورسالة العقل » .

ثانياً : —

تكرّرت في الكتاب عبارات : وبعْه ، وبِعْهُ كيف شئتَ ، واكتسبتُ منه مالاً ...... ويحدّثنا المؤرخون ان الكندي عرف بالبُخل ، فهل صنع هذه المواد ليحصل منها على المال ، ونسي أنه عالم جليل ، وفيلسوف فذ ، وهل وصلت به الحالة لوضع كتاب « عَمَلِيّ » من أجل الكسب ، لا من أجل العلم والمعرفة ؟؟ إنّنا نستبعد ذلك .

ثالثاً : —

تكرّرت في الكتاب عبارات العطّار والعطّارين ، والمعاملة معهم بشكل وآخر . فهل ورد في سيرة الكندي انّه كان يتعامل مع العطّارين . لأن هذه المواد كلّها تخصّ العطّاريات ، وتباع وتشترى في أسواقهم ، وان موادها الأوليّة تتكوّن من أعشاب ونباتات لا تتوافر الا في دكاكين العطّارين ومحلاّتهم .

اننا نترك الجواب للمؤرخين من أجل البتّ في هذه الناحية من حياة الكندي .

رابعاً : —

إن عمل مثل هذه العطور المعقّدة ، يحتاج الى « مختبر » كامل تتوافر فيه أجهزة كثيرة ، كما ذكرت في الكتاب نفسه ، وشرحت شرحاً رائعاً ، زيادة على ذلك توافر المواد الاوليّة ومعاملتها معاملة أوليّة خاصّة ، قبل الشروع بتحضير العطور منها .

كل هذه الأشياء تحتاج الى يدٍ عاملة وصنّاع يقومون بتهيئتها وترتيبها ، ومعنى ذلك وجود مختبر أو معمل — ولو كان صغيراً — كيميائي صيدلاني مجهّز بالأدوات والمواد ليعمل فيه الكندي ومساعدوه .

ويلاحظ من دراسة بعض المواد « الصنعات » ان انجاز هذه المادة أو تلك يحتاج الى زمن يستغرق أياماً وأيّاماً .

فهل عثَرَ المؤرخون وأصحاب الآثار على وجود مختبر للكندي كان يعمل فيه هو ، أو كان تحت إشرافه ، كما حصل ذلك في سيرة « جابر بن حيّان » الذي اكتشف معمله في الكوفة بعد زمن طويل من وفاته .

خامساً : —

لم يعتمد المؤلف الا ّ على النزر اليسير من المصادر ، لأن تجاربه وعمليّاته نابعة من تجاربه واختباراته الشخصية . وقد استعمل نحو مئة وخمسين مادة — نباتيّة وحيوانيّة ومعدنيّة — فضلاً عن الأجهزة والأدوات الضرورية ، من أجل تحضير سبعة ومئة عطر .

اننا لم نُوفّق في كشف هذه الناحية التاريخيّة من حياة « الكندي » ونترك الأمر لذوي الاختصاص بدراسة سير العلماء والفلاسفة ، ومنها سيرة الكندي بالذ ّات .

سادساً : —

جاء في الصنعة الحادية عشرة الواردة في الكتاب ما يأتي : « وبِعْتُ منه بدمشق جملة بثلثين ديناراً على انه جاء معي من بغداد » .

هذه عبارة صريحة جداً ، من أن الكندي سافر الى دمشق واشتغل ببيع العطور . ولنترك مسألة التجارة والبيع ، ونطرح السؤال : —

هل ورد في سيرة الكندي انه سافر الى دمشق ، وهل غادر العراق في يومٍ من الأيام ؟ لا نعلم بذلك إطلاقاً ، ولم نقرأ عن سفرته هذه فهل يتحفُنا المؤرّخون الأفاضل بمالديهم من معلومات عن سفرات الكندي الى دمشق أو أيّ بلد آخر في خارج العراق ؟؟

سابعاً : —

جاء في « الصنعة رقم ٣٣ » ما يأتي : — « وهذه الصنعة أخذتها من ابي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي ، وقد رأيته ، وقد عمله وفتّقه قُدّامي ... » — راجع ما سبق — .

إن ما جاء بهذه العبارة دليل واضح ان الكندي قد عمل التجربة في وقت من الأوقات ، وان المؤلّف رآه وأخذ منه الصنعة .

ولو كان الكندي نفسه قد كتب النصّ لما قيل بهذا الأسلوب . وقد يقول قائل، ربّما كان ذلك في هذه الصنعة أي التجربة فقط . ونقول ، ان تكرار مثل هذا القول يظهر لنا ان الكتاب ليس للكندي . ففي « الصنعة رقم ٤٦ » أُعيد القول ، حيث يقول : قال لي أبو يوسف، وامّا الذي اشتريته منه وعلمتُه ، فقال لي ان الذي اشتريته منه .... » وفي « الصنعة ٦٦ » جاء : — وقال لي أبو يوسف انه عمل هذا الباب بغير رُخام .... —

ثامناً : —

عنوان الصنعة رقم ٤٧ « صنعة غالية أحمد بن علي أخذتها منه بمصر » .

هذا قول واضح ، ان المؤلف تعلّم صنعة هذه الغالية من رجل اسمه أحمد بن علي ، في مِصْر . ونقول : — هل زار الكندي مصر ومتى ؟ ونجيب على السؤال بكلمات ثلاث : كلاّ ثمّ كلاّ .

تاسعاً : —

نقلنا صوراً من كتابات الكندي (راجع قوى الأدوية المركبّة ، ورسالة السيوف ، ورسالة العقل) ولاحظنا — بحسب معرفتنا المتواضعة ، واجتهادنا البسيط — أُسْلوبه في التعبير ، ووجدنا ان طريقته في هذه الكتب تختلف عن طريقة كتابة « كيمياء العطر والتصعيدات » فهذا الكتاب تتمثّل فيه الناحية العمليّة التقنيّة ، ولا غموض فيه إطلاقاً ، وعباراته مفهومة حتى للصانع البسيط الذي يريد صنع عطرٍ مُعيّن ، أو تقطير ماء وَرْدٍ خاص .

ملاحظة :

لقد أوردنا هذه التساؤلات واستخلصنا معانيها وفحواها من الكتاب نفسه ولا ندري هل تقصّى العلاّمة الجليل المرحـوم « بروكلمان ، المتوفى سنة ١٩٥٦ » حقيقة عائديّة هذا الكتاب ؟ ربّما يكون ذلك ، وسنحاول التفتيش في طيّات أبحاثه وكتبه لنكون على بيّنة من واقع الحال .

ونرجو من الزميل ، العضو المؤازر في المجمع العلمي العراقي ، البحّاثة المحترم الأستاذ « فؤاد سزكين ، جامعة فرانكفورت » أن يُتحِفنا بما يجود به من معلومات .

امّا ناشر الكتاب ومترجمه الأستاذ الفاضل « كارل كاربرس * » فلم يتطرّق الى دراسة عائديّة الكتاب ، وعَدَّهُ من كتب الكندي ، سوى انّه ذكر جملة واحدة في الصفحة ٣ من المقدّمة ، وهذا نصّها الألماني (مع الترجمة) .

(*) لا نعرف عنوانه ، وندعو الله ان يكون في صحة وعافية .

((In 33 und 66 wird Kindi sebst zitiert. Es scheint die Sammlung also von einem seiner schueler aufgezeichnet zu sein)).

— جاء في الصنعة ٣٣ و٦٦ ان الكندي ذكر العمليّة . ويظهر ان الجمع — أي أي جمع الكتاب — قام به أحد تلامذته — .

ومن هذا المنطلق يُحتمل أن مؤلّف هذا الكتاب كتبه على غرار كتاب آخر في العطر ، أو أنه ألّفه على نمط كتب قديمة ، وأدخل فيه تجاربه وعمليّاته الخاصّة .

ويقول ناسخ الكتاب : ان المعارضة تمّت في سنة ٤٠٥هـ . ومن المحتمل ان ابن النديم — المتوفى سنة ٤٣٨ هـ — عاصره ، إذ هو قريب العهد به . ولا يستبعد انه أخذ اسم الكتاب منه ، وسَجّلَه في الفهرست . ولا ندري كيف سقطت كلمة « التصعيدات » من العنوان ، فقال ابن النديم « كيمياء العطر » فقط .

الباب السادس

خلاصة البحث :

١ — يدور بحثنا حول كتاب « كيمياء العطر والتصعيدات » المنسوب للكندي . والنسخة التي بين أيدينا صورة منه نسخها شخص مجهول في سنة ٤٠٥ هـ . أي قبل الف سنة .

٢ — يشمل الكتاب تحضير سبعة ومئة عطر ، كانت مُتَداولة في ذلك الزمان . وقد استخدمت أكثر من مئة وخمسين مادة نباتيّة وحيوانيّة ومعدنيّة لتحضير هذه العطور. واستعملت أجهزة وأدوات جيّدة جداً لاجراء العمليّات والتجارب .

٣ — كانت العمليّات والتجارب تجرى بكميّات قليلة ، تحسب بالمثقال تارة ، وبكميّات أكبر تحسب بالمنّ تارة أخرى (*) .

(*) المثقال يساوي ٥ غرامات . والمن التجاري يساوي ٢٨٠ غرام .

وعلى هذا النمط تجرى التجارب العمليّة الكيميائيّة في المختبرات الحديثة .

٤ — إن هذا الكتاب هو أوّل كتاب تراثي عرف حتّى الآن ، يحمل كلمة « كيمياء » بمعناها العلمي الحديث ، كأن يقال مثلاً Chemistry of . . . .
ففيه دِقّة العمل ، وفيه الحَذَر من النار (المستوقد كما يقول) وفيه طرائق التبريد ووسائلها ، وكلّ ما هو مطلوب من الكيميائي الذي يعمل في المختبر ، أو في المصنع الصغير .

وتلاحظ في الكتاب الناحية الانتاجيّة والحصول على عطور تُباع في الأسواق ، أو يستخدمها صانعها في أغراضه الشخصيّة .

٥ — إن الكتاب خال تماماً من سرد خرافات أو أساطير ، أو استعمال مواد ليست مرغوبة ولا مُستساغة . ومثل هذه الأشياء ترد بكثرة في الكتب القديمة .

٦ — نرى ان واضع هذا الكتاب صاحب مهنة في صناعة العطور ، إذ نلمس من وصف العطر الذي ينتجه براعة ودِقّة في إجراء التجربة ، واستخلاص العطر النقي من الشوائب والمواد الثانويّة التي تتكوّن أثناء التجربة .

وهو يتحسّس رائحة هذا العطر أو ذلك ، وكذلك جودته ونقاءه . ويعرف الكيميائي الحديث ان العمل بالعطور يتطلّب من العامل الحَذَر الشديد في طريقة الاستخلاص والتنقية ، ومعرفة الرائحة وتمييزها ، ولاسيمّا اذا كان العمل بمواد قليلة ، كما هو الحال في تجارب هذا الكتاب .

٧ — نرى ان هذا الكتاب ، أي « كتاب كيمياء العطر والتصعيدات » المكتوب سنة ٤٠٥ هـ ليس ليعقوب بن اسحق الكندي .

ولو عرَف المؤلف ان كتابه هذا سيكون له شأن كبير في دراسة كتب التراث العربيّ الاسلاميّ لكتب اسمه في كلّ صفحة من صفحاته ، ولقال

للكيميائيين والصيدلانيين ، هذا كتابي كتبته لكم فسيروا على نهجه ، واعملوا فيه واكتبوا مثله .

هذا ما أرشدنا الله اليه ، وتمكنّا منه ، وعسى أن نهتدي الى كشف أمورٍ لم نستطع معرفتها ، أو العثور عليها ، بغية تصحيح ما عرضناه .

والله نسأل التوفيق ، ويكون دعاؤنا دائماً قوله تعالى :

« وقلِ ربِّ زِدْني عِلْما »

الملحق :

مناقشة الفقرة التي أوْرَدَها السيد الفاضل « الدكتور كَاربرس » في الصفحة الثانية من مقدمته لكتاب « كيمياء العطر والتصعيدات ، المنسوب للكندي » كما نوّهنا عنها في مقدّمتنا المتواضعة لهذا البحث .

الترجمة العربيّة :

يحتوي كتاب « كيمياء العطر والتصعيدات على سبع ومئة صنعة Rezepten » في تحضير زيوت ودهان ومياه عطرة . وهذه تعطينا صورة واضحة عن صناعة العطور والعطّاريات الجيّدة وتقليدها والتجارة بها في ذلك العصر .

ويلاحظ في كلّ « صنعة » التطرّق الى الناحية التجاريّة ، ممّا تعطينا صورة للحياة الاقتصاديّة في عالم العصر العباسيّ ، سواء أكان ذلك من حيث صناعة هذه البضائع أم من حيث تسويقها .

ويكفي ان نعلم ان عالماً وفيلسوفاً بمنزلة الكندي يسخّر معرفته وعلمه في تقليد العقاقير الثمينة وتزييفها ليظهر لنا المشرق بأجلى صوره . فعندما يضاف الى المستحضر البديل شيء من العقّار الأصيل ويمزج الاثنان جيداً ، يمكن أن يوصف باطمئنان بأنّه بضاعة واحدة جيّدة ، لا يمكن نكرانها (الوصفة ١).

وممّا ذكر حول الصنعة ٤٦ : —

النصّ الألماني :

((habe er schon fuer gutes Geld davon verkauft)).

ومعناه : وانه قد بيع بمالٍ كثير .

إنّ هذه العبارة لا تنطبق على النصّ الأصلي الوارد في الصنعة ، وهو :

((Ich habe von dierer Art nichts Besseres und Wohlriechenderes als dies gesehen und man kann damit taeuschen in Bezug die Preisberechnung der beste Qualitaet)).

النصّ العربي :

فلم أرَ من هذا النحو أجود من هـــذا ولا أطيب ، وهو يُغْلطُ به في حساب الجيّد .



وفي الصنعة (٥٠) ، ذكر : —

النصّ الألماني في المقدّمة : —

((Viel Geld damit verdient))

ومعناه : واكتسبت منه مالاً كثيراً .

النصّ الأصلي :

Damit ist schon fuer gutes Geld verkauft worden. erpropt :

ومعناه : وقد بيع منه بمالٍ . مُجَرَّب .

وذكر في المقدّمة حول الصنعة (٥٢) ما يأتي : —

((könne man den Kunden in Bezug auf den Preis taeuschen, indem man es als beste Qualitaet bezeichne))

الترجمة : بوصفها أحسن بضاعة ، ويمكن أن يُغَشّ (يخـــدع) العميل بسعرها .

هذا القول لا ينطبق على النصّ الأصلي ، ونقول ان ترجمته الالمانية جيّدة ومطابقة له تماماً .

((Das Ganze wird eine einheitliche substanz, die niemand vonden Leuten zurueckweisen wird. Verkaufe sie nach belieben))

يكون الكلّ شيئاً واحداً لا يُنكره أحد من الناس . بِعه كيف شئت .

التعليق على الصنعة (٥٣) :

wuerde man er im Vergleich mit der echten Drogen nicht ablehnen))

لا يمكن رفضة إذا ما قورن بالعقّار الحقيقي .

أما النصّ الأصلي فهو مطابق للترجمة :

((Es (das oel) wird wunderbar. Ich habe viel Geld damit verdient

فجاء عجباً ، واكتسبت فيه مالاً كثيراً .

وممّا قيل في المقدّمة حول الصنعة (٦٣) :

((habe er verkauft, ohne dass Jemand die Taeuschung bemerkte, Ja selbst Drogisten nicht))

بعته من دون ان يلاحظ الغشّ فيه ، وحتى العطّارون لم يلاحظوا ذلك .

(لا توجد هذ العبارة في النصّ العربي الأصلي ، ولم تذكر في ترجمة الصنعة (٦٣) .

يظهر من هذه النصوص انه لا وجود لكلمة الغش او التقليد اوالتزييف ، أو أي شيء من هذاالقبيل في كتاب « كيمياء العطر والتصعيدات » .

إن الكندي لاعلاقة له بهذه التُهم ، وكذلك مؤلف الكتاب نفسه . ونقول ان عبارة « ليظهر لنا المشرق بأجلى صور » لا محلّ لها من الأعراب في هذا المقام إطلاقاً . (الصورة رقم ٥) .



Der Kitāb fī kīmiyā' al-'iṭr wat-taṣ'īdāt stellt eine Sammlung von 107 Rezepten zur Herstellung wohlriechender Öle und Salben wie aromatischer Wässer und für den Ersatz, bzw. die Fälschung kostbarer Drogen dar, die einen interessanten Einblick in die Parfümindustrie sowie den Drogen- und Parfümhandel der damaligen Zeit gewährt. Besonders aus kurzen Bemerkungen am Schluß der Rezepte erhält man ein anschauliches Bild vom wirtschaftlichen Leben im abbasidischen Weltreich, soweit es sich um Herstellung und Vertrieb der genannten Warengattungen handelt. Bereits die Tatsache, daß ein Gelehrter und Philosoph vom Range Kindīs sein Wissen und seine Kenntnisse auch in den Dienst der Imitation und Verfälschung gangbarer wertvoller Drogen stellt, läßt den Orient in voller Deutlichkeit in Erscheinung treten. Wenn das Surrogat mit einem Zusatz der echten Droge versehen und beides gut miteinander vermischt ist, könne man es getrost als eine „einheitliche gute Ware" (Rezept 1) ausgeben, „die nicht zurückgewiesen würde" (Rp. 52), „könne man den Kunden in Bezug auf den Preis täuschen", indem man es als „beste Qualität" bezeichne (Rp. 46) habe er schon „für gutes Geld davon verkauft" (Rp. 50), „viel Geld damit verdient" (Rp. 53), „würde man es im Vergleich mit der echten Droge nicht ablehnen" (Rp. 63), „habe er verkauft, ohne daß jemand die Täuschung bemerkte, ja selbst Drogisten nicht".

الصورة رقم (٥)

الفعل الثلاثي المجرد
وحقيقة قياسيته

الدكتور محمد ضاري حمادي

كلية الآداب – جامعة بغداد

قسم اللغة العربية

أهمية ضبط الفعل الثلاثي المجرد :

تقوم الجملة العربية على ركنين هما الفعل والاسم (١) . وقد دل البحث اللغوي التاريخي على أن للفعل في هذه الجملة مكانةً خاصةً كثيراً ما جعلته يتصدر الجملة حال إنشائها في ذهن المتكلم .

وللفعل في العربية خصائصه وأحكامه الذاتية ؛ أي قبل أن يكون جزءاً من جملة أو تركيب . وهي تتمثل في أنه إما مجرد لا يقل تأليفه عن ثلاثة أحرف ولا يزيد على أربعة ، وإما مزيد فيه لا يقل عن أربعة أحرف ولا يزيد على ستة . غير أن أكثر هذه الأصناف استعمالاً في كلام العرب وأعمّها تصرفاً فيه الفعل الثلاثي المجرد (٢) ، وهو موضوع هذا البحث .

وبسبب من ارتباط الفعل بالزمن اختلفت صيغته تبعاً لاختلاف الدلالة

---

(١) أما الحرف فلا يعدو أن يكون رابطاً يربط الركنين . وهو قد يقع بين الفعل والاسم نحو : أخذ عن زيد ، أو بين الإسم والفعل نحو زيد ما قرأ ، أو بين الاسم والاسم نحو : زيد في المكتبة .

(٢) وصف ابن جني هذا الفعل بقوله (الخصائص ٣٧٥/١) : « الذي هو اكثر استعمالا وأعم تصرفاً . »»

الزمنية . قال ابن جني : « قد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع ؛ إذِ الغرض في صيغ هذه المُثُل إنما هو لافادة الأزمنة . فجُعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوة الدلالة على الزمان . » (٣) ثم لاحظ علماؤنا الأولون أن الماضي من الثلاثي المجرد يحتمل الأوجه الثلاثة من حيث ضبطُ حركة عينه : « فعَل ، وفعِل ، وفعُل » ، وأنّ مضارعه لا يطرد على حال واحدة ، بل هو يحتمل الأوجه الثلاثة أيضاً : « يفعَل ، ويفعِل ، ويفعُل » مع كل صورة من صور الماضي الثلاث ، فيتحصل بمقتضى القسمة العقلية تسع صور او تسعة أبواب لهذا الفعل ، لا تتساوى من حيث الكثرة والقلّة في الاستعمال ، وإنما تقع بين الشائع المستفيض والنادر ندرة جعلتهم يحظرون القياس عليه .

ومع أن العربية — كغيرها من اللغات — لا تؤخذ بالقياس دائماً وفي كل حال ، بل إن السماع ، على ما يقول ابن جني (٤)، هو الباب الأكثر ... شكا بعض المحدثين تعذر السيطرة على تلك الأوزان ، وعدّوها مشكلة لغوية عسيرة في العصر الحديث ، فقال بعضهم في ضبط باب الفعل الثلاثي المجرد وضبط مصدره : « هذه المشاكل (*) التي تعد من « أبرز وأشهر ، بل ولعلها من أمنع وأخطر الصعوبات (**) » الصرفية ، لتغلغلها وكثرة انتشارها وتعقدها » (٥) . وقال غيره في معرفة تلك الأوزان للافعال الثلاثية المجردة

(٣) الخصائص ١/٣٧٥ .

(٤) قال : « ومنها ما لايؤخذ إلا بالسماع ، ولا يلتفت فيه الى القياس ، وهو الباب الاكثر ، نحو قولهم : رجل و حجر فهذا مما لا يقدم عليه بقياس ، بل يرجع فيه الى السماع . » المنصف ١/٣ .

(*) كذا ، والصحيح « المشكلات » .

(**) هذه الصياغة غير مقبولة في العربية .

(٥) نحو عربية أفضل ٨٥ .

غير المشهورة إنّ « أكبر علماء اللغة في حاجة الى المعاجم اذا أراوا أن يتأكدوا من باب الفعل. وهذا الشك أدى الى إهمال كثير من الأفعال التي يحتاج اليها الكتاب لجهلهم بصرفها » (٦) ثم تأثيراً آخر لهذا الأمر قائلاً : « وشرّ من ذلك شعور المتكلم بعدم الثقة عندما يعرض له فعل غير مألوف » . (٧)

من هنا ، يخوض هذا البحث غمار هذه الطريق ، محاولاً الوقوف على طبيعة هذا الجانب اللغوي الدقيق ، ايضاحاً لغامضه ، وإنارة لمسلكه ، ولمّاً لمتفرقه ، وسعياً الى الخلوص بشأنه بما يوافق حقيقته وييسر ادراكه .

صوغ المضارع من الماضي المفتوح العين « فعَلَ » :

يعدّ هذا الوزن أعم أوزان الفعل الثلاثي اشتهاراً ، وأوسعها انتشاراً . ومن الأدلة على هذا أنه لم يختص بمعنى دون معنى ، أو بحال دون حال ، على ما هو الأمر في غيره من الأوزان . قال الرضي : « إعلم أن باب «فعَل» لخفته لم يختص بمعنى من المعاني ، بل استعمل في جميعها ؛ لأن اللفظ اذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه . » (٨) . وعلى ذلك جاءت الجمهرة من الافعال الثلاثية على هذا الوزن ؛ سواء أمتعدية كانت مثل « زرَع » أم لازمة مثل « سبَح » ، وسواء أصحيحة كانت مثل « جلَس » ، أم مهموزة مثل « أخذ ــ سأل ــ قرأ » ، أم معتلة مثل « وصَف ــ قال ــ باع ــ سعى ــ وعى ــ روى » ، أم مضعّفة مثل « مدّ » . ولكن تقرير أن هذا الفعل الثلاثي أو ذاك إنما يكون على وزن « فعَل » دون سواه مثل « فعِلَ أو فعُلَ » لا يخضع للقياس ، بل مرده الى السماع المدون في المظانّ . أما المضارع من

(٦و٧) اللغة العربية المعاصرة ١٢٨ .

(٨) شرح الشافية للرضي ١/٧٠ . وقال سيبويه (الكتاب ٤/١٠٤) : « وانما كان (فعل) كذلك لأنه اكثر في الكلام . » وانظر في خفة الفتحة : المقتضب ١/١٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٦٠ . وفي دلالات هذا الوزن (فعل) : الاشتقاق (لعبدالله أمين) ١٨٣ ــ ١٨٤ ، غرائب اللغة العربية ٦٧ ــ ٦٨ وفيه دلالات خاصة .

هذا الوزن فوارد على الأنحاء الثلاثة : « يفعَلُ ، ويفعِلُ ، ويفعُلُ » ، منه ما كان على واحد من هذه الأوزان ، ومنه ما كان على اثنين منها ، ومنه ما كان على الثلاثة ! ! (٩) فكيف وقف علماء العربية بإزاء هذا التنوع ؟ وهل الى معرفة الوزن المقصود من سبيل ؟

تقدم كلام ابن جني القاضي بلزوم مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع لاعتبارات الدلالة الزمنية . وهذا يعني أن الأصل في المضارع من « فعَل » إنما هو « يفعِلُ » أو « يفعُلُ » وذلك ما توجبه المخالفة ، أما المماثلة فانها توجب الفتح في المضارع « يفعَلُ » ، وتلك هي الحالة الطارئة .

إن « فعَل — يفعِلُ » صورة تستعمل في دلالات عدة ، أشهرها : الطلب والاخذ والهدوء والثبات والسير والمجيء او المضي والنفور والصوت والعطش والاضطراب والحركة والقطع والاعطاء (١٠) . وهي صورة تأتي من اللازم ، مثل « جلَس — يجلِس » ، كما تأتي من المتعدي مثل « عرَفَ — يعرِفُ » . وهي تأتي من الصحيح ، كما مثّل ، ومن المهموز بأنواعه الثلاثة : مهموز الفاء ، مثل « أبد — يأبد » ، ومهموز العين ، مثل « وَأى — يئي » ، ومهموز اللام ، مثل « هنأ — يهنئ » ، ومن المعتل بأنواعه أيضاً : ، المثال مثل « وزَنَ — يَزِنُ » ، والاجوف اليائي ، مثل « باع — يبيع » ، والناقص اليائي ، مثل « درى — يدري » ، واللفيف المقرون ، مثل « روى — يروي » ، واللفيف المفروق ، مثل « وفى — يَفي » ، ومن المضاعف أيضاً شريطة أن يكون لازماً ، مثل « خفّ — يخفّ » . فهذا الباب يرد في العربية من مختلف حالات الصحة والهمز والاعتلال والتضعيف ، عدا الأجوف والناقص الواويّيْن ، والمضاعف المتعدّي . ولئن كان هذا الاستثناء نافعاً في عزل

(٩) ينظر همع الهوامع ١٦٣/٢

(١٠) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٣٨٢ .

حالات لا يرد منها « فعَلَ – يفعِلُ » ، إنّ على الطرف الآخر لحالات ينقاس فيها هذا الباب باطراد ، وهي : المثال اذا كان واوياً ، والأجوف والناقص اذا كانا يائيين ، والمضاعف اذا كان لازماً . قال المازني في المثال الواوي : « اعلم أن كل ما كان موضع الفاء منه واواً ، وكان فعلاً ، وكان على « فعَلَ » ، فانه يلزم « يفعِلُ » ، ويحذف في الأفعال المضارعة منه الواو التي هي فاء . » (١١) . وقال سيبويه في الاجوف اليائي : « واذا قلت «يفعل» من « بعت » قلت « يبيع » . ألزموه (يفعِلُ) ؛ حيث كان محولاً من « فعلت » ليجري مجرى ما حوّل الى « فعلت » وصار « يفعِل » لهذا لازماً ؛ إذ كان في كلامهم « فعل يفعِل » في غير المعتلّ ، فكما وافقه في تغيير الفاء كذلك وافقه في يفعل . » (١٢) وقال المبرّد في الناقص اليائي : « فان كان من الياء كان على « يفعِلُ » . » (١٣) ، وقال ابن عصفور في المضاعف اللازم : « فان كان غير متعدٍ فان مضارعه أبداً يجيء على (يفعِل) . » (١٤) .

ذلك مدى جريان القياس في«فعَلَ – يفعِلُ » وذلك مبلغ ما يأتي منه هـذا الباب ومالا يأتي منه . غير أن من الباحثين في عصرنا من أراد إخضاع هذا الباب للقياس المطلق،بل اخضاع جميع أبواب الفعل الثلاثي المجرد لهذا

---

(١١) المنصف ١٨٤/١ . وينظر الممتع في التصريف ١٧٤/١ . وفي همع الهوامع (٢/ ١٦٣) أنه إذا كانت عين المثال أو لامه حرف حلق صار الكسر جائزاً لا واجباً ، حيث يجوز الفتح أيضاً ، الا أن يكون المثال ناقصاً يائياً (أي لفيفاً مفروقاً هنا) فأن العودة الى الكسر واجبة .

(١٢) الكتاب ٣٤١/٤ . وينظر المنصف ٢٤٥/١ ، والمقتضب ٩٦/١

(١٣) المقتضب ١٣٤/١ . وينظر الممتع ١٧٤/١ .

(١٤) الممتع ١٧٤/١ . وينظر الهمع ١٦٣/٢ . هذا القياس لا ينقضه ورود الشذوذ المتمثل بأفعال مضاعفة متعدية نحو نم ينم ، ، بت يبت ، حب يحب ، عل – يعل . ينظر الهمع ١٦٤/٢ . وأفعال مضاعفة لازمة جاءت بوجهين الكسر والفتح نحو شح – يشح ويشح ، جد – يجدويجد . ينظر الافعال ٦/١ – ٧ .

القياس !! فقــد ذهب عبدالله العلايلي هــذا المذهب ، وقال بأن المحور الذي يدور عليه الفعل الثلاثي المجرد إنما هو « فعَل – يفعِلُ » ، وأنه لا يجوز الانتقال منه الى أي باب آخر الا لحاجة معنوية تدعو الى ذلك الانتقال ، فقال : « درج المعجميون على الخلط بين أبواب التصريف الستة خلطاً كبيراً ، بينما (*) اتضحت لي حقيقة في كتاب « مقدمة » (١٥) وهي : أن التصريف بمعنى التابس بحركة الفعل في الزمن الخاص يخضع دائما لباب واحد هو الباب الثاني ، أي باب ضرب يضرب ، بينما (*) الأبواب الخمسة الأخرى فلإفادة معنى زائد » (١٦) .

إن اطلاق القول على هذا النحو يلزم العلايلي أن تصدق هذه النظرية على جميع الأفعال الثلاثية المجردة الواردة في المعجمات العربية ، مطبوعةً كانت أم مخطوطة أم مفقودة ، وفي سائر المظان اللغوية والأدبية وغيرها ، بله مافات رواة اللغة من كلام فصيح كثير ... فهــل حقق العلايلي هــذا ؟ وهل تحقق من وقوعه ؟ !

الذي نراه أن نظرية العلايلي هذه لا يمكن أن تستوعب جمهرة الأفعال الثلاثية المجردة ، تلك الأفعال التي كثيراً ما تتفلت من القوالب الصرفية المقرزة ، فليس من باب يمكن أن ينقاس قياساً مطلقاً يُطْمأنّ اليه دون نظر الى السماعي المخالف والذي يقتضي الحفظ والاتقان . وكثيراً ما يكزن القياس في نواحٍ من الباب دون نواحٍ أخرى كالذي رأيناه في الباب الذي نحن بصدده (فعَل – يفعِل) ، فكيف يريد العلايلي جعله مطرداً في كل فعل ثلاثي لم يقع فيه معنى زائد ينقله الى الباب الآخر ؟

* (١٥) كذا هو كتاب العلايلي الموسوم بـ « مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد » وقد طبع بالقاهرة – المطبعة العصرية

(١٦) المعجم للعلايلي ١٢ .

لقد بحث علماؤنا الماضون معاني هذا الباب وبقية الأبواب ، وبينوا ذلك بتفصيل عجيب ، بدقائقه وحقائقه ، ولكن أحداً منهم لم يقل بما قال به العلايلي . ولا أريد هنا أن يقف البحث وينقطع التأمل والنظر والمتابعة ، ولكن البيّنة واجبة على من ادّعى ، وليس هناك من بينة في هذا المجال غير الاحصاء والاستقصاء والاستقراء ؛ فذلك ما يشفع للنظرية وما يجعلها صحيحة مقبولة ، تطابق واقع اللغة ، ولا تصيب الأبنية بالخلل أو التحريف . بيد أن هذا البحث غير مطمئن الى نجاة الفعل الثلاثي المجرد ، وسلامة أوزانه في مقاييس هذه النظرية . ولو أخذنا الفعل « علم » — مثلاً — وطبقنا عليه نظرية العلايلي لقلنا إن الحالة الأصلية لهذا الفعل هي : « عَلِمَ — يعلِم » وإن الحالة الطارئة عليه هي : « علِم — يعلَم » ! وإن هذه الحالة الطارئة (وهي الحالة المشهورة على ما هو معروف) شأنها شأن سائر الحالات الطارئة الأخرى سواء بسواء ؛ لأن جميع الحالات قياسية ، وأن للمتكلم أن ينقل الفعل من حال الى حال ، ومن أصل الى فرع ، ومن فروع الى أصول ، تبعاً لقصده المعنى الزائد (١٧) . فكما كان من الفصاحة أن يقال « علِم — يعلَم » يكون من الفصاحة أن يقال بالأوجه الأخرى الطارئة وهي : « علَم — يعلُم » و « علَم — يَعْلَم » و « علِم — يعلِم » و « علُم — يعلُم » ! وفي الفعل « درس » يكون الأصل أن تقول « درَس — يدرِس » ، ويكون الفرع أن تقول : « درَس — يدرُس » (وهي الحالة المشهورة) ، ولا يختلف ذلك عن أن تقول — من حيث جواز القياس — بالحالات الأخرى ، وهي : « درَس — يدرَس » و « درِس — يدرَس » « درِس — يدرِس » و « درُس — يدرُس » ! ترى : هل جاء في

(١٧) مذهب العلايلي أن كل فعل ثلاثي مجرد بكون الأصل فيه هو الباب الثاني (فعل — يفعل) ، وأن للمتكلم أن ينقل الفعل الى أي باب آخر بحسب القصد ، فان قصد التفوق والتركيب نقل الى الباب الأول . . . وهكذا . وسيأتي ذلك في هذا البحث .

اللغة العربية مثل هذه الألفاظ ؟! ومن الذي قال بها ؟! ومتى ؟! وأين نجدها في كلام الفصحاء ؟!

ومن المحقق أن أبينة الكلمات العربية هي الوحدات الموسيقية التي لها شأنها الكبير ، وأثرها البالغ في الكشف عن جمال هذه اللغة وجلالها ؛ إذ يتوقف ذلك على المحافظة على زنة الكلمة أولا ورصانة الجملة وسلامة تركيب الكلمات ثانياً ؛ (١٨) فلا يجوز التلاعب بهذه الأصول الجوهرية أو تحريفها بأي شكل كان وبأي مسلك من المسالك ويوم درس علماؤنا المتقدمون أحوال الفعل الثلاثي المجرد لم يغب عنهم البحث في الأصل والفرع ، ولكنهم لم يبعدوا عن الجادة ، ولم يلبسوا هذا الفعل ما ليس منه ، أو يضفوا عليه ما ليس فيه . فكان أن قرروا أن الماضي إذا كان على « فعَلَ » فان الأصل في مضارعه « يفعِلُ » ، وأن غيره — وهو الضم والفتح — هو الحالة الفرعية ، قال ابن جني مقرراً إن الاصل « فعَل — يفعِل » وان « فعَل — يفعُل » فرع عليه : « إن باب « فعَل » إنما هو « يفعِل » . و« يفعُل » داخل عليه »(١٩) . وقال مشيراً الى أن « فعَل — يفعَل » ليس بأصل : « إن « يفعَل » — بفتح العين — ليس بابه « فعَل » ، وإنما بابه « فعِـل . » (٢٠) فالماضي « فعَل» لا يكون مضارعه على « يفعَل » الا في حالة طارئة . قال الرضي في شرح « الشافية » : « اعلم أن أهل التصريف قالوا : إن « فعَل — يفعَل » ، بفتح العين فيهما ، فرع على « فعَل — يفعُل ، أو يفعِل » ، بضمها أو كسرها في المضارع . » (٢١) . واذ فصل ابن جني في قوله المتقدم بين حالتي ضم المضارع وكسره ، وبين أن الضم ما هو الا فرع داخل على الكسر ، يكون

---

(١٨) ينظر فقه اللغه وخصائص العربية ١٢٦، ٢٨٠ ، ٢٨٧ .

(١٩ — ٢٠) ، المنصف ١٨٦/١ .

(٢١) شرح الشافية للرضي ١١٧/١ .

الحاصل أن الكسر هو الأصل هنا ، وأن الضم والفتح هما الفرع . وهذا كله محصور في دائرة الماضي « فعَل » . أما « فعِل » و« فعُل » فليس لما تقدم علاقة بهما . ولكن العلايلي جعل « فعَل — يفعِل » أصلاً في أحوال الفعل جميعاً « فعَل وفعِل وفعُل » ، وليس في حالة الفعل الوارد على « فعَل » وحدَه كما قال المتقدمون . وقد وجدتُ مقولة العلايلي هذه من يتأثر بها كالجنيدي خليفة الذي دعا الى أحد أمرين : إما الاكتفاء بالشق الأول من النظرية ، وهو « فعَل — يفعِل » ، وبترها عند هذا الحد بإهمال سائر أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، وإمّا إخضاع حركة عين الفعل للمعنى إخضاعاً مطرداً ، وهو مضمون نظرية العلايلي (٢٢) . والحق أن هذين الاقتراحين متضادان ومتنافران : فالأول يلغي أثر المعنى في المبنى ، ويحوّل الأفعال الثلاثية جميعاً الى باب واحد لا غير ، هو الباب الثاني « فعَل — يفعِل » غير مبال بكون الفعل على أحد الأبواب الخمسة في أصل الوضع اللغوي ، ومن ثَمَّ لا شأن لتبدل الدلالة من فعل الى آخر في ذلك المبنى أو الهيئة . والثاني يقوم على أساس المعنى ، وأن ضبط المبنى (عين الفعل) مرهون بالدلالة وتبدلها ، ولا شيء غير الدلالة !! على أن الاقتراحين يلتقيان في أمر واحد ، ويتفقان على نتيجة واحدة ، وهي تغيير الفعل الثلاثي المجرد عن حقيقته ، وتحويله عن وضعه الذي نطق به الفصحاء ، وتناقلته الرواة ، وحفظته المظانّ . فها هو ذا الجنيدي نفسه يبين كيف يطبق مقترحه الأول ، وأن ذلك يكون بـ « أن نطرد جميع أبواب الثلاثي على بنية واحدة ، كأن تكون مثل (ضرَب) ، فنصبح ننطق « علِم » و« عظُمَ » كلها بالفتح ، ونلزم عينها في المضارع حركة بعينها لا تتغير كذلك . » (٢٣) وهكذا نجد الفعل الثلاثي وقد تبدلت

(٢٢) دعا الجنيدي خليفة الى فكرة العلايلي في كتابه الموسوم بـ « نحو عربية أفضل » !! ص (٨٢ — ٨٤) ثم قدم الاقتراحين في ص (٨٤ — ٨٥) منه .
(٢٣) نفسه ٨٤ .

بنيته ، وآلت الى شيء آخر ، ونطق آخر لا ارتباط له بهذه اللغة العريقة وحقائقها الخالدة . وأما في المقترح الثاني فقد سبق بيان التحريف الذي يصيب الفعل الثلاثي اذا ما أخذ بنظرية العلايلي القائلة بقياسية الأبواب الستة قياسية مطلقة ، وكيف أن الفعل « درَس — يدرُسُ » وهو من الباب الاول (فعَل — يفعُل) يمكن أن ينطق على أية هيئة من هيئات الأبواب الخمسة الأخرى : « درَس — يدرِس ، ودرَس — يدرَس ، ودرِس — يدرَس ، ودرِس — يدرِس ، ودرُس — يدرُس » ، مما لا عهد للعربية به قبل هذا الابتكار ! ! (٢٤) .

ننتقل الآن الى صورة « يفعُل » مضارعاً من « فعَل » ، بعد الصورة الاصلية وهي صورة الكسر « يفعِل » (٢٥) . ولهذه الصورة الجديدة « فعَلَ — يفعُلُ » دلالات عديدة استخرجت الدكتورة خديجة الحديثي ما اورده سيبويه منها في كتابه ، وهي : الطلب والهدوء والاعتداء والحركة والسير والاضطراب والصوت والتحصيل والرفعة والجوع والعطش والجبن والدنو أو الابتعاد والحسن والاخذ او العطاء والعمل والاكل والانتهاء وغيرها (٢٦) . ولا يعني ذلك أن الفعل قياسي في هذه الأحوال جميعاً ، وأنه متى دل على شيء منها وجب أن يكون من هذا الباب ، ذلك أن هذه الدلالات كثيراً ما تشترك فيها أبواب اخرى غير هذا الباب . بيد أن احدى دلالات « فعَلَ » ، وهي الدلالة على المغالبة ، كثيراً ما تجعل المضارع على « يفعُلُ » ، « وقد يكون الفعل من غير هذا الباب — كغلب وخصم وكرُم — فاذا قصدت هذا

(٢٤) ينظر ص (٧) من هذا البحث .

(٢٥) حيث إن صورة الكسر هي الاصل الغالب « قال بعضهم : اذا عرف أن الماضي « فعل » — بفتح العين — ولم يعرف المستقبل فالوجه أن يكون « يفعل » بالكسر لأنه أكثر والكسر أخف من الضم » . شرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٧ .

(٢٦) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٨١ — ٣٨٢ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ١٩٦ — ١٩٧ .

المعنى نقلته الى هذا الباب » (٢٧) يستثنى من ذلك المعتل في بعض أحواله ، وهو أن يكون مثالاً واوياً — نحو : وعد ، أو أجوف يائياً ، نحو : باع ، أو ناقصاً يائياً ، نحو : رمى — فان المضارع واجب الكسر ، وان الفعل هنا من باب « فعَلَ — يفعِلُ » على ما تقدم به البيان في هذا البحث (٢٨) . ومعنى المغالبة هو « أن يغلب أحد الأمرين الآخر في المصدر ؛ فلا يكون إذن الا متعدياً ، نحو : كارمني فكرمته اكرُمُه ، أي غلبته بالكرم . » (٢٩) ويأتي هذا الوزن « فعَل — يفعُل » من الفعل اللازم مثل « قعد — يقعد » ، كما يأتي من المتعدي مثل « كتب — يكتب » . وهو يأتي من الصحيح مثل « درس — يدرس » ، ومن مهموز الفاء مثل « أخذ — يأخذ » ومهموز اللام مثل « برأ — يبرؤ » (٣٠) ، ومن الأجوف الواوي مثل « قال — يقول » ، والناقص الواوي مثل « سما — يسمو » ، ومن المضاعف المتعدي مثل « شدّ — يشدّ » . ويتبين من هذا أن « فعَل — يفعُل » لا يرد من مهموز العين ، والمثال (٣١) ، والأجوف والناقص اليائيين ، واللفيف بنوعيه المفروق والمقرون ، والمضاعف اللازم .

والذي ينظر في أحوال الفعل هذه يجد أن ثمة أوضاعاً منها يمكن أن تدخل في دائرة القياس . ولم يفت ذلك علماء العربية الماضين ؛ إذ أشاروا في

---

(٢٧) شرح الشافية للرضي ١/٧٠

(٢٨) نفسه . وانظر ص (٥) من هذا البحث .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) في إحدى لغات هذا الفعل . ينظر : لسان العرب (ب ر أ) .

(٣١) ذكروا أن لفظة واحدة جاءت من المثال ، قال ابن خالويه (ليس في كلام العرب ١٨): « ليس في كلام العرب فعل — يفعل مما فاؤه واو الاحرفاً واحداً ذكره سيبويه وهو وجد — يجد . » وهذا لا يمنع الاصل وهو « يجد » بالكسر انظر الافعال ١/٦ . وفي «لسان العرب (و ج د) أن وجد — يجد لغة عامرية لانظير لها في باب المثال » . وانظر الكتاب ٤/٣٤١ .

مواطن متناثرة من مباحثهم الصرفية الى تلك الأوضاع والجوانب . قال سيبويه : « واذا قلت « يفعل » من « قلت » ، قلت : « يقول » ؛ لانه اذا قال « فعل » فقد لزمه « يفعل » . (٣٢) وقال المبرد : « فاذا قلت « يفعل » ، فما كان من بنات الواو فان « يفعل » منه يكون على « يفعُل » ، كما كان « قتل – يقتُل » ، ولا يقع على خلاف ذلك . » (٣٣) فالاجوف الواوي ، اذن ، لا يكون الا من هذا الباب في جميع الاحوال . ومثله كذلك الناقص الواوي . قال سيبويه : « فيـكون في « غزوت » أبداً « يفعُلُ » . (٣٤) وقال المبرد في « باب ما اعتلّ منه موضع اللام » : « إعلم أن كل ما كان من هذا على « فعَلَ » ، فكان من الواو ، فان مجرى بابه « يفعُلُ » . لا يجوز الا ذلك . » (٣٥) وأشار ابن عصفور الى المضاعف المتعدي بقوله : « وان كان متعدياً، فان مضارعه أبداً يجيء على « يفعُلُ » بضم العين » . (٣٦) هذه الأنواع الثلاثة : (الأجوف ، والناقص الواويان ، والمضاعف المتعدي) لا تكون الا على « فعَلَ – يفعُل » قياساً مطرداً . ولقد سبقت الاشارة الى أن الفعل الثلاثي اذا دل على المغالبة ، فانه من هذا الباب ، مالم يكن مثالاً واوياً ، أو أجوف يائياً ، أو ناقصاً يائياً .

تبين مما تقدم أن من الأفعال الثلاثية المجردة ما يكون على « فعَلَ – يفعُلُ » وجوباً ، ومنها ما يمتنع كونه على هذا الوزن ، ومنها ما يمكن أن يأتي عليه ، أولا يأتي . ولكن وجد من حاول الاندفاع الى أبعد من هذا ، حين

---

(٣٢) الكتاب ٣٤١/٤ . .
(٣٣) المقتضب ٩٦/١ .
(٣٤) الكتاب ٣٨٢/٤ .
(٣٥) المقتضب ١٣٤/١ . من الافعال المعتلة الآخر ما جاء بالواو والياء معاً . ينظر أدب الكاتب ٣٦٤ . ولابن مالك منظومة في هذا نشرت في « مجموع مهمات المتون ٥٨٢ – ٥٨٤ .
(٣٦) الممتع ١٧٤/١ – ١٧٥ . وانظر الأفعال ٦/١ حيث جاءت أفعال بالوجهين الضم والكسر نحو هره يهره .

نظر الى الأفعال العربية غير المشهورة نظرة واحدة ، فقرر أن تخضع لميزان واحد !! غير عابئ بصورتها الأصلية ، وواقعها المحفوظ في المعجم العربيّ قديماً وحديثاً ، فاختار لها أن تنطق كلها على اختلاف أبوابها نطقاً واحداً على « فعَلَ – يفعُلُ » ؛ قائلاً : « هذه الأفعال يصح أن يكون كلها من باب نَصَرَ » !! (٣٧) أما الحجة في هذا ، فلا تتصل بالناحية العلمية أو الحقيقة اللغوية ، بل تتصل بجهد المرء اذا ذهب الى المعجم العربي يستشيره في صيغة الفعل وصورته التي هو عليها !! فقال : « ليس من المعقول أن نجد اكبر علماء اللغة في حاجة الى المعاجم اذا أرادوا أن يتأكدوا من باب الفعل » !! (٣٨) والحق أن استشارة المعجم العربي في فعل غير مشهور ننوي استعماله محدودة الوقوع ؛ لأن المرء يستعمل ما يعلم عادةً . فان علم فعلاً غير مشهور ، فقد علمه عن طريق الاطلاع على النصوص ، وهو ما يقوم مقام السماع ، حتى اذا مضى زمن ، واحتاج الى ذلك الفعل ، ووجد نفسه متردداً في ضبطه وبنائه فتح المعجم ولا حرج . فماذا في هذا ؟! ولم وجد المعجم اذن ؟! إن إعراضنا عن المعجم في هذه الحال يكلفنا ضياع الصورة الحقيقية للفعل الوارد في نص الكلام العربي الفصيح ، والنطق بصورة أخرى رجماً بالغيب !! أما تقييس هذا الباب تقييساً مطلقاً ، فإنا نجده عند العلايلي في نظريته المارّ ذكرها ، إذ يقول : « فكل ما يصاغ تصريفاً من الباب الأول يراد به أن الشخص تلبس بالحال الفعلية ، وزيادة على التلبس تفوق فيها . » (٣٩) . وعلى هذا قرر العلايلي قياسية « فعَلَ – يفعُلُ » في كل فعل أُريد به الدلالة على التفوق ، مشهوراً كان الفعل أم مغموراً ، منطوقاً به على هذه الصورة عند الفصحاء أم على غيرها !! وذلك

(٣٧ – ٣٨) اللغة العربية المعاصرة ١٢٨ .

(٣٩) المعجم للعلايلي ، ١٢ .

جزء من نظريته التي وقف هذا البحث عندها آنفاً ، ووجدها تفتقر الى ما يثبت صحتها والبرهنة على مطابقتها واقع العربية ، كي يصح قياسها وقواعدها الجديدة على الدارسين !!

ننتهي هنا الى الصورة الثالثة (الأخيرة) لمضارع « فعَلَ » ، وهي صورة المماثلة « يفعَلُ » ، وتستعمل في الدلالة على معان مختلفة ، احصت الدكتورة خديجة الحديثي ما جاء منها في كتاب سيبويه ، وهو : « الخوف الذعر ، والمنع والإبعاد ، والايذاء او الاعتداء ، والصوت والقطع او الفتح ، والاعطاء والحفظ او الادخار ، والذهاب والابتعاد ، والكره والامتناع ، وغير ذلك » (٤٠) . وكالبابين السابقين ، يأتي هذا الباب من اللازم ، مثل « ذهب — يذهب » اتيانه من المتعدي مثل « منع — يمنَعُ » . أمّا من حيث التأليف اللفظي ، أي بناء الكلمة ، فإنه يرد من الصحيح كما مثّل ، ويرد من المهموز : فاءً مثل « أهَبَ — يأهَبُ » ، وعيناً مثل « سألَ — يسألُ » ، ولاماً مثل (قرأ — يقرأ) . وهو يرد من المثال ، مثل « وهل — يَوْهَلُ » ، ومن الناقص مثل « سعى — يسعى » اذا كان بالألف في كل من الماضي والمضارع (٤١) . وعليه يمتنع ورود هذا الباب من : المضاعف ، والاجوف ، والناقص غير المختوم بالالف في ماضيه ومضارعه ، واللفيف المفروق والمقرون .

ويرى الصرفيون أن الاصل في مضارع « فعَل » هو المخالفة بالكسر (يفعِل) أو بالضم (يفعُل) ، أما المماثلة (يفعَل) — وهي الحالة التي نحن بصددها — فأمر طارئ يقع في ظرف خاص وقيد معين وهو كون عين الفعل أو لامه أحد أحرف الحلق الستة : « الهمزة ، والهاء ، والعين ،

(٤٠) أبنية الصرف ، ٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٤١) ينظر : شذا العرف في فن الصرف ٣٦ .

والحاء ، والغين ، والخاء » (٤٢) . قال الزمخشري : « وأما فعَلَ يفعَلُ ، فليس بأصل ، ومن ثم لم يجيء الا مشروطاً فيه أن يكون عينه أو لامه أحد حروف الحلق : « الهمزة ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والغين » (٤٣) . وتعليل هذا يرجع الى الاعتبار الصوتي ، فهذا الاشتراط يحقق تناسب الأصوات بعضها مع بعض ، مما يؤدي الى فصاحة اللفظة ويسر نطقها . قال ابن يعيش : « وإنما فعلوا ذلك لأن هذه الحروف الستة حلقية مستفالة ، والضمة والكسرة مرتفعتان من الطرف الآخر من الفم . فلما كان بينها هذا التباعد في المخرج ، ضارعوا بالفتحة حروف الحلق ؛ لأن الفتحة من الألف ، والألف أقرب الى حروف الحلق لتناسب الاصوات ، ويكون العمل من وجه واحد » (٤٤) . ثم قال : « كلما سفل الحرف ، كان الفتح له ألزم » (٤٥) . غير أن ذلك لم يكن بالأمر الذي يضطر إليه الناطق اضطراراً ، فلا يستطيع الخروج عنه . فقد ذكر سيبويه : أن الفصحاء قالوا : مثل « أبى — يأبى » ، وهو ليس حلقياً في عينه ولا في لامه ؛ وبيّن أنه حالة خاصة لا يعلم غيرها بقوله : « ولا نعلم الا هذا الحرف . وأما غير هذا ، فجاء على القياس » (٤٦) . ثم كان من العلماء ، من بعدُ ، مَنْ أشار الى هذا الفعل ، والى أفعال اخرى مختلف فيها ، كابن خالويه الذي سجل عشرة أفعال ، ثم قال : « ولم يحك سيبويه الا حرفاً واحداً « أبى — يأبى » ، لأنه بلا خلاف ، والبواقي مختلف

(٤٢) رتبت هذه الاحرف حسب مخارجها الصوتية . ينظر في ذلك كل من : المقتضب ١١١/٢ ، وشرح ابن يعيش ١٥٣/٧ .
(٤٣) المفصل في علم العربية ٢٧٧ . وانظر المنصف ١٨٦/١ . وواضح أن هذا الشرط لاعلاقة له بفاء الفعل ، لذلك لم يلزم الفتح في الأفعال التي فاؤها حرف حلق . ينظر المقتضب ١١٢/٢ ، وشرح المفصل ١٥٤/٧ .
(٤٤) نفسه ١٥٣/٧ .
(٤٥) نفسه ١٥٤/٧ .
(٤٦) الكتاب ١٠٦/٤ .

فيها » (٤٧) . وكابن القطاع الذي سجل اربعة عشر فعلاً مختلفاً فيه (٤٨) ، بيد أن الفيومي في « المصباح المنير » ، والفيروز آبادي في « القاموس المحيط » ذكرا أفعالاً غير التي ذكرها السابقون ، ولم يشيرا الى أنها مما اختلف فيه ! وذلك ما يُعَدّ إضافة جديدة الى ما جاء به سيبويه في كتابه ، وهو « أبى — يأبى » ، وكذلك ابن خالويه وابن القطاع . فالفيوّمي أشار الى هذين الفعلين : عَضَّ — يعَضُّ (في لغة) ، وأثّ — يأثّ ، وأضاف الى ذلك قوله : « وربما جاء في غير ذلك ، قالوا : وَدَّ — يَوَدُّ » (٤٩) . وأشار الفيروزآبادي الى الفعلين : زرَّ — يزَرّ (في لغة) ، ودرَّ — يدَرّ . (٥٠) على أن هذه النوادر لا تؤثر في الأصل العام ، وهو أن « فعَلَ — يفعَلُ » لابد أن يكون حلقي العين أو اللام . ويلزم التنبيه هنا على أن هذا القيد يطرد ولا ينعكس . أي أن مجيء الفعل حلقياً في عينه أو في لامه ، لا يوجب أن يكون من هذا الباب ، بل قد يجيء على الاصل ، وهو المخالفة : الكسر أو الضم . قال سيبويه : « وقد جاؤوا بأشياء من هذا الباب على الأصل : قالوا برأ — يبرُؤ ، كما قالوا : قتَلَ — يقتُلُ ، وهَنَأ — يَهْنئ ، كما قالوا : ضرَبَ — يضرِب » (٥١) . ثم ضرب أمثلة كثيرة لما ورد على الاصل مما فيه أحرف

(٤٧) ليس في كلام العرب ، ١٧ . (في الأصل : « ومن يحك . . . » ، والسياق يقتضي ما ذكرناه : « ولم يحك . . . . ») .

(٤٨) الافعال ١/٨ . وتلك هي :
قلى يقلى وغسى يغسى وركن يركن وجنى يجنى وشحى يشحى وعثى يعثى وسلى يسلى وخظى يخظى وعلى يعلى وقنط يقنط وغص يغص وبض يبض ، وودع يدع — ويذر (بغير ماض) ، وهو محمول على ودع يدع . وقد ذكروا أن الفعل الأول — قلى يقلى لغة عامرية . ينظر : شافية ابن الحاجب — مجموع مهمات المتون ٥٠٣ .

(٤٩) المصباح المنير (أ ب ى) . ومعلوم أن « ود — يود » من باب « فعل — يفعل » فيقال في الفك : وددن — يوددن . وانظر السماع والقياس لاحمد تيمور ١٤١ — ١٤٢ .

(٥٠) القاموس المحيط (زرر) و (درر) وينظر السماع والقياس لأحمد تيمور ١٤١ — ١٤٢ .

(٥١) الكتاب ١٠٢/٤ .

الحلق عينات تارةً ولامات أخرى . (٥٢) . ووصف أبو بكر الزبيدي هذا اللون بأنه كثير قائلاً : « وقد يجيء كثير من هذا على الاصل » (٥٣) . ولهذا لا يتفق هذا البحث مع الدكتور هاشم طه شلاش في قوله : « ومما شذ عن القاعدة ، وهو ما كانت لامه أو عينه حرف حلق ، ولم يأت مفتوح العين في المضارع ، قولهم : ذخَر – يذخرُ ، ودخل – يدخُل ... » (٥٤) ؛ إذ ليس ذلك بشذوذ عن القاعدة ؛ لأن القاعدة – على ما تقدم – ذات جانب واحد ، يطّرد ولا ينعكس .

وكما هو الحال في البابين السابقين ، جرى فريق من المحدثين على محاولة اخضاع هذا الباب للقياس . فرأى علي الجارم في مقترح خاص بوضع قواعد جديدة يستعان بها في اشتقاق الأفعال من الجامد للضرورة (٥٥) : انه اذا أريد صياغة فعل ثلاثي من الجامد أخضعناه لقواعد مطردة منها أن « ما كانت عينه أو لامه حرف حلق مثلاً ، جعلناه من باب فتح ، كقمح وبلح » (٥٦) . وقد تبين قبل قليل أن العرب لم ينهجوا هذا النهج المطلق ، وأن كثيراً من الافعال الحلقية – عيناً أو لاماً – لم ترد على هذا الباب . ولكن ما يشفع للجارم في اقتراحه أنه لم يبح هذا القياس إباحة مطلقة ، وانما جعله محصوراً في حدود خلق الافعال الثلاثية من الجامد للضرورة . واذا عدنا الى العلايلي ، وجدناه يقول بعبارة داعية الى قياس هذا الباب قياساً مطلقاً ، وهي قوله : « وكل

(٥٢) الكتاب ٤/١٠٢ – ١٠٣ . وقد يجيء مع الفتح وجه آخر صحيح نحو نضح ينضح وينضح ، ومنح يمنح ويمنح ... انظر : الاشتقاق ٢٠٤ – ٢٠٦ .

(٥٣) الواضح في علم العربية ١٠١ . وفي إحدى مخطوطات كتاب سيبويه – وهي المخطوطة الأولى التي اعتمدها عبد السلام محمد هارون في تحقيقه الكتاب – وصف سيبويه هذا الضرب بقوله : « وهذا الضرب كثير » ينظر الكتاب ٤/١٠٣ – الهامش ٢ .

(٥٤) اوزان الفعل ومعانيها ٢٩ .

(٥٥) كتاب في أصول اللغة ١/٦٤

(٥٦) نفسه ١/٦٥ .

حلقي بفتحهما مطلقاً » (٥٧) بعد قوله في الفعل الحلقي : « يكون من باب « فتح » مطلقاً » (٥٨) ... ولكنه سرعان ما استدرك قائلاً : « وما بقي على غير ذلك فأثريات ، وليس معنى هذا أنا ندعو الى خرق حرمة النص ، فان ما مضت به المعاجم يتقيد به اذا كان محل وفاق ، فان اختلف فيه فالراجح الكسر » (٥٩) . وهذا القول سديد محمود ؛ لأنه يقيم للنص الوزن الأول ، ولا يبغي الى خرق حرمته سبيلاً ؛ فهو يتقيد بالمعجم العربي وبحكمه ، ومن ثم ستكون عبارته السالفة ذات الصفة القاطقة غير قاطعة ، بسبب الاستدراك ، وأنها على أية حال تاتقي بمقولة الماضين : « لا يلزم في الحلقي أن يكون من هذا الباب » . وعلى عكس هذا ، قرر المتقدمون أن يكون كل فعل من أفعال هذا الباب حلقياً ، ولا يجوز غير ذلك ، لأنهم رأوا هذا الشرط لازماً فيما نقاه رواة اللغة من أفعال هذا الباب . أما العلايلي ، فلم يعر اهتماماً بهذا الالتزام ، وقال بصحة نقل كل فعل في العربية الى هذا الباب اذا دل على التفلت والانسراح حلقياً كان أو غير حلقي !! فقال : « واذا أردت الدلالة على التفلت والانسراح تنقل الفعل الى الباب الثالث ، أي باب « فتح يفتح » ، ولا تلق بالاً الى ما اشترطه اللغويون من أن هذا الباب خاص بما كان عينه أو لامه حرف حلق ؛ فهو تقدير واهن ، ولذا حاروا في تعليل ما شذ حيرة كبيرة » (٦٠) . وبذلك ألغى العلايلي ببساطة متناهية أمراً من أدق مستلزمات صحة الباب المذكور ؛ أنه يتعلق بتناسب الأصوات وسهولة اخراجها ، على ما تقدم في موضعه (٦١) . وإن ما تعلق به العلايلي من وجود الشاذ في هذا الباب لا يدعو الى هدم الباب أو الاشتراط ؛ ذلك أن هذا الشاذ لم يكن غير

(٥٧ – ٥٨ – ٥٩) مقدمة لدرس لغة العرب ١٩٣ .

(٦٠) المعجم ١٢ .

(٦١) في ص (١٥) من هذا البحث .

شوارد ونوادر ، ذكر سيبويه منها فعلاً واحداً ، هو « أبى – يأبى » وقال انه لا يعلم غيره . ولم يزد الآتون بعده الا أفعالاً يسيرة ، تقدم ذكرها في هذا البحث (٦٢) على أنها من النادر الذي لا ينقض بناء القواعد ، ولا يصحّ الاستناد إليه في فتح باب القياس المطلق ومعاملة القليل الشاذ معاملة الكثير الغالب المستفيض في كلام الفصحاء ونصوص البلغاء . إنه لحكم دقيق وتقدير صائب هذا الذي انتهى اليه المتقدمون ، عبرّ عنه السيوطي بقوله : « لا شرط للكسرة والضمة فيجوزان ، سواء كانت العين أو اللام حرف حلق ، كدخل يدخل ، ورجح يرجح ، أم لا . وشرط الفتح كونها ، أي العين أو اللام ، حرف حلق » (٦٣) .



اتضح مما تقدم في هذا القسم من البحث (فعَلَ) أن صوغ المضارع منه يمكن معرفته في كثير من أحواله عن طريق القياس الغالب الذي أثبت هذا البحث أوضاعه المختلفة عقيب كلّ حالة من الحالات الثلاث ، وهي : « فعَلَ – يفعِل ، وفعَل – يفعُل ، وفعَل – يفعَلُ » . فان لم يُعْرَف بالقياس ، لُجئ الى السماع المحفوظ في معجمات العربية ومظانها .

ولكنْ ، هناك سؤال له أهميته في هذا الشأن ، وهو : أن المضارع المطلوب صوغه من « فعَل » قد لا يكون حالة من حالات القياس أولاً ، ولم يرد به السماع المحفوظ ثانياً ... فكيف يوصل الى صياغته إذن ؟! يقول أبو زيد الأنصاري : « اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على

(٦٢) ينظر ص (١٥ – ١٦) من هذا البحث .

(٦٣) همع الهوامع ١٦٣/٢ . فكل مفتوح حلقي ، وليس كل حلقي مفتوحاً . ومن الافعال الحلقية مايرد بالوجهين : الفتح على القياس ، والضم على السماع ، وهي أفعال يسيرة ، مثل : جنح يجنح ويجنح ، ودبغ يدبغ ويدبغ . ومنها مايرد بالكسر نحو هنأ يهنئ ، ونزع ينزع . ينظر : الافعال ٨/١ .

« فعَلَ » ، فأنت في المستقبل بالخيار : إن شئت قلت « يفعُلُ » بضم العين ، وإن شئت قلت « يفعِلُ » بكسرها » (٦٤) . وهذا قول لا يُطْمَأن الى عدّه جواباً تاماً عن السؤال ؛ فهو يجيز الوجهين في أفعال قد تكون نُطقت بوجه واحد ، فكيف يجاز الوجه الآخر ؟! كيف يصح — مثلاً — إجازة النطق بالضم اذا كان الوجه هو الكسر ؟! وكذلك العكس : اذا كان الوجه المنطوق هو الضم ، فكيف يصحّ الكسر ؟! وعلى هذا ، لابد من تحري السماع والالتزام به ، سواء أكان الفعل مشهوراً أم مغموراً ، ولا نتفق مع ابن عصفور الاشبيلي إذ قال إن سماع إحدى الصورتين — الكسر أو الضم — كاف لإجازة النطق بالصورة الاخرى وإن لم تسمع !! قال : « وقد يجتمعان في الفعل الواحد ، نحو : عكف يعكِفُ ويعكُفُ . وهما جائزان سمعا للكلمة ، أو لم يسمع الا أحدهما » (٦٥) . إننا نرى المحافظة على السماع أمراً واجباً في كل حال ، فلا قول بغيره ، ولا حاجة الى غيره إذا وُجد هو ؛ فما الذي يدعو الى إباحة وجه ثان لم يرد به السماع ؟! ألا تكفي معرفة الفعل بوجهه المسموع ؟!

هذه الاجابات غير كافية كما قلت ؛ لأنها تتناول المسموع ، وتجتهد في أمره ، حيث لا يصح الاجتهاد في معرض النصوص ، ولا حاجة الى الحدس والتخمين . على أننا نرى الوقوف عند مذهب أبي حيان الأندلسي في هذه المسألة ، الذي فرّق فيه بين حالات السماع وحالات غياب السماع ، وقال :

---

(٦٤) القاموس المحيط (المقدمة) ١/٤ .

(٦٥) الممتع ١/١٧٥ . إن قوله « جائزان » يلتقي مع تجويز الوجهين عند أبي زيد الأنصاري على أن بعضهم رأى الكسر هو الأولى بالقبول . ينظر في مختلف الاقوال في ذلك كل من : شرح المفصل ٧/١٥٢ — ١٥٣ ، والمخصص ١٤/ ١٢٣ .

« والذي نختار : إن سمع وقف مع السماع ، وإن لم يسمع فأشكل : جاز يفعُلُ ويفعِلُ » (٦٦) . فانه لا يجيز ذلك الا في غياب السماع .

ولا يبقى من المسألة الا شيئ واحد ، هو أن المضارع من « فعَل » قد لا يرد مكسوراً أو مضموماً ، بل يرد مفتوحاً « فعَل – يفعَلُ » ... فمتى يقدر المضارع مفتوحاً في حال فقدان السماع ؟ الجواب هنا : لا يتعارض مع ما تقدم من أن المضارع المجهول من « فعَلَ » إنما يصاغ على « يفعِل » – بالكسر – أو « يفعُلُ » – بالضم – ويضاف الى ذلك أنه يجوز (ولا يجب) صوغه على « يفعَلُ » – بالفتح – إذا كان الفعل حلقي العين أو اللام . قال المبرد : « وأما ما كان على « فعَل » فإنه يجيء على « يفعِل » و« يفعُل » نحو يضرب ويقتل . وإن عرض فيه حرف من حروف الحلق جاز أن يقع على « فَعَل يفعَل » ، وذلك اذا كان الحرف من حروف الحلق عيناً أو لاماً » . (٦٧) .



صوغ المضارع من الماضي المكسور العين (فَعِلَ) :

يأتي الفعل المصوغ على « فعِل » لازماً مثل « فرِح » ، كما يأتي متعدياً مثل « سَمِع » (٦٨) ، غير أن « لازمه اكثر من متعديه » (٦٩) . وقد لوحظ أن اللازم هذا قد وضع أصلاً للدلالات أشهرها : الفرح « فرِح » ، والحزن « حزِن » ، والامتلاء « شبِع » ، والخلوّ « عطِش » ، والحلى – وهي العلامات الظاهرة للعيون في أعضاء الحيوان – مثل « صلِع » ، والألوان مثل

(٦٦) المزهر ٢/٣٩ .
(٦٧) المقتضب ١/٧١ ، وينظر المصباح المنير ٢/٣٦٤ .
(٦٨) ينظر المنصف ١/٢٠ .
(٦٩) شرح الشافية للرضي ١/٧٢ .

(شهِب) (٧٠) ويرد هذا البناء من الأحوال اللفظية المختلفة ، وهي : الصحة مثل «شرِب» ، والهمزة مثل «أرِف — سئِم — صدِئ» ، والاعتلال مثل : وجِل — عوِر — صيِد — رضي — ولي — قوي » (٧١) ، والتضعيف (عضّ) (٧٢) . على أن القول بأن هذا الفعل الماضي أو ذاك يلزم كونه على « فعِلَ » مرهون بالسماع ، شأنه شأن البناء الاول « فعَلَ » والذي تقدم به الحديث . غير أن بني أسد كانوا اذا كسروا حرف المضارعة من « فَعِلَ » فانما يرمون بذلك الى أن الماضي مكسور العين نحو أن يقولوا : « يِعْلَمُ » ، فيكون ذلك دليلاً على أن الماضي مكسور العين : « عَلِم » (٧٣) .

وتقتضي القسمة العقلية أن يكون المضارع من « فَعِلَ » — كما هو من « فعَلَ » أو فعُل » — على الأوجه الثلاثة : « يفعُلُ ويفعِلُ ويفعَلُ » ، وهذا بيان حديثها :

أما « فعِلَ — يفعُلُ » فان جمهرة العلماء لم يعدوه أصلاً في هذه الأوجه ، ولا فرعاً مقبولاً ، بل رفضوه جملة ؛ لأنه لم يرد عن الفصحاء . فان جاء شيء منه ، فليس وارداً على باب ، ولا شاذاً عن باب ، وانما هو مزيج من بابين أطلق عليه ابن جني « تركب اللغات » أو « تداخل اللغات » (٧٤) قال ابن الحاجب في « الشافية » : « وأما فَضِلَ يفضُلُ ، ونعِم ينعُمُ ،

---

(٧٠) ينظر شرح الشافية للرضي ٧٢/١ — ٧٣ ، وشرح الشافية لنقره كار ٢٢ .

(٧١) قد يكون الأجوف هنا بصورة الألف نحو : خاف وهاب ، فانه من هذا الوزن (فعل). وهذه الصورة قد تكون من (فعل) أيضاً ، نحو : قال وباع . ينظر المنصف ٢٣٤/١ ، ٢٣٨ . أما الناقص من هذا الباب نحو شقي وفني فان لهجة طي تحوله الى وزن آخر هو « فعل » — بفتح العين — يقولون : شقى يشقى وفنى يفنى . المزهر ٣٨/٢ .

(٧٢) أصله : عضض . وذكر ابن خالويه (ليس ١٩) أفعالا من هذا الضرب لا تدغم ، هي : لحح ، وضبب ، وألل .

(٧٣) ليس ٢٢ .

(٧٤) الخصائص ٣٧٤/١ .

فمن التداخل . » (٧٥) وقال ابن يعيش في ضَعْف ورود هذا الوزن في كلام العرب : « لم يأت عنهم فعِلَ يفعُلُ – بكسر العين في الماضي وضمها في المستقبل – إلاّ أحرف يسيرة ، لا اعتداد بها ، لقلتها وندرتها . » (٧٦) وقال : « وقد منع من ذلك أبو زيد وأبو الحسن . وقد جاء عن غير سيبويه : حضِرَ يحضُرُ . وقالوا في المعتل : « متّ تموت ، ودمت تدوم » . وذلك كله من لغات تداخلت . » (٧٧) ... وبعد أن بيّن أن ذلك من تداخل اللغات قال : « لا أن ذلك أصل في اللغة . » (٧٨) . والعلة عند الصرفيين ، في عدم عدّ ذلك باباً في أصل اللغة ، قولهم إنّ الجمع بين الكسر والضم في باب واحد شيء ثقيل (٧٩) . لكن هذا التعليل يصعب الاطمئنان اليه والاقتناع به ، لان ما جاء من أفعال هذا الضرب قد سارت به الألسنة الفصيحة دون تردد أو استثقال ، فقالت : فضِلَ يفضُلُ ونعِمَ ينعُمُ وحضِر يحضُر ... ويذكر أن سيبويه قد وصَف هذا الضرب بالشاذ عن بابه ، فقال : « ان فَضِلَ يفضُل شاذّ من بابه » (٨٠) ، مكتفياً بهذا الوصف ، غير مشير أو مقرر لوقوع الثقل في هذه الحالة . قال في تعليل ذلك : « بنوه على ذلك كما بنوا فَعِلَ على يفعِلُ ، لأنهم قد قالوا : يفعِلُ في فعِلَ ، كما قالوا في فعَلَ ، فأدخلوا الضمة كما تدخل في فعَلَ ، وذلك فضِلَ يفضُل ، ومِت تموت . » (٨١) بيد أنه لم يذكر من هذا الضرب غير فعلين اثنين قائلاً : « وقد جاء في الكلام فعِلَ يفعُلُ في حرفين . » (٨٢) وهما المذكوران آنفاً « فضِل يفضُل ومت تموت » . وقد زاد ابن خالويه ثلاثة أفعال على ذينك الفعلين ،

---

(٧٥) مجموع مهمات المتون ٥٠٣ .

(٧٦) شرح المفصل ١٥٤/٧ .

(٧٧ – ٧٨) شرح المفصل ١٥٤/٧ . وينظر « الخصائص » ٣٧٨/١ .

(٧٩) ينظر شرح الشافية لنقره كار ٣٣ ، والهمع ١٦٤/٢ .

(٨٠ – ٨١ – ٨٢) الكتاب ٤٠/٤

هي : دمت أدوم ، ونعِم ينعُمُ وقنِط يقنُطُ . (٨٣) أما ابن القطاع فأضاف الى ما ذكره سيبويه وابن خالويه فعلاً صحيحاً ، هو : رَكِنَ يركُنُ ، وآخرَ مضاعفاً ، هو لبِبت تلُبُّ ، وفعلين معتلين ، هما : كِدت تكود ، وجدت تجود . ولكنه أغفل فعلاً أورده ابن خالويه وهو دمت أدوم (٨٤) . وكان مرَّ بنا قبل قليل الفعل حضِر يحضُر في قول ابن يعيش : « وقد جاء عن غير سيبويه حضِر يحضُر . » (٨٥) ووجدت ذلك في « الخصائص » لابن جني (٨٦) . وفي « شرح الشافية » للرضي : أن أبا عبيدة حكي نكِل ينكُلُ (٨٧) ، وذكر الرضي فعلاً آخر ، هو : نجِد ينجُد ، أي عرق(٨٨) . ثم سرد السيوطي تلك الأفعال ومعها فعل آخر هو « شمِل يشمُلُ » (٨٩) . وهناك أفعال أخرى ، نحو : شمِس يشمُس ، وفرِغ يفرُغ ، وبرِئ يبرُؤ (٩٠) وفي ذلك دلالة على أن هذا الوزن تزداد أمثلته بازدياد البحث والتتبع ، وأنه لا يُحدّ بفعلين أو ثلاثة أو اربعة ... على أن الاقتصار على ما ورد من هذا الصنف أمر لازم ، وأن جملة ما أشرنا اليه منه خمسة عشر فعلاً لا تعد نهاية المطاف ، بل هي استدراك على من حدّد أو وقف عند فعلين أو بضعة أفعال ، كالذي جاء في نص سيبويه المذكور آنفاً ، الذي قال فيه :

(٨٣) ليس ٢٢ .
(٨٤) الافعال ٩/١ ، ١١ .
(٨٥) شرح المفصل ١٥٤/٧ . وينظر الهامش (٧٧) من هذا البحث .
(٨٦) ٣٧٨/١ .
(٨٧) ١٣٧/١ . وفيه أن الأصمعي أنكر هذا الفعل والمشهور أنه نكل ينكل .
(٨٨) نفسه .
(٨٩) المزهر ٣٨/٢ . وفيه الفعل « حفر » ولعله « حضر » فهو أحد الأفعال الواردة لهذا الوجه وقد تقدم ذكره .
(٩٠) ينظر لسان العرب (ش م س) تاج العروس (ف ر غ) ، (ب ر ء) .

« وقد جاء في الكلام فعِلَ يفعُلُ في حرفين . » (٩١) وكقول عبدالله أمين : « وجاء فعلان من الصحيح على فعِل يفعُلُ بكسر عين الماضي وضم عين المضارع » (٩٢) وقوله أيضاً : « وجاء فعلان من المعتل على فعِل يفعُل بكسر عين الماضي وضم عين المضارع . » (٩٣) ... بل كقول ابن خالويه في عبارته القاطعة : « ليس في كلام العرب فعِل يفعُلُ إلا خمسة أحرف » (٩٤) .

وأما الوجه الآخر – مما يرد عليه المضارع من « فعِلَ » – وهو « فعِلَ يفعِلُ » ، فقد رويت منه أفعال ، منها الصحيح مثل « حسِب يحسِب »(٩٥) ومنها المهموز مثل « يئس ييئس » (٩٦) ، ومنها المضاعف مثل « ضلَّ يضلُّ » (٩٧) ، ومنها المعتل ، وهو المثال الواوي (ومِق يمق) (٩٨) ، واليائي مثل« يبِس ييبِسُ » (٩٩) ، والاجوف الواوي مثل « تاه يتيه» (١٠٠) . وهذا الوزن ورد من المتعدي ومن اللازم على ما توضحه الأمثلة السابقة . وهو يرد من المعتل كثيراً ، ومن الصحيح قليلاً ، قال ابن خالويه : « ليس في كلام العرب فعِل يفعِل بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح ،

(٩١) الكتاب ٤/٤٠ . (٩٢) الاشتقاق ٢٠٢ .

(٩٣) الاشتقاق ٢٠٣ . (٩٤) ليس ٢٢ .

(٩٥ – ٩٦) الكتاب ٤/٣٨ .

(٩٧) الافعال ١/١١

(٩٨) الكتاب ٤/٥٤ .

(٩٩) الكتاب ٤/٣٨ .

(١٠٠) ومثله طاح يطيح ، وآن يئين . ينظر المنصف ١/٢٦١ ، وشرح الشافية للرضي ١/١٣٦. وقد أوضح ابن جني أن هذه الافعال من الأجوف الواوي لا اليائي ، فقال (المنصف ١/٢٦١ – ٢٦٢) : « إنما ذهب الخليل الى هذا ؛ لأنه لما رأى العين واواً في توه وطوح ، ورآهم يقولون : تاه يتيه وطاح يطيح ، ولم يمكنه أن يجعلها من الياء كباع يبيع ؛ **لأن** الدلالة قد قامت على كون العين واواً ، ذهب الى أنها فعل يفعل ، فكأنها في الاصل عنده طوح يطوح ، وتوه يتوه ، فجرى طحت وتهت مجرى خفت . ثم نقل في المضارع الكسرة من عين الفعل الى فائه ، فسكنت ، وحصلت قبلها الكسرة فانقلبت ياء ، كميقات وميزان ».

إلا ثلاثة أحرف : نعِم ينعِمُ ، ويئس ييئسُ ، ويبِس ييبِسُ . وقد يجوز فيهن الفتح ، وسمع . فأمّا المعتلّ ، فيجيءُ كثيراً ، نحو : ورِث يرِث ، وورم يرِمُ ، ووَمِق يَمِق ، ووفِق يفِقُ ، ووَلِيَ يلِي . » (١٠١) ويلاحظ أن ابن خالويه قد جوّز الفتح في الأفعال الثلاثة التي قال إنها هي التي وردت من « الصحيح » (١٠٢) حَسْبُ ، ولم يشر الى جواز الفتح في المعتل ، في حين جاء الفتح في المعتل أيضاً ، نحو : وبق يبق ويوبَق ، ووغر يغِر ويوغر ، ووله يولِه ويولَهُ ، وواغ يولِغ ويولَغ ، ووجِل يوجِلُ ويوجَلُ ، ووهِلَ يوهِلُ ويوهلُ ، ووحِر يحِرُ ويَوْحَرُ ، وورِع يَرِعُ ويورَعُ (١٠٣) فاذا كان الأمر كذلك ، فهذا باب مختلط بغيره ، غير خالص بنفسه . ولن يتحقق هذا الخلوص او الانفراد الا بالبحث والوقوف على الافعال التي يلزم فيها وجه واحد ، هو الكسر في الماضي والمضارع ، كيما يمكن القول إن هذا باب قائم برأسه ، والا عُدّ الفتح هو الباب ، وعُدّ الكسر شذوذاً عنه ، ليس غير (١٠٤) . وقد دل الاستقراء والبحث على أن الحالة المذكورة — حالة الكسر في الماضي والمضارع — واردة في فصيح اللغة ، وأن ابن جني قد ذكر نماذج لتلك الحالة في رده على أبي علي الفارسي ذهابَهُ الى أن جميع ما جاء على « فعِلَ » يكون مضارعه على « يفعَلُ » و « يفعِلُ » . قال ابن جني : « وفي قول أبي عليّ : إن جميع باب فعِلَ يأتي مضارعه على يفعَلُ ويفعِلُ جميعاً شيْ . وذلك أنه قد جاء مضارع فعِلَ في بعض اللغة على يفعِلُ ،

(١٠١) ليس ص (١٨ — ١٩) .

(١٠٢) إن هذه الأفعال صحيحة الآخر لا صحيحة مطلقاً . وقد أشار الى ذلك محقق الكتاب المذكور وهو كتاب « ليس » : ص ١٨ / الهامش ٢ .

(١٠٣) ينظر الأفعال ١/١٠ ، والاشتقاق ص (٢٠٢ — ٢٠٣)

(١٠٤) سيأتي الكلام على الأفعال التي ترد على غير وجه واحد ، أو باب واحد .

ليس غير ؛ وذلك : ومق يمق ، ووثق يثق ، وورم يرم ، ونحو ذلك مما لزم مضارعه يفعِلُ وحدَها . » (١٠٥) وثمة أمثلة أخرى ، كان ابن جني قد ذكرها بقوله : « وقد جاء مما فاؤه واو على فعِل يفعِلُ قولهم : وثق يثق ، وومق يمق ، وورم يرم ، وورث يرث ، ووله يله ، ووفق يفق » (١٠٦) . وليس ذلك كلّ ما جاء من أفعال هذا الباب ، فهناك ولي يلي ، ووهِم يهم ، ووعِم يعم ، وورِي يرِي ، ووجِد يجد ، ووعق يعق ، وورك يرك ، ووكم يكم ، ووقه يقه . (١٠٧) وعلى هذا نستطيع الخلوص الى أن « يفعِلَ » بالكسر صيغة صحيحة اذا أُريد المضارع من المثال الواوي الذي ماضيه على « فعِل » . ولا يعني ذلك أن كل ماضٍ على « فعِل » من المثال الواوي يلزم أن يكون مضارعه على « يفعِل » ؛ فانه قد يأتي أحياناً على صورتين : الاولى هي هذه الصورة «يفعِل» والثانية صورة الفتح «يفعَل»(١٠٨).

إن نظرة في هذا الباب « فعِل يفعِل » ، وسابقه « فعِلَ يفعُلُ » ، تبين أنهما متقاربان من حيث ورودهما في فصيح اللغة وروداً قليلاً ، على الرغم من أن ما أثبتته الكتب الصرفية من أمثلة الباب السابق أقل من أمثلة الباب اللاحق . وهو فرق ضئيل ، قد يكون سببه نقص الاستقصاء ، وقلة المروي المنقول ، لا قلة المنطوق نفسه (١٠٩) وعليه ، يمكن النظر الى البابين نظرة متشابهة ، وعدّ كلّ منهما أصلاً قائماً بنفسه ، لا أن يعدّ أحدهما أصلاً ،

(١٠٥) المنصف ١/ ٢٤٣

(١٠٦) المنصف ٢٠٧/١ . وذكر في هذا الموضع أفعالا خرى ، ولكنها ذات وجهين .

(١٠٧) ينظر : شرح الشافية للرضي ١٣٥/١ — الهامش (١) . وهناك أيضاً الفعلان : وطىء يطأ ، ووسع يسع ؛ حيث إن أصلهما كسر العين وانما انفتحا من أجل حروف الحلق. ينظر : المنصف ٢٠٧/١ والاقتضاب لابن السيد البطليوسي ٢٣٢ .

(١٠٨) ينظر الهامش (١٠٣) من هذا البحث .

(١٠٩) قال ابو عمرو بن العلاء (الخصائص ٣٨٦/١) : « ماانتهى اليكم من كلام العرب الا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . »

ويعدّ الآخر وليداً لتداخل اللغات . ذلك أن القول بتداخــل اللغات يمكن أن يفسر به أمثلة من الباب « فعِل يفعِل » أيضاً : من ذلك ما ذكره الكسائي من أن حسِبَ يحسِبُ إنما هو من تداخل اللغات (١١٠) ، وما بينّته الكتب من أن عرِش يعرِش (١١١) ويئس ييئس (١١٢) نتيجة لهذا السبب . ثم ذُهب الى هذا التعليل في باب آخر أشهر وأعرف ، وهو « فعَلَ يفعَلُ » ؛ مما يوسع دائرة هذا القول ، فلا يحصروهُ في صورة معينة ، كفعِل يفعُلُ . قال التفتازانّي : « وأما رَكَنَ يركَنُ ، فمن تداخل اللغتين ؛ أعني أنه جاء من نصَرَ ينصُرُ وعَلِمَ يعلَمُ ، فأخــذ الماضي من الاول ، والمضارعَ من الثاني » (١١٣) . وكذلك الحال في أفعال أخرى ، نحو : قلى يقلى ، وسلى ، يسلى ، وجبى يجبى ؛ إذْ جعلها ابن جني من التداخل كذلك (١١٤) .

إن الاشارة الى عدّ « فعِل يفعُلُ » باباً ، لا تعني القول بقياسية هذا الباب ، بل هي توحيد النظرة الى أمرين متماثلين ، لا ينبغي لأحد معهما أن يجيز أحدهما ويرفض الآخر ؛ فإمّا أن يقبلا معاً ، وإمّا أن يرفضا معاً . على أن الذي نراه هو البعد عن الغلو أو التمحل في المنع أو القبول . فكما أننا لا نرى القول بتقييس هذين الوزنين تقييساً مطلقاً ، كذلك لا نرى إلغاءهما واهمال أفعالهما ، كما صنع الدكتور إبراهيم أنيس حين أراد أن يهمل الأفعال الثلاثية الصحيحة في باب « فعِلَ يفعِلُ » قائلاً ؛ : « يجدر بنا أن نهمل تلك الأفعال الثلاثية الصحيحة التي يذكرها الفيروزآبادي على أنهــا لم ترو إلا

(١١٠) الأضداد لابن الانباري ص ١٠ .

(١١١) شرح المفصل ١٥٣/٧

(١١٢) لسان العرب ٢١/٦ ، ١٥٩

(١١٣) شرح تصريف الزنجاني ٢١ . ينظر : شرح الشافية للرضي ١٢٣/١ ، ولسان العرب ١٨٥/١٣ .

(١١٤) ينظر الخصائص ٣٧٤/١ .

مكسورة العين في الماضي والمضارع » (١١٥) . على حين نجد غلوّاً معاكساً فيما ذهب إليه عبدالله العلايلي من ازوم فتح باب القياس في هذا الباب نفسه ، وإباحة صوغ الأفعال بمقتضاه إذا دلت على التجزؤ والتقسّم ؛ فكل ما دل على هذا من الأفعال كان لك أن تنقله الى هذا الباب !! (١١٦) .

ونصل الآن الى الوجه الثالث (الأخير) ، وهو « يفعَلُ » مضارعاً للماضي « فعِلَ » . وأشهر دلالاته : الداء أو العلة ، والخوف أو الذعر ، والحزن أو الغمّ ، والعيب ، وترك الشيء ، والتعلق به ، والحركة والاضطراب ، والسهولة ، والتعذر ، والفرح ، والجوع ، والعطش ، والشبع ، والامتلاء ، واللون والقوة ، والكبر ، والرفعة ، والضّعة ، والصفة الحميدة ، والحلية ، والحيرة ، والغضب (١١٧) . وهذا الوزن ، كما تقدم من أوزان ، يأتي من المتعدي مثل « علِمَ — يعلَمُ » ، ومن اللازم مثل « فقِه — يفقَهُ » (١١٨) . أما بناؤه وتأليفه من حيث الصحة والهمز والاعتلال والتضعيف ، فقد تقدم في الكلام على الوزن « فعِل » عامة تمييزه من هذه الاحوال كلها . وفيما يلي أمثلة هذا الباب خاصةً — فعِل يفعَل — الدالة على ذلك الورود ، مثل : شرِب — يشرَبُ « الصحيح » ، وأمِن — يأمَن « مهموز الفاء » ، وسئِم — يسأم « مهموز العين » ، وصدِئ — يصدأ « مهموز اللام » ، ووجل — يوجَلُ « معتل الفاء » ، وعوِر — يعوَرُ « معتل العين » ، ورضي — يرضَى « معتل اللام » ، ووجي — يوْجَى « اللفيف المفروق » وقوي — يقوى « اللفيف المقرون » ، وعضّ — يعَضُّ « المضاعف » .

---

(١١٥) من أسرار اللغة ٥٣ — الحاشية .

(١١٦) ينظر المعجم ١٣ .

(١١٧) أبنية الصرف ص (٣٨٤ — ٣٨٥) ، وينظر شرح المفصل ١٥٧/٧ .

(١١٨) ينظر : المقتضب ١١٠/٢

إن هذا الباب ، باتفاق كلمـة علماء العربية، هو الاصل في مضارع « فعِلَ » قياساً مطرداً ، لا عبرة بما يخرج عنه الى غيره . قال المازني : « إن فعِلَ يلزمه يفعَل » (١١٩) ، وقال المبرد : « ما كان على فعِل فاللازم في مستقبله يفعَلُ » (١٢٠) . وفي هذا يقول ابن جني : « لو سمِعتَ « سلِمَ » ولم تسمع مضارعه ، أكنت ترع أو ترتدَع أن تقول (يسلَمُ) قياساً أقوى من كثير من سماع غيره ؟ » (١٢١) .

هذا هو الأصل . أما ما خرج عنه ، فتعقبه رجال العربية . ولا يخلو أن يكون مضموماً مثـل « فعِل يفعُل » ، أو مكسوراً « فعِـل يفعِل » ، وقد يكون بوجه أو بأكثر ، وذلك ما تقدم حديثه في هذا البحث (١٢٢) . على أن ما يُثبّت هنا أن هذا الذي يخرج عن الأصل لابد من التزام السماع فيه ، لأن المسموع على صورة لا يجوز نطقه على صورة غيرها ؛ فالموجود موجود ، ولا يجوز أن يكون غير ذلك ! !

إن القاعدة السالفة القائلة إن المضارع « يفعَلُ » هو الأصل اذا كان الماضي (فعِلَ) ، إنما تنفع في حال معرفة الماضي عن طريق السماع ، فكيف إذا لم تعرف صورة الماضي ؟! الحقّ أن الرجوع الى السماع (المحفوظ في معجمات العربية) هو الطريقة المثلى للوصول الى صورة الماضي الحقيقية ؛ فإن لم يوصل إليها لجيئ الى ما أعلنه الصرفيون من دلالات الأوزان الفعلية لحمل المجهول على المعلوم ، وهي دلالات « فعَل » و « فعِلَ » المتقدم ذكرها في هذا البحث (١٢٣) ، ثم دلالات « فَعُلَ » التي سيأتي حديثها في موضعه (١٢٤) . ولقد وقع هذا البحث ، فيما يتصل بالباب الذي نحن

(١١٩) المنصف ٢٤٦/١ ، وينظر : ١٨٦/١ – ١٨٧ منه .
(١٢٠) المقتضب ٧١/١ ، وينظر : ٩٨/١ منه .
(١٢١) الخصائص ٣٦٩/١ .
(١٢٢) ص ٢٤ – ٢٦ (١٢٣) ص (٣) وص (٢١) . (١٢٤) ص (٣٠) .

بصدده « فعِلَ يفعَلُ » ، على نصوص نفيسة نادرة أوردها أبو هلال العسكري في معجمه « التلخيص في أسماء الأشياء » تكشف عن شيءٍ من حقائق العربية وأسرارها ، وتعيّن بتحديد قاطع أن الحالة الخاصة بكذا توجب أن يكون فعلها من هذا الباب « فعِلَ يفعَلُ » !! قال أبو هلال في فصل خاص بصفات الأُذُن ، بعد أن أورد قسماً من ألفاظ تلك الصفات : « والماضي من جميع ذلك « فَعِلَتْ » والمستقبل (تَفْعَلُ) ، مثل : غَضِفَتْ تَغْضَفُ ، وخَذِيَتْ تَخذَى ، وسَكِكْتَ يا رجلُ تَسَكُّ » (١٢٥) . وقال في فصل خاص بصفة العين : « يقال في هذا كله للذكر « أفعل » ، وللأنثى « فعلاء » ، والماضي منه (فعِلَ » ، والمستقبل « يفعَلُ » (١٢٦) . وقال مثل ذلك في فصل خاص بصفة الأنف (١٢٧) وفي فصل خاصّ بصفة القَدَم (١٢٨) ، وفي فصل خاصّ بعيوب الفَرَس (١٢٩) . فهذه الأحوال قد خصّها أبو هلال بتلك القاعدة مدعومة بشواهد كثيرة لكل حالة . ولو أنه تقصى أحوال الفعل الثلاثي المجرد وأوزانه على هذا النحو ، ليَسّر على الدارسين مصاعب الخلوص الى قواعد شاملة في هذا الشأن ، غير أن ما أعلنه من تلك الضوابط لم يرد إلا عرضاً في مواضع من معجمه المذكور .



★ ★ ★

صوغ المضارع من الماضي المضموم العين : « فَعُلَ »

هو الوزن الثالث بعدَ « فعَل » و « فَعِلَ » . وقد خُصّ وضعه بالغرائز ، وهي ما يخلق من الأوصاف ، وذلك هو الغالب في هذه الصيغة ، قال السيوطيّ : « والمضموم للغرائز غالباً ، ككَرُم ولؤُمَ وشعُر وفقُه . ومن

(١٢٥) التلخيص ٢١ .
(١٢٦) التلخيص ٣٣ ، وأعاد ذلك في ص ٣٥ .
(١٢٧) التلخيص ٣٨ .
(١٢٨) التخليص ٨٠ (١٢٩) التلخيص ٥٥٥ ، وأعاد ذلك في ص ٥٥٦ .

غير الغالب كجنب ونجس . » (١٣٠) وقال الرضي : « وقد يجري غير الغريزة مجراها ، إذا كان له لُبْث ومُكْث ، نحو : حلم وبرع وكرم وفحش » (١٣١) وفي هذا إشارة الى الحال الأخرى التي يأتي لأجلها هذا الوزن ، وهي التي لم تختص بالغرائز بل تتأتى من إمكان صوغ كل فعل ثلاثي قابل للتعجب (١٣٢) الى هذا الوزن « فعُل » (١٣٣) للدلالة على المدح أو الذم مع التعجب نحو الأمثلة الواردة في النص المذكور .

ويختلف هذا الباب عن سابقيه بأنه لا يرد الا من الفعل اللازم ، على حين ترد الأوزان السابقة من اللازم والمتعدي معاً . وعلل المبرد هذا اللزوم قائلاً : «لأن (فعُلت) إنما هو فعل الفاعل في نفسه؛ ألا ترى أنك لا تقول : كرُمته ، ولا شرُفته ، ولا في شيء من هذا الباب بالتعدي » (١٣٤) وقال ابن جني : « وفعُلَ لا يكون أبداً إلا غير متعدٍّ ، لأنه إنما جاء في كلامهم للهيئة » (١٣٥) . وعقّب الرضي على قول ابن الحاجب بأن « فعُلَ لأفعال الطبائع ونحوها ، كحسُنَ وقبُحَ وكبرُ وصغُرَ ، فمن ثمة كان لازماً . » (١٣٦) قائلاً : « أيشٍ المانع من كون الفعل المتعدي طبيعة أو كالطبيعة . » (١٣٧) . وهذا التعقيب يفضي الى جعل أفعال الطبائع ضربين : ضرباً لازماً ، وآخر متعدّياً ، مما ينقض المستند الصرفي القائل بأن « فعُلَ » لازم ، لأنه من أفعال الطبائع التي هي لازمة أبداً ، ولكنه لا يؤثر شيئاً في

(١٣٠) الهمع ١٦١/٢ . (١٣١) شرح الشافية للرضي ٧٤/١ .
(١٣٢) ينظر المقتضب ١٤٩/٢ - ١٥٠ .
(١٣٣) وهو باب فعل - يفعل » على ماسيأتي بيانه .
(١٣٤) المقتضب ٩٧/١ ، وينظر ٧١/١ منه .
(١٣٥) المنصف ٢١/١ .
(١٣٦ - ١٣٧) شرح الشافية للرضي ٧٤/١ .

كون « فعُلَ » لازماً ؛ إذِ الاعتراض واقع هنا على تعليل الظاهرة ، لا على الظاهرة نفسها ؛ لأن لزوم « فعُلَ » مما لا خلاف فيه . قال الخليل : « ليس في الكلام فعُلت متعدياً » (١٣٨) . يستثنى من ذلك ما روي عن الخليل أنه روى فعلاً بهذا الوزن جاء متعدياً . قال الزَّبيدي : « قال أئمة الصرف : لم يأتِ فعُلَ بضمِ العين متعدياً ، الا كلمة واحدة ، رواها الخليل ، وهي قولهم : رَحُبَتْكم الدار . » (١٣٩) . وفي « المزهر » (١٤٠) : أن فعلاً آخر من هذا الوزن ورد متعدياً هو « طلُعَ » .

إن « فعُل » يأتي من الصحيح مثل « عظُمَ » ، ومن المهموز مثل « أسُل — لؤُم — جرُؤ » ، ومن المعتل مثل « وسُم — طلت(١٤١) — سرو » . وعليه ، لم يرد من الأجوف اليائي ، ولا من الناقص اليائي ، ولا من اللفيف بنوعيه : المقرون والمفروق ، ولا من المضاعف . هذا هو الأصل . أما الشاذ ، فلا يعتد به ها هنا . قال المازني في الأجوف والناقص اليائيين : « ليس في باب الياء التي هي عين « فعُلت » كما أنه ليس في باب (رميت) فعُلت ؛ لأن الياء عندهم أخف من الواو (١٤٢) » . وقال الرضي : « ولا

(١٣٨) المنصف ٢٣٦/١ ، وينظر شرح المفصل ١٥٣/٧ .

(١٣٩) تاج العروس (رح ب) . وفيه : « وحمله السعد في (شرح العزي) على الحذف و الايصال أي : رحبت بكم الدار . » ويرى الرضي (شرح الشافية ٧٥/١) أن الأولى أن يقال : إنما عداه لتضمنه معنى (« وسع » معقباً بذلك على إنكار الازهري هذه التعدية بقوله : « هو من كلام نصر بن سيار وليس بحجة » .

(١٤٠) ٣٧/٢ . ذكر السيوطي هنا النص الذي ورد فيه هذا الفعل وهو : « إن بشراً قد طلع اليمن » وقد عقب محققو« المزهر » في الموضع نفسه بقولهم : « كذا في الاصل . وفي اللسان : « وفي الحديث : هذا بشر قد طلع اليمن ، أي قصدها من نجد . وضبط اللام بالفتح . »

(١٤١) أصله « طلت » (المنصف ٢٣٥/١) ذلك أن الفعل المعتل الوسط لا يأتي الا من الواو (المنصف ٢٣٤/١) . (١٤٢) المنصف ٢٤٤/١ .

يجيءُ من هذا الباب أجوف يائي ، ولا ناقص يائي (١٤٣) » ، ثم قال : « وقد يجيءُ على قلة في باب التعجب » (١٤٤) . أما المضاعف فيقول سيبويه « إنه لا يكاد يكون يكون فيه فعُلت وفعُلَ » (١٤٥) . وجاء ابن جني فقال : « ولم يأت فيما عينه ولامه من موضع واحد « فعُلت » الا حرفان فيما علمت ، وهما : لببت فأنت لبيب . حكاها يونس . قال لي أبو علي : قال أبو اسحاق : سألت عنها ثعلباً ، فلم يعرفها . وحكى قطرب : « شرُرْت في الشرّ » (١٤٦) . وعلق ابن جني معللاً : « وإنما تجنبوا « فعُلت » بالضم في المضاعف استثقالاً للضمة مع التضعيف » (١٤٧) على أن افعالاً غير هذين استطعنا أن نقف عليها ، وهي : « عززت » (١٤٨) ، و« حببت » (١٤٩) ، و « خففت » (١٥٠) ، و « دممت » (١٥١) ، و « فككت » (١٥٢) .

ذلك هو الماضي « فعُلَ » . أما مضارعه فان القسمة العقلية تقضي أن يكون : «يفعَلُ » ، أو «يفعِلُ » ، أو «يفعُلُ » . ولم يقر الصرفيون الصورتين «فعُلَ — يَفْعَلُ » و « فعُلَ — يفعِلُ » بأنها من أبواب الفعل الثلاثي ؛ لأن الأصل عدم ورودهما عن العرب ضمن عصور الاحتجاج ؛ شأن الصورة التي مرّت في مضارع « فعِلَ » ، وهي : « فعِلَ — يفعُلُ » ؛ ولذا كانت أبواب الفعل الثلاثي المجرد ستة ، بعد اطّراح الصور الثلاث . ولولا ذلك ، لكانت الأبواب

---

(١٤٣) شرح الشافية للرضي ٧٦/١ . ورد فعل من الاجوف اليائي (هيؤ) . وفعل من الناقص اليائي (بهو) ، وآخر منه (نهو) . ينظر : أبنية الصرف ٣٨٥ .

(١٤٤) شرح الشافية للرضي ٧٦/١ .

(١٤٥) الكتاب ٣٦/٤ .

(١٤٦ — ١٤٧) المنصف ٢٤٠/١ . وينظر : تاج العروس (ل ب ب) .

(١٤٨) ليس ٢١ .

(١٤٩ — ١٥٠ — ١٥١) المزهر ٢ / ٣٧ .

(١٥٢) تاج العروس (ف ك ك) . وينظر فيه آخر مادة (ل ب ب)

تسعةً كما هو لازم بالقسمة العقلية . وقد سمع شيء على « فعُلَ — يفعَلُ » و « فعُل — يفعِلُ » فأوّلَ بالشذوذ ، أو بتداخل اللغات . قال سيبويه : « وقد قال بعض العرب : كدت تكاد ، فقال : فعُلت تفعَلُ ، كما قال : فعِلت أفعَلُ ، وكما ترك الكسرة كذلك ترك الضمة . وهذا قول الخليل ، وهو شاذ من بابه ، كما أن فَضِلَ يفضُلُ شاذّ من بابه » (١٥٣) . وحكى غير سيبويه : « دِمت تدام ، ومتّ تمات ، وجدت تجاد » (١٥٤) وروي من المضاعف على هذهِ الصورة « فعُلَ يفعَلُ » أيضاً : دمُمت تدَم ، ولبُبت تَلَبّ ، وشرُرت تشَرّ . قال بعضهم في هذه الأفعال : « إن الثلاثة وردت بالضم في الماضي والفتح في المضارع ، على خلاف الأصل ، ولا رابع لها » (١٥٥) . وأما (فعُل — يفعِل) فمثاله « نعُم ينعِم » (١٥٦) ، و « وحُد يحِد»(١٥٧).

تبقى اذن الصورة الثالثة « فعُلَ — يفعُلُ » ، وهي التي يشيع استعمالها فيما جاء من كلام العرب على (فعُلَ) ، حتى تقرر أن صوغ مضارع « فعُلَ» على « يفعُلُ » ثابت مطرد لا ينقطع قياسه (١٥٨) ، وما شذ فإنما يشذ الى احدى الصورتين الأخريين المارّتين ، واللتين لا يعترف لهما المروي من الكلام الفصيح بارتفاعهما الى مستوى الباب الصرفي .

إن دلالات هذا الباب « فعُلَ — يفعُلُ » هي نفسها التي أشير إليها في دلالات (فعُلَ) ما دام هذا الوزن لا يحتمل في الاشتقاق القياسي غير المضارع « يفعُلُ » (١٥٩) . ومثلما كان « فعُلَ » خاصاً بما لا يتعدى ،

(١٥٣) الكتاب ٤٠/٤ وينظر : أدب الكاتب ٣٧٣ ، المنصف ١٨٩/١

(١٥٤) الأفعال ٩/١ .

(١٥٥) تاج العروس (ل ب ب) .

(١٥٦) الخصائص ٣٧٨/١ ، و « لسان العرب » (ن ع م) .

(١٥٧) ينظر أوزان الفعل ٣٣ :

(١٥٨) سيأتي الكلام على هذا القياس عما قليل .

(١٥٩) تنظر ص (٣١) من هذا البحث ، والاشتقاق ١٨٥ ، وأبنية الصرف ص (٣٨٥ — ٣٨٦)

كان « يفعُل – خاصّاً بذلك كذلك . قال المبرد : « ويكون على فعُلَ – يفعُلُ ، ولا يكون إلا لما لا يتعدى » (١٦٠) . وقد رتب ابن جني على صفة اللزوم هذه أثراً خاصاً ؛ فذهب الى أن إقرار الضم في عين المضارع ليماثل عين الماضي انما كان بسبب ذلك اللزوم . قال : « فاما قولهم كرُمَ يكرُمُ ؛ فإنهم إنما أقروا في عين المضارع حركة الماضي ؛ لأن هذا باب على حِدَتِه ، لا يكون متعدياً أبداً ، إنما يكون للهيئة التي يكون الشيءُ عليها » (١٦١) .

أما من حيث الصحة والهمز والاعتلال والتضعيف ، فان ما قيل في «فعُلَ» عامةً يقال في مضارعه المضموم ؛ وذلك لاطراد صوغ المضارع على هذه الصورة . وعليه جاء « فعُلَ – يفعُلُ » من الصحيح والمهموز والمعتل « غير الأجوف والناقص اليائيين واللفيف بنوعيه » ، ولم يجيءْ من المضاعف (١٦٢) .

إنّ هذا الاطراد ثابت لا يقطعه النادر أو الشاذ ، حتى صار ذلك قاعدة تبنى عليها النتائج ، وتتم بسببها المقارنات ، قال ابن جني : « ان فعُلَ لا يختلف مضارعه أبداً » (١٦٣) ثم بنى على ذلك امتناع (نعُم ينعَم) – بطريق تركب اللغات – قائلاً بأن « فعُل لا يحتمل مضارعه الخلاف » (١٦٤) . وساق دليلاً آخر على ذلك بامتناع حذف الفاء من « وضؤ » و « وطؤ » و « وضُع » في المضارع « لئلا يختلف باب لبس من عادته أن يجيء مختلفا » (١٦٥) . وعليه تقرر القياس دون انتظار السماع في هذا الباب . قال ابن جني في موضع آخر من « الخصائص » : « انك لو سمعت « ظرُفَ » ولم تسمع « يظرُف » ؛ هل كنت تتوقف عن أن تقول « يظرُفُ » راكباً له ،

(١٦٠) المقتضب ١١٠/٢ .

(١٦١) المنصف ١٨٨/١ .

(١٦٢) ماعدا أفعالا نادرة شذت . تنظر الصفحة السابقة .

(١٦٣ – ١٦٤ – ١٦٥) : الخصائص ٣٧٨/١ ، وينظر المنصف ٢٠٩/١

غير مستحي منه ؟ » (١٦٦) . وهذا ما فسره علماء العربية تفسيراً صوتياً ، يتصل بدلالة الأصوات على المعاني والتناسب بين هذه وتلك . قال السيوطي : « أو كان الماضي على « فعُلَ » بالضم ضمت أيضاً في المضارع ، نحو ظرُفَ يظرُفُ ؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة ، فاختير للماضي والمضارع فيه حركة لا تحصل الا بانضمام احدى الشفتين الى الاخرى ، رعايةً للتناسب بين الألفاظ ومعانيها » (١٦٧) .

يمكن الخلوص مما تقدم في هذا الباب الى أن كلّ فعل جاء ماضيه على « فعُلَ » صيغ مضارعه على « يفعُلُ » ، ولا عبرة بما شذ عن هذه القاعدة ؛ فانه يحفظ ولا يقاس عليه ؛ وذلك هينٌ لندرة الشاذ وقلته . ثم إنه إذا أريد استعمال أي فعل ثلاثي مجرد في المدح أو الذم كان ذلك ممكناً بنقل هذا الفعل الى « فعُل يفعُل » ، على أن تتوفر فيه الشروط التي تمكنه من هذا النقل ، وهي الشروط التي تمكن من استعمال الفعل للتعجب ، وكذلك هي الشروط التي تمكن من اشتقاق أفعل التفضيل من الفعل الثلاثي المجرد .

★ ★ ★

اختلاف الأوزان في الفعل الواحد :

إن ظاهرة لغوية ذات شأن في هـذا الموضوع تلفت النظر وتستدعي التوقف ، هي مجيء الفعل الواحـد على اكثر من باب فقد يرد الماضي على صورتين : كصورتي الفتح والكسر (بَـرِقَ) (١٦٨) . أو صورتي الفتح

(١٦٦) الخصائص ٣٦٩/١ . وحين أراد ابن جني أن يثبت أن الأصل في مضارع (فعل) بالفتح هو الكسر (يفعل) وأن مجيء (يفعل) بالضم حالة هي فرع عن ذلك الأصل إستعان بالقاعدة الخاصة بمضارع (فعل) بالضم قائلا بأن الضم في المضارع قـد لزم ما كان ماضيه على « فعل » وأن الفتح في المضارع أصل لما كان ماضيه على « فعل » فالقياس أن يكون الكسر في المضارع أصلا لما كان ماضيه على « فعل » ينظر : المنصف ١٨٦/١

(١٦٧) الهمع ١٦٤/٢ . (١٦٨) لسـان العرب (ب ر ق) .

والضم « سَخُنَ » (١٦٩) ، أو صورتي الكسر والضم (سَفِهَ) (١٧٠) ، وقد يتجاوز الحركتين الى الحركات الثلاث (كَمِلَ) (١٧١) . ولا ريب أن اختلاف الماضي في الفعل الواحد على هذا النحو كثيراً ما يفضي الى اختلاف المضارع : فالماضي (سفِهَ) مضارعه « يسفَهُ » أما (سفُه) فمضارعه « يسفُه » (١٧٢) ، والماضي « هزِل » مضارعه « يهزَل » ، أما « هزَل » فمضارعه « يهزِل » (١٧٣) . وقد يثبت الماضي على صورة واحدة بيد أن المضارع لا يثبت ؛ إذ قد يكون الماضي على « فعَل » نحو « منح » ويكون المضارع بالصورتين : الفتح والكسر « يمنِح » (١٧٤) ونحو « صلَحَ » ويكون المضارع بالصورتين : الفتح والضم (يصلَحُ) (١٧٥) ونحو « عكَف » ويكون المضارع بالصورتين : الكسر والضم « يعكُف » (١٧٦) ونحو « صبَغ » ويكون المضارع بالصور الثلاث جميعاً « يَصْبَغُ » (١٧٧) .

وسواءٌ تغير الماضي وحده دون المضارع ، نحو : طهَرُ — يطهُر (١٧٨)، أو تغير المضارع وحده دون الماضي (نحو : (عطسَ — يعطِسُ) (١٧٩) ، أو تغيرا معاً ؛ بأن تغير الماضي فأدى الى تغير المضارع ، نحو : شهَق — يشهُق ، وشهِق — يشهَق (١٨٠) . فإن ذلك كله مفضٍ الى أمر واحد ، هو مجيء الفعل الواحد على اكثر من باب ، وأن هــذه الظاهرة لا تخصّ نوعاً معيناً من الأفعال دون غيره . فقد نجدها مع الفعل المتعدي ، نحو : حشرَ — يحشِرُ ، وحشرَ — يحشُرُ ، كما نجدها مع الفعل اللازم ، نحو : طهَر —

(١٦٩) لسان العرب (س خ ن) وفيه : أن (سخن) لغة بني عامر .
(١٧٠) ، (١٧١) لسان العرب (س ف هـ) ، (ك م ل) .
(١٧٢) أدب الكاتب ٣٦٧ . وينظر لسان العرب (س ف هـ)
(١٧٣) — (١٧٤) — (١٧٥) — ١٧٦—١٧٧ : لسان العرب (هـ ز ل) ، (م ن ح) ، (ص ل ح) ، (ع ك ف) ، (ص ب غ) .
(١٧٨ — ١٨٧) : يراجع بشأن هذه الأفعال كل من لسان العرب و« تاج العروس » في المواد : (ط هـ ر — ع ط س — ش هـ ق — أ ف ل — ز أ ر — ب ر ء — و ب ق — ر و ع ، ر ي ع — ج ث و — ج ث ي — ص د د) .

يطهُر ، وطهُر – يطهُر ، كما مرّ قبل قليل . ثم إن ذلك قد يكون مع الفعل الصحيح على ما هو بينٌ في الأفعال المذكورة . وقد يكون مع الفعل المهموز فاءً نحو : أفِلَ – يأفَلُ ، أفَلَ – يأفُلُ (١٨١) ، أو عيناً نحو : زأر – يزأَر ، وزأر – يزئِر (١٨٢) ، أو لاماً نحو : برِئَ – يبرَأ ، وبرَأ – يبرُؤ (١٨٣) . وقد يكون مع المعتلّ فاءً ، نحو : وبق – يبِقُ ، ووبق – يوبق (١٨٤) أو عيناً نحو : راع – يروعَ ، وَراع – يَريع (١٨٥) أو لاماً نحو : جثا – يجثو – وجثا – يجثي (١٨٦) ، وقد يكون مع المضاعف نحو : صدّ – يصُدّ ، وصدّ – يصِدّ (١٨٧) .

ويؤدي هذا التباين في المبنى الى النظر فيما يطرأ على المعنى من تبدل واختلاف . ففي الكثير من الاحوال يبقى المعنى ثابتاً دون تأثر بتغير الأوزان ، نحو : عطَس – يعطِس ، وعطَس – يعطُس (١٨٨) وقد عقد ابن قتيبة أبواباً في كتابه « أدب الكاتب » في هذا الشأن ، منها : « باب فعَلت وفعُلت بمعنى » (١٨٩) ، و « باب فعِلت وفعُلت بمعنى » (١٩٠) . على حين يستتبع اختلاف المبنى في أحوال أخرى اختلاف الدلالة . فالفعل « رمد » مثلاً إذا كان « رمَد – يرمِد » فإنه بمعنى هلك ، واذا كان « رمِد – يرمَدُ » فإنه بمعنى هيجان العين وانتفاخها (١٩١) .

وتدل الشواهد على أن النوع الاول – المختلف المبنى المتفق المعنى – إنما نشأ في متن اللغة جراء اختلاف اللهجات العربية في بعض مظاهرها الصوتية واللفظية . فاذا نطق هؤلاء بكلمة على صيغة ، نطق بها غيرهم على نحو آخر . ولو عدنا الى معظم الأفعال المذكورة آنفاً ، لالفينا مظان العربية ومعجماتها المعتمدة

(١٨٨) أدب الكاتب ٣٦٧ . وينظر لسان العرب : ع ط س .
(١٨٩) أدب الكاتب ٣٦٧ .
(١٩٠) أدب الكاتب ٣٦٧ .
(١٩١) تنظر مادة (ر م د) في كل من « لسان العرب » و « تاج العروس » .

تعزو تلك النماذج الى لغات القبائل المختلفة ، مصرحةً تارةً باسم القبيلة ، وواصفة تارة أخرى تلك الصورة بأنها « لغة » . قال ابن قتيبة : « بَئِس يَبْأَسُ ويَبْئِسُ : عليا مضر تكسر ، وسفلاها تفتح » (١٩٢) . وجاء في « المصباح المنير » : « تقول أهل نجد : لهوت عنه ألهو لهياً ، والأصل على فعول من باب قعد ، وأهل العالية : لهيت عنه ألهى ، من باب تعب . »(١٩٣) وقال ابن دريد : « كاد يكود ويكيد ، وحاد يحود ويحيد : لغة يمانية »(١٩٤) ، والفصحى على ما هو معلوم : كاد يكاد . وهكذا نسبت هذه الأفعال الى لغات القبائل على حسب الأبنية . أما وصف الصيغة بانها لغة دون نسبة ، فكثير أيضاً . جاء في « لسان العرب » : « وصبغ الثوب والشيب ونحوهما يصبَغه ويصبُغُه ويصبِغُه : ثلاث لغات ، الكسر عن اللحياني » (١٩٥) . وقال أبو عبيدة : « وروي أن من العرب من يقول : فضِل يفضل مثل حذِرَ يحذَرُ » (١٩٦) .

وجاء في « لسان العرب » في الكلام على الفعل « كمل » :

« وفيه ثلاث لغات : كمَل الشيء يكمُل ، وكمِلَ وكمُلَ كمالاً وكمولاً . قال قال الجوهري : والكسر أردؤها » (١٩٧) .

وفي الحق أنّ هذا توثيق تام وتحقيق وافٍ لمذهب كثير من أوائل علماء العربية القائل إن وجود الألفاظ المختلفة ذات الدلالة الواحدة يقضي بنسبتها الى لغات القبائل المختلفة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في لغة قبيلة واحدة . قال ابن درستويه وهو يتحدث عن « فعَلَ » و « أفعل » المتفقيْن في المعنى : « لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن

(١٩٢) أدب الكاتب ٣٧٢ .
(١٩٣) تنظر مادة (ل هـ و) في « المصباح المنير » .
(١٩٤) جمهرة اللغة لابن دريد ٢٩٨/٢ .
(١٩٥) مادة (ص ب غ) .
(١٩٦) أدب الكاتب ٣٧٣ .
(١٩٧) مادة (ك م ل) . .

يجيء ذلك في لغتين مختلفتين . فأمّا من لغة واحدة ، فمحالٌ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد » (١٩٨) . وهذا ما ينطبق كلّ الانطباق على الفعل الثلاثي المجرد الآتي على أبنية مختلفة ومعنى واحد ، إذ اختلاف البناء واقع : إنْ بالحرف أو بالحركة .

ونذهب بإزاء هذه الضروب المختلفة من الصيغ الفعلية الى لزوم اللجوء الى الاختيار ، وانتقاء الأفصح ، اكتفاءً به ؛ ما دام هو الصورة العالية التي تنص عليها المعجمات العربية الأصيلة . ذلك أن ضبط هذه الأبنية المتداخلة وحفظها ، عسير كل العسر على المتلقي ، وهو يكتسب العربية بالتعليم والدُّربة . على أن هذا الأمر لا يخصّ الفعل الثلاثي المجرد ، بل إنه يعمّ الألفاظ العربيّة الكثيرة التي لها هذا الحكم ،وتتسم بهذه السمة :وحدة المعنى وتعدد المبنى ، وقد بلغ ذلك التعدد أحياناً حداً غريباً من الصور المختلفة (١٩٩) .

ذلك هو النوع الأول (المختلف المبنى المتفق المعنى) . أما إن اختلاف المبنى والمعنى (النوع الثاني) كما في « رمَد — يرمِد ، ورمِد — يرمَدُ » حيث المبنى الأول للهلاك ، والثاني لمرض العين (٢٠٠) ، وكما في « حلَم — يحلُم ، وحلُم — يحلُم » حيث المبنى الاول للرؤيا في المنام ، والثاني من الحِلْم وهو الأناة والعقل (٢٠١) ، وكما في « أصِل — يأصَل ، وأصُل — يأصُل » حيث المبنى الاول لأسْن الماء والثاني للأصالة وعلو الحسب

(١٩٨) المزهر ١/٣٨٤ .

(١٩٩) ينظر : حركة التصحيح اللغوي ٢٣٩ . وينظر مادة ((ب ر ء)) في « تاج العروس » مثالا لتعدد أوزان الفعل، ولفظة (رغوة) في أدب الكاتب ٤٦٥ — ٤٦٦ مثالا لتعدد صور الاسم ، ولفظة (رب) في « أسرار العربية للأنباري ٢٠٩ » وفي « التسهيل لابن مالك : ١٤٧ مثالا لتعدد صور الحرف .

(٢٠٠) ينظر الهامش (١٩١) في هذا البحث .

(٢٠١) تنظر مادة « ح ل م » في « لسان العرب » و« تاج العروس » .

والنسب (٢٠٢) ... فإننّا نرى أن هذه كلمات مختلفة غير متفقة في شيء ؛ فاللفظ غير اللفظ ، والدلالة غير الدلالة ، وما هي الا مفردات مستقلة شأنها شأن أية مفردة لغوية أخرى .

وقد عرض الدكتور إبراهيم أنيس للأفعال الثلاثية الواردة على اكثر من باب ، ونظر فيها من حيث الدلالة : إن اتفقت الدلالة فثمة حكم ، وإن اختلفت فثمة حكم آخر . ففي الحالة الأولى رأى أنّ الفعل إذا جاء على البابين : « فعَل – يفعِل ، وفعَل – يفعُل » ، فإنه يُعتد بهما معاً ، ولا يهمل أحدهما ، وغاية ما يقال هنا إنّ الكسر ينسب الى البيئة الحجازية ، وأن الضم ينسب الى البيئة البدوية (٢٠٣) . وهذه الحالة هي حالة ثبوت الماضي « فعَل » وتغير المضارع « يفعِل – يفعُل » . أما إذا جاء الفعل على البابين : « فعَل – يفعَل ، وفعِل – يفعَل » – أي بتغير الماضي والمضارع معاً – فإن المعنى هو الذي يحدد البناء . فاذا كان الفعل من الافعال الاختيارية ، حددنا له أحد البابين : « فعَلَ – يفعِلُ » و « فعِلَ – يفعُلُ » . واذا كان من الأفعـال الاجبارية ، حددنا له « فعِلَ – يفعَلُ » . وفي كلتا الحالتين نتمسك بالصورة المحددة ونهمل ما عداها (٢٠٤) . ثم رأى الدكتور أن الفعل إذا جاء على « فعِلَ – يفعَلُ » و « فعُلَ – يفعُلُ » ، فيجدر بنا أن نجعله للباب الأوّل وحده ، وأنه إذا جاء على « فعَل – يفعُل ، وفعَلَ – يفعِلُ ، وفعُلَ – يفعُلُ » فإنه يفسر على أن الفعل من البابين الأول والثاني ، وأن الصورة الثالثة قـد قصد فيها المبالغة حيث حوّل الفعل من الحالة السابقة الى الحالة اللاحقة للرغبة في جعل المعنى من الصفات الغريزية الثابتة (٢٠٥) .

---

(٢٠٢) تنظر مادة « أ ص ل » في « لسان العرب » و« تاج العروس » .

(٢٠٣) ، (٢٠٤) ، (٢٠٥) : من أسرار اللغة ٦١ .

ومع حسن هذا التقسيم نرى أن المعجمات العربية هي التي حددت الأفصح والأنقى ، وأشارت الى غيره من الضعيف والرديء والقليل والنادر ، فحكمها لا يلتقي بالضرورة مع هذا التقسيم . وهي قد تنقل صيغة على أنها هي العالية في اقوال الفصحاء ، على حين يحدد هذا التقسيم صيغة أخرى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن هذا التقسيم لا يسلك نهجاً واحداً في أحكامه ، فهو تارة يرتضي الصورتين معاً إذا ورد الفعل عليها « كما في فعَلَ — يفعِلُ ، وفعَلَ — يفعُلُ » ، وتارة يرفض إحدى الصورتين كما في : فعَلَ — يفعُل ، وفعِل — يفعَلُ » ، وكما في فعِل — يفعَل ، وفعُل — يفعُل » . ثم إنه قد حكم على باب « فعُل — يفعُل » بالإهمال إذا جاء مع « فعِل — يفعَل » . ولكنه قبله وفسرّ مجيئه برغبة المتكلم في جعل المعنى من الصفات الغرزية الثابتة في الحالة الأخيرة . وبعد هذا كله أهمل التقسيم حالات أخرى لاختلاف الأبواب ؛ اذ أهمل الاشارة الى « فعَلَ يفعَل » ، و « فعِل يفعِل » ، وما يمكن لهما من الاقتران مع الأبواب الأخرى في الفعل الواحد ، وهو كثير على ما هو مثبت في المعجمات العربية الأصيلة المعتمدة .

أما في الحالة الثانية ، فقد رأى أن الدلالة إما أن تختلف اختلافاً يسيراً ، وإما أن تختلف اختلافاً بعيداً . فان كان الأول ، فهو مقبولٌ مألوف ، كما في الفعل « عرَف » من باب ضرب بمعنى المعرفة ، ومن باب فرح بمعنى العَرْف وطيب الرائحة ، أو كالفعل « أنف » من باب فرح بمعنى ترفع عن الشيء ، ومن باب نصرَ بمعنى ضَرب أنفه » (٢٠٦) وهذا الاختلاف الطفيف في الدلالة سبب كاف لاختلاف الاوزان في الفعل الواحد (٢٠٧) . وواضح من ذلك أن المتكلم ملزم هنا بمعرفة كل وزن وما يقابله من معنى وليس هناك

(٢٠٦) : من اسرار اللغة ٥٨ .
(٢٠٧) : من اسرار اللغة ٥٨ .

اختيار . وإن كان الثاني (الاختلاف الدلالي البعيد) ، نحو : « أَصِلَ — يأصَلُ ، وأَصُلَ — يأصُلُ » — كما تقدم بيان دلالتيه (٢٠٨) — فإنّ الدكتور يرى أن هذا لا يعقل أن يكون واحداً اختلف بابه لاختلاف دلالاته ، وانما المعقول أن يكون هذا الفعل وأمثاله قد مرّ في أطوار صوتية سابقة ، وكان في المنشأ فعلين ، ثم التقيا في لفظ واحد نتيجة لتلك الأطوار . وضرب الدكتور مثلاً كلمة « التغب » بمعنى الوسخ تارةً والجوع أخرى ، ورجح أن هذه الكلمة كانت « السّغَب » بمعنى الجوع ، وأنهما مرت بأطوار صوتية ، فقلبت السين تاءً ، فاتفقت الكلمتان (٢٠٩) . ثم قال : « ولاشك أن ما حدث في هذه الكلمة قد تم في أفعال كثيرة تنحدر في الأصل من منابع مختلفة ، ثم صادف أن كان الاشتراك في اللفظ ، وإلا فكيف نتصور أن مجرد الانتقال بالفعل « أصل » ، من باب فرح الى باب كرُم غيّر المعنى من أسن الماء وتغير رائحته الى أن يصبح المرء ذا حسب ونسب ؟ أليس الأولى أن نقول إن « أصل » بمعنى صار ذا حسب ترتبط بمادة « الأسل » ، أو أن نقول إن « أصل » بمعنى أسن ترتبط بهذه المادة ، ثم تغيرت النون الى اللام والسين الى الصاد ؟ » (٢١٠) . وواضح من ذلك أيضاً أن المتكلم ملزم هنا كذلك بمعرفة كل وزن وما يقابله من معنى ، وأنه لا اختيار هناك ! وعلى هذا لم ينتفع المتكلم — بالبحث عن الأصول القديمة لهذه الأفعال — شيئاً جديداً ، يعينه على ضبط صورة الفعل الثلاثي المجرد في وضعها القائم ، إن كان لها وضع غيره في سالف الأزمان . وبذلك استوت الحالتان : حالة الاختلاف الدلالي القريب ، وحالة الاختلاف الدلالي البعيد ، في أن كلتيهما تفرض على المتكلم معرفة المبنى مع كل معنى . وهذا ما أردناه في موضع سابق حين ذكرنا أن

(٢٠٨) : ينظر الهامش رقم ٢٠٢ .

(٢٠٩ — ٢١٠) من اسرار اللغة ٥٨ .

هذا النوع برمته « المختلف المبنى المختلف المعنى » انما هو كلمات مستقلة حكمها حكم أية كلمة أخرى في اللغة العربية تلزم المتكلم معرفة الصورة اللفظية وما يقابلها من دلالة (٢١١). هذا الى أن البحث في الأصول القديمة للألفاظ وما كانت عليه من هيئة أمر، إنما يقوم على الظنّ والافتراض، لا على القطع واليقين.

ولقد تبين خلال البحث أن هناك خطوطاً قياسية غالبة في معظم أحوال الفعل الثلاثي المجرد الوارد على وجه واحد. بيد أن ما ورد منه على وجهين، أو أكثر، يثير مسألة البحث في أصل هذا التعدد وحقيقة القياس فيه. ومن المحقق أن الفعل قد يشذ عن بابه شذوذاً تاماً، وذلك إذا ورد على صورة واحدة هي الصورة الخارجية عن الباب المقرر. فقد يكون بابه الضم، وهو لم يرد الا على صورة الكسر، كالمضارع من « فعَلَ » المضاعف إذا كان متعدياً حيث يجب في عينه الضم ولكن الفعل « حبّ » — وهو من هذا الصنف — جاء مضارعه بصورة واحدة هي الكسر لا الضم فقالوا: « يحِب » (٢١٢). وعلى العكس فقد يكون الباب هو الكسر، كما في المضارع من « فعَلَ » المضاعف إذا كان لازماً، ولكنه لم يرد الا بالضم وحده، نحو: مرّ — يمُرّ (٢١٣). وقد يشذ الفعل، إذا ورد على اكثر من وجه، في صورة دون صورة، فتارةً ينطق على القياس، وأخرى على غيره، نحو: شدّ — يشُدّ وشدّ — يشِدّ (٢١٤) حيث الضم هو القياس والكسر هو الشذوذ ونحو: « جدّ — يجِدّ، وجدّ — يجُدّ » (٢١٥) حيث الكسر هو القياس والضم هو الشذوذ.

---

(٢١١) : تنظر ص (٤٢).

(٢١٢ — ٢١٨) : ينظر « لسان العرب »، و « تاج العروس » في المواد (ح ب ب) — م ر ر — (ش د د) — (ج د د) — (ن ع م) — (ل ب ب).

ويلاحظ ذلك مع الماضي « فعِل » إذ قد يرد الفعل على القياس مثل « حسِب — يحسَبُ » بفتح عين المضارع ، ثم يرد على الشذوذ مثل « حسِب — يحسِب » بكسرها ، أو يرد على القياس مثل « نعِم — ينعَمُ » بالفتح ، ثم يرد في وجه على الشذوذ بالضم مثل « نعِم — ينعُم » (٢١٦) . وكذلك الحال مع « فعُلَ » إذْ قياس مضارعه « يفعُلُ » . ولكنه قد يرد على القياس وعلى الشذوذ في فعل واحد ، نحو : « لببُت — تلُبّ ، ولببُت — تلَب » (٢١٧) فجاء المضارع بالفتح شذوذاً ، ونحو « نعِم — ينعَم ، ونعُم — ينعِمُ » (٢١٨) . فجاء المضارع بالكسر شذوذاً .

وقد وصف المتقدمون ظاهرة الخروج عن الباب الصرفي القياسي بالشذوذ تارة ، وبما سمّاه ابن جني « تركب اللغات » تارة أخرى . وقد يطلق عليه الوصفان معاً . قال ابن جني : « وأما يهلَك بفتح الياء واللام جميعاً ، فشاذة ومرغوب عنها ؛ لأن الماضي « هلَك » فعَلَ مفتوح العين ، ولا يأتي يفعل مفتوح العين فيها جميعاً الا الشاذ ، وانما هو أيضاً لغات تداخلت »(٢١٩) وتداخل اللغات او تركبها هو أن يؤخذ الماضي من لغة قبيلة ، ويؤخذ المضارع من لغة قبيلة أخرى ، فتحدث الصورة الجديدة ؛ وهي الصورة التي لا تجري على القياس الاول ولا على القياس الثاني . قال الكسائي يعلل ورود « حسِب — يحسِبُ » : « أخذوا يحسِب بكسر السين في المستقبل عن قوم من العرب يقولون : حسَب — يحسِبُ ؛ فكأنّ حسِب من لغتهم في أنفسهم ، ويحسِب لغة لغيرهم سمعوها منهم فتكلموا بها ، ولم يقع أصل البناء على فعِلَ يفعِلُ . » (٢٢٠) وقال الفراء معقباً : « قوّى هذا الذي ذكره الكسائي عندي أني سمعت بعض العرب يقول : فضِل يفضُل » (٢٢١) . فشرح أبو بكر ابن الانباري ذلك بقوله : « يذهب الفراء الى أن يفعُل لا يكون مستقبلاً لفعِل

(٢١٩) : المحتسب ٢ / ٢٦٨ .
(٢٢٠ — ٢٢١) الاضداد : ١٠ .

وأن أصل يفضُل من لغة قوم يقولون فضَل يفضُل فأخذ هؤلاء ضم المستقبل عنهم (٢٢٢) . وقد عقد ابن جني في « الخصائص » باباً هو « باب في تركب اللغات » عاب فيه على من يصف الأفعال الخارجة عن القياس بأنها شاذة أن يذهبوا الى ذلك ، وقال : إن ذلك وليدُ تداخل اللغات ، وتكون لغة خاصّة . قال : « ألا تراهم كيف ذكروا في الشذوذ ما جاء على فعِل يفعُل ؛ نحو نعِم ينعُم ، ودمت تدوم ، ومِتّ تموت . وقالوا أيضاً فيما جاء من فعَل يفعَل ، وليس عينه ولا لامه حرفاً حلقياً نحو قلى يقلى ، وسلا يسلى ، وجبى يجبى ، وركن يركن ، وقنَط يقنط » (٢٢٣) ثم قال : « واعلم أن اكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتركبت » ٢٢٤) وبيّن معنى التداخل فقال مفسراً ورود قلى يقلَى وسلا يسلَى : « إنهم قد قالوا : قلَيت الرجل وقلِيته . فمن قال : قلَيته فإنه يقول : أقليه ، ومن قال : قلِيته قال : أقلاه . وكذلك من قال : سلوته قال : أسلوه ، ومن قال : سليته قال : أسلاه . ثم تلاقى أصحاب اللغتين ، فسمع هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمّه الى لغته ، فتركبت هناك لغة ثالثة ، كأنّ من يقول سلا أخذ مضارع من يقول سلِي ، فصار في لغته : سلايسلى » (٢٢٥).

وواضح من كلام ابن جني ومن سبقه : الكسائي والفراء وابن الانباري ، أن اختلاط اصحاب اللغتين وسماع بعضهم بعضاً قد أدى الى حدوث اللغة الثالثة ، وأن الاقتراض اللغوي شمل الماضي وحده ، أو المضارع وحده كيما تنشأ تلك الصورة . ورأى الدكتور إبراهيم أنيس أن كلام ابن جني يمكن أن يفسر بأنّ ما أخذ من اللغة الأخرى إنما كان مفردةً ولم يكن وزناً ، « لأن الأوزان لا تستعار ، وإنما الذي يستعار هو الكلمات » (٢٢٦) ، وأنّ

(٢٢٢) : الاضداد (١٠ – ١١) .
(٢٢٣) الخصائص ١/٣٧٤ – ٣٧٥ .
(٢٢٤) الخصائص ١/٣٧٥ .
(٢٢٥ : الخصائص ١ / ٣٧٦ .
(٢٢٦) من اسرار اللغة ٤٧ .

« افتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضي فقط دون مضارعه، أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال » (٢٢٧) . وانتهى الدكتور الى أن الصورة المستعارة إنما هي وزن شاذ عن قياس ذلك الباب الصرفي ، لا أنها تعني تكون باب فعلي جديد (٢٢٨) . والحق أن ابن جني رفض أن تكون هذه الأوزان في باب الشذوذ ، كما تقدم بيانه ، وقال : « إن اكثر ذلك وعامته إنماهو لغات تداخلت فتركبت » (٢٢٩) ، وأن من يصف هذه الأنماط بالشذوذ إنما هو ، عند ابن جني ، ضعيف النظر ، خفّ فهمه الى تلقي ظاهر هذه اللغة (٢٣٠) . على أن ما استقر رأينا عليه أن اختلاف النظرة الى تلك الصور الجديدة ، وعدّها شواذّ ، أو عدّها لغات متركبة ، لا يغير من واقعها اللغوي شيئاً ، وهو أنها أفعال سماعية محدودة الورود في الكلام الفصيح ، وأنها وردت بالأوجه القياسية أيضاً . فإن كان الوجه فيها قياسياً ، نحو : نعَم — ينعِم ، أو نعَم — ينعُم ، أو نعِم — ينعَم ، أو « نعُم — ينعُم » ، فشأنه شأن أيّ فعل وارد على باب قياسي ، وإن كان الوجه غير قياسي نحو : نعِم — ينعِم ، أو نعم — ينعم ، (٢٣١) ، فشأنه شأن كل لفظة فصيحة جاءت على غير القياس : تحفظ ، ولا يقاس عليها .

---

(٢٢٧) : من أسرار اللغة ٤٧ .

(٢٢٨) قال في الموضع نفسه : فاذا صح تفسير نا هذا الكلام ابن جني كان مثل هذا الوزن من شواذ اللهجات ، ولا تكون الشواذ باباً من أبواب الفعل في أي لهجة » .

(٢٢٩) الخصائص ١/٣٧٥ (٢٣٠) الخصائص ١/٣٧٤ .

(٢٣١) مادة (ن/ع/د) في « لسان العرب » و « تاج العروس » .

الخاتمـة

(في نتائــج البحـــث)

إن الأصل في ضبط عين الفعل الثلاثي المجرد هو السماع ؛ لأن اللغة أصلاً سماعية قبل أن تكون قياسية . ومع هذا نقرر أن سماتٍ عامةً غالبةً تمكن رؤيتها في خِضَمّ الأفعال الثلاثية المجردة :

أولاً : إنّ الفعل الثلاثي المجرد ، شأنه شأن كثير من مفردات اللغة ، يرد على صورة واحدة أو على صور مختلفة . وفي كلتا الحالتين إما أن يكون ذا دلالة واحدة أو ذا دلالات مختلفة . فإن كان على صورة واحدة ودلالة واحدة ، أو كان على صورة واحدة ودلالات مختلفة ، أو كان على صور مختلفة ودلالات مختلفة ، لزم في هذه جميعاً أن يحيط المتكلم أو الكاتب بمعرفة تامة لكل حالة يستعملها من هذه الحالات مبناها ومعناها . وإن كان الفعل على صور متعددة ودلالة واحـدة ، لجـأ الى الاختيار القائم على أساس انتقاء الصورة الأشهر في كلام الفصحاء . فإن تساوت الصور في الشهرة والاستعمال ، يلجأ الى اختيار الصورة الأقيس .

ثانياً : إنّ الأصل في صوغ المضارع من « فعَلَ » المفتوح هو « يفعِلُ » المكسور . ويطرد هذا القياس مع مهموز الفاء والمثال الواوي والأجوف والناقص اليائيين والمضاعف اللازم . أما « يفعُلُ » و « يفعَلُ » فتحددهما الشهرة أولاً ؛ فإن لم يكونا مشهورين حدّدا في ضوء ما يأتي :

أ — إنّ « يفعُلُ » يطّرد قياسه مع الناقص والأجوف الواويين ومع المضاعف المتعدي ، وكذلك إذا دل على المغالبة .

ب — إنّ « يفعَلُ » خاصّ بما عينه أو لامه حرف حلق . على أن ذلك يطّرد ولا ينعكس ، فلا يلزم في كل حلقي أن يرد على هذا الباب .

هذه المقاييس غالبة أو مطّردة . فإن لم يكن الفعل مشهوراً ، ولم يمكن تحديد بابه في ضوء ما تقدم ، لُجِيَ الى المعجم العـام أو معجم الأفعال خاصة (٢٣٢) .

ثالثاً : إنّ الأصل في صوغ المضارع من « فعِلَ » المكسور هو « يفعَلُ » المفتوح . وهذا الوزن هو القياس الذي يلزم اعتماده وطرده ، وكل ما خرج عنه الى « يفعِلُ » ، أو الى « يفعُل » ، فمقصور على السماع وهو لا يعدو أفعالاً معينة ؛ سمع معظمها على الوجه القياسي ، أيضاً ، مما يدعو الى اعتماده اذا كان الأشهر في الاستعمال . ثم سمع أقلّها على « يفعِلُ » وحدَهُ دون القياس ، وهـذا محصور في نماذج محددة مخصوصة من المثـال الواوي .

رابعاً : إنّ الأصل في صوغ المضارع من « فعُلَ » المضموم هو « يفعُلُ » المضموم أيضاً . ولا عبرة ولا اعتداد بما خرج عنه الى «يفعَلُ» ، أو إلى « يفعِل » ، فهو نادر جداً ، وليس بالمتكلم أو الكاتب حاجة إليه ؛ لاشتهاره على الوجه القياسي « يفعُل » أيضاً ، وهو الوجه الواجب الاعتماد .

ونخلص مما تقدم أنه لا إشكال في صوغ المضارع من « فعِلَ » المكسور ، ولا من « فعُلَ » المضموم (فالشواذ قليلة تحفظ) . أما الصوغ من « فعَلَ » المفتوح ، فيعتمد على الشهرة (على الرغم من أن الأصل هو « يفعِلُ » المكسور) واذا لم تسعف الشهرة نظر الى الفعل في ضوء الحالات القياسية الخاصة بهذا الوزن . فان لم يكن الفعـل ضمن تلك الحالات ، لجئ الى المعجم . أما إذا إذا لم ينص المعجم على تلك الصيغة ، أخذ بما قال أبو زيد الأنصاري في اختيار « يفعِلُ » أو « يفعُلُ » على حدٍّ سواء .

(٢٣٢) أهم ما في هذا من المعجمات الخاصة بالأفعال : كتاب الأفعال لابن القوطية (٣٦٧هـ)، و والأفعال للسرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ) ، والأفعال لابن القطاع (٥١٥ هـ) . وهي محققـة مطبوعة .

علي بن يحيى المنجم

الدكتور يونس احمد السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

إسمه وكنيته ولقبه :

هو علي بن يحيى بن أبي منصور ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه المنجم (١) .

ولادته :

روى المرزباني في نور القبس ان ولادة علي كانت سنة مائتين ، قال : (قال الصولي : ولد ابو العباس احمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب ، واسماعيل بن اسحاق القاضي.....وعلي بن يحيى المنجم في سنة مائتين) (٢) .

وروى في معجم الأدباء مايفهم بأن ولادته كانت في سنة (٢٠١) فقد قال : (ومات في سنة خمس وسبعين ومائتين وله اربع وسبعون سنة) (٣)

حياته :

نشأ في رعاية أبيه الذي كان من مقربي المأمون، المختصين به ، وليس بين أيدينا من أخباره مايشير الى مدى صلته بالمأمون او المعتصم من الخلفاء ، اللهم الا ماروي له من أبيات في رثاء الاول ومدح الثاني (٤) .

---

(١) انظر : معجم الشعراء ١٤١ ، الفهرست ٤٣ ، تاريخ بغداد ١٢/١٢١ ، معجم الادباء ١٥/١٤٤ .

(٢) ص ٢٣٤

(٣) ص ١٤١ ، وانظر الاعلام ٥/١٨٤، ومعجم المؤلفين ٧/٢٦١ فقد جاء فيهما ان تاريخ ولادته كان في سنة (٢٠١) ايضاً .

(٤) انظر : مجم الادباء ١٥/١٥٤.والجدير بالذكر ان ابن المنجم روى شيئاً من الاخبار عن =

ويبدو انه كان يحضر مجالس الواثق ويشارك فيما يدور فيها من المطارحات الأدبية ، فقد روى جحظة خبراً مطولاً عنه ، يصف فيه ما دار في بعض تلك المجالس بينه وبين الواثق ، حين أخذ منه النبيذ في شعر حسان بن ثابت وابي نؤاس الخمري ، وما كان من تحامل ابن المنجم على شعر الاول وتعصبه لشعر الثاني ، الامر الذي أثار الواثق فانتصف لحسان ، وبيّن محاسن شعره في هذا الفن (٥) .

وتشير أخباره الى اتصاله الوثيق بمحمد بن اسحاق بن ابراهيم المصعبي أحد رجال الدولة الذي كان له مركز مرموق في عهد المتوكل (٦) ، فقد اختص بخدمته وملازمته حتى وفاته (٧) . ثم تقرب الى الفتح بن خاقان

= المأمون منها تقبيله رجل عريب ، ومنها معاقبته احمد بن يوسف لهفوته وسوء إجابته في مجلسه (انظر الهفوات النادرة ٢٥٣) . ولكن ليس في الخبرين مايدل على انهما رويا عن طريق المشاهدة او المجالسة ، وأكبر الظن ان ابن المنجم رواهما مما سمعه من غيره في مجالس المأمون ، ولا يستبعد ان يكون مصدرهما أبوه ، ويبدو ان البكري اتخذ مما روى لعلي من رثائه للمأمون دليلا على ادراكه قال : (وادرك المأمون ورثاه) (سمط اللآل ١/٥٢٥) كذلك روى خبراً عن موت المعتصم بعد استتمامه لعدة جيشه ، وتذليله لعدوه (تاريخ بغداد ٣/٣٤٦) .

(٥) انظر : معجم الادباء ٥/١٦٤ — ١٦٦

(٦) انظر : الطبري ٩/١٨٣ — ١٨٤ (حوادث ٢٣٦ هـ)

(٧) انظر : معجم الادباء ١٥/١٦٨ . والجدير بالذكر ان شارح ديوان البحتري يشير الى مدح البحتري لعلي هذا ويؤرخ مدائحه فيه في ٢٣٣ هـ (ديوان البحتري ٣/١٩٧٨) ومعنى هذا ان موت محمد بن اسحاق كان في غضون هذه السنة ، غير ان الشابشتي أشار في الكلام على اسحاق والد محمد هذا بأنه : (ولي للمأمون ، ثم للمعتصم ، ثم للواثق ، ثم المتوكل ومات في أيام المتوكل ، فأقام محمداً ابنه مكانه فلبث يسيراً ومات (الديارات ٣٨ ط٢) . وجاء في الطبري حوادث ٢٣٥ هـ وفيها (كانت وفاة اسحاق بن ابراهيم صاحب الجسر في يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة وصير ابنه مكانه) . وعلى هذا فمن الجائز أن يكون الفتح قد ضم علياً اليه قبل وفاة محمد لابعدها ، كما يشير ياقوت . وانظر (البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ص ٨٦ الحاشية) .

وزير المتوكل وخدينه فمدحه بقصيدة اهتز لها الفتح وسرّ بقدوم صاحبها عليه ، الامر الذي دفعه الى تقديمه الى المتوكل وتعريفه بمكانه ومنزلته فأذن له واستجلسه وأصبح من ندمائه .

وكان من أثر اتصاله بالفتح تلك المكتبة الضخمة التي كلف بعملها ، والتي قيل عنها (وعمل له خزانة حكمة نقل إليها من كتبه ومما استكتبه للفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط) (٨) .

ان صلة ابن المنجم بالمتوكل كانت وثيقة وطويلة بحكم المدة التي استغرقتها خلافته والتي أربت على اربع عشرة سنة ، وقد كان علي من أقرب المقربين الى الخليفة (وآنس خلق الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح ، وتقدم الجلساء جميعاً عنده ووثق به حتّى عزم على إدخاله معه على الحرم إذا جلس معهن . . .) (٩).

ان هذه الصلة القوية الطويلة هي التي حملت أكثر المترجمين له على تأكيدها وابرازها في صدر ترجماتهم وإشاراتهم اليه (١٠) ، كما كانت اخباره مع المتوكل أكثر عدداً وتنوعاً من سواها مع أي شخصية عباسية أخرى .

لقد امدنا ابن المنجم بجملة أخبار متنوعة عن المتوكل ، وذلك بحكم منادمته له وتقربه منه . منها ماوقع له معه ، ومنها ماوقع لسواه ، فمن الاولى :

ماروى من طلب الخليفة منه في أحد مجالس أنسه أن يغنيه ففعل هذا وأجاد مما حمل المتوكل على إثابته على ذلك (بمشمّة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبّة منها) (١١) .

ومنها : طلبه منه ان يهجو مروان بن أبي الجنوب وقد اجتمعا في أحد مجالس

(٨) انظر الفهرست ٢١١ وانظر معجم الادباء ١٥/١٤٤

(٩) انظر : معجم الادباء ١٥/١٦٩ .

(١٠) انظر : معجم الشعراء ١٤١ ، تاريخ بغداد ١٢/١٢٢ ، وفيات الاعيان ٣/٥٥

(١١) معجم الادباء ١٥/ ١٦٣

أنسه أيضاً فأبى ذلك ، الامر الذي دفع ابن ابي الجنوب الى هجاء عليّ والنيل منه (١٢) .

ومنها: ماأمره به من ايصال كلام فيه هجر الى ابراهيم الصولي الذي كلف بوصف قدور اشتراها الخليفة فنسى ذكر أثمانها ، ومارد به ابراهيم وكلفه بايصاله الى المتوكل (١٣) .

ومن الثانية : ماوقع للمتوكل مع جواريه بحكم منادمة ابن المنجم له وتقدمه عنده وقربه من نفسه .

فمنها : ماكان من ميل الخليفة الى احدى جواريه وتفضيله لها على سواها ، وغيرة بقية الجواري منها ، والسبب الذي دعا المتوكل الى هذا الميل والتفضيل والمتمثل في كمال مروءتها ، وتمام ظرفها ، ورهافة احساسها الذي استقطب في هديتها العجيبة اليه في احد الأعياد المشهورة في ذلك الوقت وهو عيد المهرجان ، ولما في هذه الهدية من الغرابة والطرافة نرى من المفيد اثباتها هنا وهي : (عشرون غزالاً مربيّة بعشرين سرجاً صينياً ، على كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر وأنواع الطيب المرتفعة ، مع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب في رأسه جوهرة ياقوت أو زمرد او غيرها من الجواهر الجليلة القدر (١٤) .

ومنها طلب المتوكل الى البحتري ان يرتجل شعراً في وصف جارية مرت به تحمل كوز ماء لزوجته قبيحة (١٥) .

ومنها ماجرى بين عبادة المخنث ويحيى بن أكثم القاضي منحوار (١٦) وعبث

---

(١٢) انظر : معجم الادباء ١٥/ ١٥٨

(١٣) انظر الأغاني ١٠/ ٥٣

(١٤) التحف والهدايا ص ١٠٠

(١٥) الاغاني ٢١ / ٤٣ – ٤٤

(١٦) انظر : الديارات ١٨٩

ومنها مأمر به الخليفة علي بن المنجم – الذي كان يقرب من أنسه جداً ولا يكتمه شيئاً من سره مع حرمه من أحاديث خلواته – أن يقول في وصف زوجته وقد كتبت اسمه على خدها بغالية ، فأرتج عليه ، فانبرت إحدى جواريه الشواعر وهي محبوبة فقالت على البديهة مأمره به وأراده (١٧) .

ويندرج ضمن هذه الأخبار التي رويت عن ابن المنجم خبران آخران عن ابن الجهم ايضاً ، الاول : ارتجال ابن الجهم شعراً عند دخول احد رسل الخليفة اليه برأس الخارجين عليه ، وتعليق المتوكل على ذلك (١٨) .

والثاني : قراءة قصيدة ابن الجهم في وصف الهاروني ومدح المتوكل – وهو محبوس بأمره – في مجلس الخليفة من قبل ابن المنجم وتعليق المتوكل عليها بعد ازوراوه عن مواصلة الاستماع اليها (١٩) .

ان إعجاب المتوكل بابن المنجم كان كبيراً الامر الذي جعله يتفقده ويسأل عنه وعما ينتابه من أمور ، حتى ليحدثنا ابن المنجم ان الخليفة عاتبه يوماً وكاد يغضب عليه بسبب استقراضه مالاً لحاجته اليه من أحد رجال الخليفة ، واعلمه انه اذا احتاج الى شيء من هذا القبيل فعليه الا يقصد إنساناً سواه (٢٠) .

لقد انهالت جوائز الخليفة وعطاياه على نديمه المقرب حتى بلغت شيئاً كبيراً ، فقد روي عنه قوله : (وأحصيت ماوصل إليّ من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة الف دينار) (٢١) .

وأحب المتوكل الوقوف على مدى أثر إنعامه على نديمه هذا فارتأى ان يكون ذلك فيما يُعده من طعام ، فبعث الى منزل ابن المنجم من يحمل اليه

(١٧) انظر : الأغاني ٢٢/٢٠٠
(١٨) انظر : العقد الفريد ٢/١٣١
(١٩) انظر : الأغاني ١٠ / ٢٣٣
(٢٠) انظر : معجم الادباء ١٥ / ١٧٠ – ١٧١
(٢١) معجم الادباء ١٥/١٥٢–١٥٣

مايجده فيه من طعام دون إفساح المجال لاهله في إعداد شيء منه او تهيئته فجيء اليه بجونة مملوءة بضروب الطعام الطيب النظيف ذي الروائح المشوقة اليه فأعجب به الخليفة وأكل منه ودعا اليه وزيره الفتح ، وفرح المتوكل بذلك ، لانه رأى أثر نعمته على نديمه واضحاً ، فأثنى عليه وزاد في اكرامه (٢٢) .

ومن أخباره مع المتوكل أيضاً — وفيه دليل على ميل الخليفة الى العرب الذين ضعف شأنهم من جراء ضغط العنصر التركي المتغطرس على الخليفة والخلافة — ماروي من طلب المتوكل من عليّ هذا إنشاده قول عمارة بن عقيل في هجاء أهل بغداد الذي كان في جملتهم ابو دلف العجلي القائد الفارس الأديب العربي ، فثار الخليفة وغضب وشتم الشاعر ، لانه هجا (شقيق دولة بني العباس القاسم بن عيسى) (٢٣) .

لقد كان ابن المنجم ملازماً للمتوكل يحضر مجالسه ويطرفه بالأخبار ويقرأ له الاشعار ويلبي كل مايطلب منه في شتى المجالات التي كان يحسنها .

ويبدو انه كان يقرأ على الخليفة في مجالسه الكتب التي تتناول السير والاخبار ، وما يتصل بهما ، ومن طريف ماروى عنه في هذا الشأن قوله :

(كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم ، فوقفت على موضع من الكتاب فيه : ان الخليفة العاشر يقتل في مجلسه ، فتوقفت عن قراءته وقطعته ، فقال لي : ما لك قد وقفت ! قلت خير ، قال : لابد والله من ان تقرأه ، فقرأته وحدت عن ذكر الخلفاء ، فقال المتوكل : ليت شعري من هذا الشقي المقتول) (٢٤)

(٢٢) معجم الادباء ١٥ / ١٥٢ — ١٥٣

(٢٣) انظر المحاسن والمساوئ ٢٠٩

(٢٤) الطبري ٢٢٩/٩

وتنتهي صلته بالمتوكل بالخبر الذي رواه عن رثاء ابي العنبس الصيمري الشاعر الهزلي الذي كان من ندماء المتوكل للمتوكل وفيه سخرية بما آل اليه امر الخلافة من تدهور وانحطاط ، فالخليفة الهاشمي يقتل بين سرير الملك والمنبر ولا أحد يلتفت اليه أو يأخذه بثأره ، وفيه استهزاء ايضاً بالشاعر البحتري الذي كان مناوئاً له والذي جرى له معه في مجالس المتوكل حادث طريف كاد يقضي على مستقبل البحتري (٢٥) .

واتصل ابن المنجم بالمنتصر بن المتوكل وخدمه ، فغلب عليه ايضاً وقرب من نفسه : (وقدمه على جماعة جلسائه ، وقلده أعماله الحضرة كلها : العمارات والمستغلات والمرمات والحظائر وكلها على شاطىء دجلة الى البطيحة من القرى (٢٦) .

وهناك خبران في علاقة ابن المنجم بالمنتصر ، اولهما يتعلق بحلم الخليفة الذي رأى فيه انه صعد درجة حتى انتهى الى خمس وعشرين مرقاة منها ، فقيل له : هذا ملكك ، فجاءه ابن المنجم وقد بلغه الخبر مهنئاً بطول العمر ، غير ان الامر انتهى بوفاة الخليفة وهو في حدود الخامسة والعشرين من عمره (٢٧) . وثانيهما : يتصل بكرم الخليفة الذي نعته ابن المنجم بقوله :

(مارأيت أحداً مثل المنتصر ولا أكرم أفعالاً بغير تبجح منه ولا تكلف) وسرد حكاية سؤال الخليفة له وقد رآه واجماً مفكراً فأخبره بحاجته الى مال كثير لاقتناء ضيعة ، فأمر له به دون أن يذكره به أو بضيعته له بعد ذلك (٢٨) .

(٢٥) انظر : الأغاني ٤٩/٢١ — ٥٣ والبحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٧٨—١٨٠

(٢٦) معجم الادباء ١٧١/٥

(٢٧) تاريخ الطبري ٢٥٣/٩ . لقد مر في صلة ابن المنجم بالمتوكل شيءٌ شبيه بهذا ، فهل هذه الحكايات موضوعة من ابن المنجم او سواه للتدليل على براعتهم في علم التنجيم او لتفسير بعض مظاهر الحياة السياسية في ذلك العصر أو ان توافقها جاء في قبيل المصادفات العجيبة ؟

(٢٨) انظر : مروج الذهب ٤ / ٥٤—٥٥

وانتقل بعد وفاة المنتصر الى خدمة المستعين الذي قدمه وأحبه وأحلّه محاله ممن كان قبله ، وأقرّه على ماتقلّده من اعمال الحضرة (٢٩) ، وكان أحد رجال الخليفة في الصراع الذي نشب بينه وبين المعتز ، حافظ على عهده في البيعة له الى ان خلع . وقد كان المستعين واثقاً منه مطمئناً اليه حتى قيل انه لم يكن قبل الخلع يأكل إلاّ مايحمل اليه من منزل ابن المنجم هذا . وفي اخبار خلع المستعين مايشير الى وقوف ابن المنجم الى جانبه ودفاعه عنه ، ومقاومة الذين كانوا يضغطون على الخليفة في وجوب التخلي عن الخلافة وخلو نفسه منها (٣٠) .

ولمّا آل الامر – بعد خلع المستعين – الى المعتز ، كان ابن المنجم اول من طلب للمنادمة من قبل الخليفة ، فأشخص من بغداد الى سامراء حيث مقر الخليفة الجديد ، فتلقاهُ المعتز (أجمل لقاء وخلع عليه ووصله وقلده الاسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته ، وخصّ به وغلب عليه حتى تقدم عنده على الناس كلهم) وقلده القصر الكامل احد القصور الفخمة العظيمة الذي وصفه البحتري وصفاً رائعاً فأشرف على بنائه وإتمامه (٣١) .

لقد أقبل المعتز علي ابن المنجم اقبالاً كبيراً – كما تقدم – فأسبغ عليه عطاياه ، وأكرم مثواه حتى بلغ ماوصل اليه منه ثلاثة وثلاثين الف دينار (٣٢) .

ويبدو انه لم يكن على وفاق مع المهتدي الذي أعقب المعتز في الخلافة فقد جرت بينهما أمور في مجالس الخلفاء جعلت المهتدي يحقد عليه ، ويتربص به ، لميله الى المتوكل ، ويظهر انه همّ به في خلافته ، ولكن شيئاً كان يصرفه عنه فسلم منه ومما كان يضمره له من الأذى (٣٣) .

---

(٢٩) انظر : معجم الادباء ١٥/ ١٧٢

(٣٠) انظر في تفصيل هذا ، الطبري ٩/٣٤٠

(٣١) معجم الادباء ١٥ / ١٧٢

(٣٢) انظر معجم الادباء ١٥ / ١٧٣

(٣٣) نفسه ١٥ / ١٧٤

ولما استخلف المعتمد بعد مصرع المهتدي ، كان ابن المنجم أحد ندمائه ورجال حاشيته ، وحل منه محله ممن كان قبله من الخلفاء ، فقربه وأدناه وقدمه على الناس جميعاً ، ووصله وقلده ماكان يتقلد من أعمال الحضرة ، وعهد اليه القيام ببناء قصره المعشوق الذي وصفه البحتري وصفاً رائعاً ، فبنى له أكثره .

ان صلة ابن المنجم بالخليفة كانت طويلة بحكم استمرار الثاني في الحكم ، فكان يحضر مجالس أنسه وطربه ، فأمره ان يجمع غناء عريب المغنية المشهورة في ذلك العصر الذي صنعته ، فاتصل بها وأخذ منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها ، فكتبه فكان الف صوت او أكثر من ذلك (٣٤) كما كان الخليفة يستشيره في شراء مايحلو له من الجواري (٣٥) .

وأكبر الظن انه قد مدحه بشيء من شعره ، وان لم يصل إلينا شيء من ذلك ، ولعل قول احدهم — وهو يترجم المعتمد — (شاعره ابن المنجم) دليل على هذا (٣٦) .

(٣٤) انظر : نهاية الارب ٩٦/٥ . الجدير بالذكر ان ابا الفرج يروي في أغانيه (٥٥/٢١) ان الذي أمر بجمع أصوات عريب هو يحيى بن علي ، غير أن محقق هذا الجزء من الاغاني أشار في الهامش الى نسخة أخرى ورد فيها الاسم (علي بن يحيى كما ذكر ابو الفرج في ١١٨/٤) مايشير الى ان جمع غناء عريب كان من قبل علي ايضاً ، قال : (اخبرني جعفر ابن قدامة قال : حدثني محمد بن عبدالملك قال سمعت فريدة تغني ... ١٩٩ وفيه لعريب خفيف ثقيل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتز وعلي بن يحيى) . ويبدو أن علاقة علي بعريب معروفة ، فقد كان متصلا بها يستمع الى غنائها (انظر الاغاني ٢١ / ٧٨) .

(٣٥) انظر : بدائع البدائه ٨٢

(٣٦) مختصر التاريخ ١٦٣ . والجدير بالذكر ان محقق الكتاب أشار في فهرس الأشخاص الى ان المقصود بابن المنجم علي بن يحيى . كما أشار الى ان المقصود (بابن المنجم) الذي عد من شعراء المقتدر هو علي بن يحيى ايضاً ، وهذا غير صحيح فعلي توفى سنة ٢٧٥ هـ في حين ان ولادة المقتدر كانت سنة ٢٨٢ هـ ولعل المراد به ابنه يحيى بن علي المتوفى سنة ٣٠٠هـ

ثقافته :

ينتمي علّي الى أسرة اشتهرت بعلم التنجيم ، ولكنه لم يقصر ثقافته عليه حسب وانما وسعها فشملت أموراً أُخرى ولا سيما الأدب والغناء والتاريخ .

ان الحديث عن ثقافة ابن المنجم يدعونا الى الوقوف على مصادر هذه الثقافة الواسعة وهي في رأينا تنحل الى الامور الآتية :

١- اساتذته :

من غير شك ان اول أساتذته ومعاميه هو ابوه الذي اشتهر اسمه بين كبار علماء التنجيم والرصد في عصره ، كما كان هناك جملة من الأدباء والشعراء والرواة والمغنين الذين اتصل بهم وأخذ عنهم وروى ماسمعه منهم ، كمحمد بن المنجم (٣٧) والاصمعي (٣٨) ، ومحمد بن صالح بن النطاح (٣٩) ومحمد بن زكريا الغلابي (٤٠) ، والاطروش بن اسحاق (٤١) ، وأحمد ابن ابراهيم الكاتب (٤٢) ، وأبي دعامة (٤٣) ، وعافية بن شبيب (٤٤) ، وأحمد بن صالح (٤٥) ، وعبدالله بن أبي سعد الوراق (٤٦) ، والحسين بن الضحاك (٤٧) ، وعلي بن مهدي (٤٨) ، ومحمد بن أبي كامل (٤٩) ، ومحمد بن العباس (٥٠) ، وعبدالله بن عيسى الماهاني (٥١) ، وعبدالله بن

---

(٣٧) انظر : الاغاني ٩ /٣١٠ ومحاضرات الادباء ٣٩/١

(٣٨) الموشح ٣١٧ والجدير بالذكر ان عمر ابن المنجم عند وفاة المعتصم في سنة (٢١٦) كان ست عشرة سنة ، ولا ندري ان كان قد أخذ الخبر عن الاصمعي رأساً أو أنه استقاه من سواه ، هذا مع العلم ان اسحاق الموصلي استاذ ابن المنجم كان من المتصلين بالاصمعي .

(٣٩) الموشح ٢٢٦

(٤٠) نفسه ٢٣٨

(٤١) اشعار النساء ٦٣

(٤٢) الاغاني ٣٠٧/٣

(٤٣) نفسه ١٠ / ٧٩

(٤٤) نفسه ٣ / ١٤٦ ، ١٦١ ، ٢١٥ ، ٢٣٣

(٤٥) نفسه ٣ / ١٩٩ ، ١٩/ ٢٦٣

(٤٦) أمالي المرتضى ٢٢٥/١

(٤٧) الاغاني ١٥٥/٧ ، ١٦٢ ، ٢١٤

(٤٨) الموشح ٤٩٣ ، أخبار أبي تمام ٢٣١

(٤٩) الموشح ٥٠٢

(٥٠) نفسه ٥٦٢

(٥١) الاغاني ٧٠/٥

العباس الربيعي (٥٢) ، ومحمد بن الفضل الجرجرائي (٥٣) ، وأحمد بن عبيدالله بن أبي العلاء (٥٤) ، ومحمد بن الحارث بن بسخنر (٥٥) وسواهم ».

لقد عبرّ ابن المنجم عن العدد العديد من الرواة الذين سمع منهم في الخبر الذي رواه عنه جحظة في أحسن ابتداء لبعض قصائد الجاهليين والاسلاميين والمحدثين بقوله : (سمعت من لاأُحصي من الرواة يقولون : أحسن الناس ابتداء قصيدة في الجاهلية ...) (٥٦)

لقد روى عن اولئك الأساتذة والرواة أخباراً تتصل بعديّ بن الرقاع وعمر بن أبي ربيعة والأخطل وكثير وليلى الاخيلية ومروان بن أبي حفصة وبشار وأبي نواس وأبي تمام من الشعراء وعطرّد وعريب واسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي واحمد بن عبيدالله بن أبي العلاء ومخارق وعبدالله بن العباس الربيعي من المغنين ، والمنصور والواثق من الخلفاء ، والحجاج ومعن ابن زائدة من القادة والولاة وغير ذلك .

غير ان اشهر من اتصل به ابن المنجم وأخذ عنه وتأثر به هو اسحاق الموصلي الذي كان عالماً في علوم كثيرة ، على رأسها الغناء ، وقد لخص معارفه وماكان عليه من الإحاطة في العلوم والفنون ابو الفرج بقوله : (وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحله من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدلّ عليه فيها بوصف ، وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى مايوسم به ، وإن كان الغالب عليه وعلى كل مايحسنه ...) (٥٧)

لقد كان أثر اسحاق في عليّ كبيراً في المجالات التي كان يحسنها ، فقد تشعبت ثقافته واتسعت معارفه فشارك اسحاق فيها ، وان تفرد دون أستاذه

---

(٥٢) الاغاني ٢٢١/١٩
(٥٣) نفسه ١٠ /
(٥٤) نفسه ٥/ ٣٠٥
(٥٥) نفسه ٤ / ١١٥ ، ٥/ ٣٠٦ .
(٥٦) الاغاني ٣ / ١٤٨ ، ٤٦/٢٣
(٥٧) نفسه ٢٦٨/٥.

بالعلم الذي اختصت به أسرته وهو التنجيم . ومن أجل هذا التأثير الذي كان لطول الصحبة أثر فيه ، فقد اشار الكثير ممن ترجموا له الى صلته باسحاق وأخذه عنه ، فقال ابن النديم : (قد أخذ عن اسحاق وشاهده) (٥٨) ، فقال الخطيب : (أخذ عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي الأدب وصنعة الغناء) (٥٩)، وقال ياقوت : (وأخذ ابو الحسن هذا عن جماعة من العلماء منهم : اسحاق ابن ابراهيم وشاهده) (٦٠) .

٢ــ مكتبته :

لعل ابن النديم اول من اشار الى مكتبة ابن المنجم وذلك في معرض حديثه عن علاقته بالفتح الذي كلفه بعمل مكتبة له كما تقدم (٦١) . والتي نعتها بأنها « خزانة حكمة » ، وتوسع ابن خلكان في عبارة ابن النديم ومدّها بقوله : (ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب اكثرها حكمة ، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ماكان في خزائنه أضعافاً مضاعفة مما لاتشتمل عليه خزانته) (٦٢) .

اما ياقوت فقد فصل في التعريف بهذه المكتبة ومكانها وكيفية الإفادة منها ، ومن كان يتعهد قاصديها وينفق عليهم بقوله : (وحدث ابو علي التنوخي في نشواره : حدثني ابو الحسن ابن ابي بكر الازرق قال : حدثني ابي قال : كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعليّ بن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها

(٥٨) الفهرست ٢١١ وانظر : وفيات الاعيان ٥٦/٣
(٥٩) تاريخ بغداد ١٢٢/١٢
(٦٠) معجم الادباء ١٤٤/١٥ .
(٦١) انظر ص ٢ من البحث
(٦٢) وفيات الاعيان ٥٦/٣

الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال عليّ بن يحيى ، فقدم ابو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو اذ ذاك لايحسن كبير شيء من النجوم ، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه حتى ألحد ، وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين والاسلام ايضاً (٦٣) .

ان في هذه النصوص أموراً ينبغي الوقوف عندها قبل الاستطراد في الحديث عن هذه المكتبة .

١– ان المكتبة كانت معروفة في الاوساط العلمية والأدبية آنذاك .

٢– انها سابقة لمكتبة الفتح بن خاقان وزير المتوكل .

٣– ان قسماً من كتبها قد نقل الى مكتبة الفتح ، الى جانب مااستكتبه ابن المنجم للوزير مما لم تشتمل عليه مكتبته .

٤– انها كانت تشتمل على الكتب العلمية وبخاصة كتب التنجيم ، الامر الذي دعا تسميتها (بخزانة الحكمة) .

٥– لعل اسمها (خزانة الحكمة) مرتبط (ببيت الحكمة) الذي أُنشئ منذ عهد الرشيد (٦٤) ، ومعلوم ان والد عليّ كان أحد المقربين من المأمون ، ولا يستبعد أن يكون ولده ايضاً ممن كان يختلف الى مجالس الخليفة ايضاً .

٦– لعل ابن المنجم قد ورث هذه المكتبة (النجامية) من والده الذي كان أحد المشهورين في هذا العلم والمؤلفين فيه .

٧– ان هذه المكتبة كانت بكركر (ناحية من بغداد) مقرّ ابن المنجم قبل ان ينتقل الى سامراء التي أُنشئت في سنة ٢٢١ هـ في عهد المعتصم . ومعنى

(٦٣) معجم الادباء ١٥/١٥٧

(٦٤) انظر الفهرست ١٦٠

هذا ان المكتبة قديمة وان ابن المنجم – كما تقدم – فقد ورثها من اسلافه ، ولعل مايؤيد هذا ان ولادة عليّ كانت – كما اسلفنا – في سنة (٢٠٠ هـ) ، ومن غير المعقول ان تتكون لديه مثل هذه المكتبة الضخمة وهو مازال في اول شبابه . .

٨– الحق اننا لانعرف الوقت الذي انتقل فيه ابن المنجم الى سامراء ولكن لدينا أبيات يرثي فيها المأمون ويمدح المعتصم ، كما لدينا أخبار له مع الواثق المتوفى سنة (٢٣٢ هـ) ، ثم تظهر أخباره بكثرة مع المتوكل الذي استخلف سنة ٢٣٢ هـ ومع وزيره الفتح ، وأكبر الظن انه انتقل الى سامراء في عهد المعتصم في جملة من انتقل الى الحاضرة الجديدة من رجال الدولة وأدبائها وعلمائها بعد ابتنائها (٦٥) .

٩– ان ابن المنجم كان ذا مال وفير وجاه عريض بحيث تيسر له ان ينشئ هذه المكتبة الضخمة ، وان يتعهد قاصديها بالرعاية والنفقة .

١٠– ان قصد ابي معشر البلخي هذه المكتبة وهو في طريقه الى الحج وتعلمه فيها علم النجوم وإغراقه فيه حتى ألحد ، أمور تستوجب التحقيق والتدقيق :

فمتى قصد ابو معشر الحج ؟ وكم بقي مقيماً في هذه المكتبة التي هاله أمر كتبها ؟ وهل يعني تعلم التنجيم والاغراق فيه حرف الانسان عن معتقده ودينه ؟

ان الاجابة عن هذه الأسئلة ليست سهلة ، ولايمكن القطع بصحتها او الركون الى دقتها ، ولكننا سنحاول في ضوء ما لدينا من إشارات تتصل بها الى التحدث عنها .

جاء في الفهرست عن ابي معشر ماهذا نصه : (وهو ابو معشر جعفر ابن محمد البلخي ، وكان اولاً من أصحاب الحديث ومنزله في الجانب

(٦٥) انظر : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري الفصل الثاني .

الغربي بباب خراسان . وكان يضاغن الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة ، فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علوم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له ، فعدل الى علم احكام النجوم وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم ، لانه من جنس علوم الكندي ، ويقال انه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره ..... وتوفي ابو معشر وقد جاوز المائة بواسط يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين) (٦٦) .

وواضح ان هذا النص ينطوي على الامور الآتية :

١ــ ان تعلم أبي معشر لعلم النجوم كان بعد مرور سبع واربعين سنة من عمره

٢ــ ان قصد أبي معشر مكتبة آل المنجم كان في حدود سنة (٢١٨ ﻫ) وذلك إذا افترضنا ان عمره امتد الى مائة سنة وسنة . ومعنى هذا ان عمر عليّ بن يحيى كان في الثامنة عشرة وهي سن استبعدنا فيها ان يكون بمقدوره إنشاء مكتبة ضخمة كالتي وصفت .

٣ــ ليس في النص مايشير الى ان تعلم أبي معشر علم النجامة من ملازمته مكتبة آل المنجم .

٤ــ ليس في النص مايشير الى الحاد الرجل وابتعاده عن الدين .

٥ــ لقد كان أبو معشر رئيس المنجمين في عهد المعتز (٦٧) ، ومن غير المعقول ان يجعله الخليفة رئيساً لمنجميه وهو معروف بإلحاده .

٦ــ من الجدير بالذكر ان أسرة آل المنجم التي اشتهرت بالتنجيم قد نعتت بتمسكها القوى بالدين جاء في ترجمة المرزباني لعلي وهو واهله وولده وأولادهم في البيت الخطير من الدين والأدب والشعر والفضل ...) (٦٨) .

(٦٦) ص ٤٠٠

(٦٧) معجم الشعراء ١٤٢

(٦٨) انظر : نشوار المحاضرة (٨/٥٦ ــ)

وعلى الرغم من أن أوصاف هذه المكتبة كانت عامة، ولم يشر الى محتوياتها إلا إشارة سريعة ، وهي انها كانت تحوي كتباً في التنجيم ، او انها تشتمل على كتب أكثرها حكمة ، إلا ان هناك إشارات أخرى الى بعض اسماء الكتب او انواع المعرفة الاخرى – التي كان يعنى بها ابن المنجم والتي كانت تضمها مكتبته هذه . فقد ذكر الطبري في حوادث ٢٤٧ هـ وفي معرض مقتل المتوكل مانصه : (ذكر عن علي بن المنجم انه قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم ....) (٦٩) .

وأورد الحصري خبراً عن ابن المعتز جاء فيه : (استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه أخبار معبد بخط حماد بن اسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث اليّ بست ورقات لطاف ...) (٧٠) .

وأشار ابن النديم الى ابتياع ابن المنجم لمكتبة الراوية والاديب والشاعر والمصنف (عمر بن شبة) بعد وفاته سنة ٢٦٢ هـ من ابنه وضمّها الى مكتبته (٧١).

وكان ابن المنجم يقترح على بعض المترجمين أن ينقلوا إليه كتباً او مقالات في مجالات العلم المختلفة ، كما كان يطلب الى بعض آخر التأليف في المسائل العلمية والأدبية ، فقد ذكر ابن النديم وهو يتحدث عن كتب

---

(٦٩) تاريخ الطبري ٢٢٩/٩ .

(٧٠) زهر الآداب ١٥٩/١

(٧١) الفهرست ١٦٩ ومن الجدير بالذكر ان ابن النديم ذكر عدداً من مؤلفات ابن شبة وهي : (كتاب الكوفة ، كتاب البصرة ، كتاب المدينة ، كتاب مكة ، كتاب امراء الكوفة ، كتاب أمراء البصرة ، كتاب امراء المدينة ، كتاب امراء مكة ، كتاب السلطان ، كتاب مقتل عثمان ، كتاب الكتاب ، كتاب الشعر والشعراء ، كتاب الأغاني ، كتاب التاريخ ، كتاب أخبار المنصور ، كتاب محمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن ، كتاب اشعار الشراة ، كتاب النسب ، كتاب أخبار بني نمير ، كتاب مايستعجم الناس فيه من القرآن ، كتاب الاستعانة بالشعر وماجاء في اللغات ، كتاب الاستعظام للنحو ومن كان يلحن من النحويين . وانظر : معجم الادباء ٦١/١٦

جالينوس (... وإذا رجعنا الى فهرست كتب جالينوس الذي عمله حُنين (ابن اسحــاق) الى علي بن يحيى ، علمنا ان الذي نقل حنين أكثره الى السرياني ...) (٧٢) ، كما ذكر أيضاً : (كتاب عدد المقاييس نقل اصطفن ابن بسيل واسحاق ايضاً لعلي بن يحيى) (٧٣) .

وذكر صاحب كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء في صدد حديثه عن مؤلفات حنين بن اسحاق : (اختصار كتاب جالينوس في الادوية المفردة ، إحدى عشرة مقالة اختصره بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي الجزء الاول ، وهو خمس مقالات ، نقلها لعلي بن يحيى . مقالة في ذكر ماترجم من كتب جالينوس وبعض مالم يترجم كتبها الى علي بن يحيى) (٧٤) . كما ذكر صاحب كتاب تاريخ الحكماء في حديثه عن كتب ثابت بن قرة : (كتاب فيما سأله ابو الحسن علي بن يحيى المنجم من أبواب علم الموسيقى جوامع عملها لكتاب نيقوماخس في الارثماطيقي) (٧٥) .

وذكر بروكلمان ان قسطا بن لوقا ألف لأبي الحسن علي بن يحيى مقدمة الى علم الرياضيات (٧٦) .

وذكر ابن النديم في سرده لمؤلفات محمد بن داود بن الجراح ان له (من الكتب كتاب الورقة في اخباء الشعراء كتب به الى ابن المنجم) (٧٧) . وأكبر الظن ان المقصود بابن المنجم هو علي هذا ، والذي يدعونا الى هذا الظن ان علياً كان معروفاً كما تقدم بالايعاز الى الآخرين بالكتابة في موضوعات شتى.

---

(٧٢) الفهرست ٤١٧ ، ٤٢٤ وفيه اسماء كتب جالينوس وانظر ص ٢٩٥ ، وانظر : تاريخ الحكماء ١٢٨-١٢٩ ، ١٧٤

(٧٣) الفهرست ٤١٩ وتاريخ الحكماء ١٣٢

(٧٤) ٢٧٢ .

(٧٥) ص ١٧-١٨

(٧٦) تاريخ الأدب العربي ٩٧/٤

(٧٧) الفهرست ١٩٢

٣ ـ المجالس :

وهي على نوعين :

الاول : المجالس التي كان يختلف اليها وهي مجالس الخلفاء والامراء والوزراء والأدباء والمغنين ، وقد مرّ بنا في الحديث عن صلاته بخلفاء الدولة شيءٌ من تلك المجالس ، وكثيراً ما كانت الأحاديث في تلك المجالس تدور حول الأمور التاريخية والأدبية والفنية وغيرها . فكان المجتمعون يتباحثون ويتناقشون ويختلفون ويتفقون فيما يلقى من المسائل المتنوعة ، ونرى من المستحسن أن نجتزئ بجزء مما كان يتطارحهُ الجلساء في أحد تلك المجالس . جاء في الأغاني :

(قال ابن المعتز : قال ابن الخصيب :

فحدثني هذا المحدث انه حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل ـ ومن هنا تتصل رواية ابن عمار ، عن ميمون ، وقد جمعت الروايتين إلا ان ميمون بن هارون ذكر انهم كانوا عند جعفر بن المأمون ، وعندهم ابو عيسى ، وكان عندهم علي بن يحيى ، وبدعة جارية عريب تغنيهم ـ فذكر علي بن يحيى ان الصنعة فيه لغير عريب ، وذكر انها لاتدعي هذا او كابر فيه ، فقام جعفر بن المأمون ، فكتب رقعة الى عريب ـ ونحن لانعلم ـ يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب اليه بالقصة ، ففعلت ، فكتبت اليه بخطها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هنيأً لأرباب البيوت بيــوتهم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وللعــزب المسكين ما يتلمس

انا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأنتم فيما أنتم فيه ، وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني ـ تعني جاريتيها ـ بدعة وتحفة ـ فأنتم في القصف

والعزف ، وانا في خــلاف ذلك ، هناكم الله وأبقاكم ، وسألت ـ مدّ الله في عمرك ـ عمّا اعترض فيه فلان ، والقصة في هذا الصوت كذا وكذا ، وقصت قصتها مــع الاعرابي كما حدّثت به ، ولم تخرم حرفاً منها ، فجاء الجواب الى جعفر بن المأمون فقرأه وضحك ، ثم رمى به الى ابي عيسى ، ورمى به ابو عيسى اليّ ، وقال : اقرأه ، وكان علي بن يحيى جالساً الى جنبي ، فأراد ان يستلب الرقعة ، فمنعته ، وقمت ناحية ، فقرأتها : فأنكر ذلك ، وقال : ماهذا ؟ فورينا الأمر عنه لئلا تقع عربدة ، وكان ـ عفا الله عنا وعنهُ ـ مبغضاً لها) (٧٨) .

والثاني :

مجالسه الخاصة التي كان يعقدها في بيته ، وقد كان ابن المنجم معروفاً بذلك (قال عبيدالله بن ابي طاهر : كان ابو الحسن علي بن يحيى مشتهراً بالأدب كله مائلاً الى أهله معتنياً بأمورهم ، وكان منزله مألفاً لهم ...) (٧٩) .

لقد كانت مجالسه تزدحم برجال الأدب والشعر الذين كانوا يخوضون في المسائل الأدبية والمطارحات الشعرية ، وقد حفظت لنا مصادر ترجمته شيئاً من تلك المجالس ، ومن كان يقصدها من الأدباء والشعراء ، وما كان يدور فيها من أمور الأدب والشعر ، منها ماذكره ياقوت في معجمه حيث قال :

(وذكره (أي علي بن مهدي) المرزباني فقال : حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالا : كان ابو الحسن علي بن يحيى المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لايخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر ، وأحمد بن أبي فنن ، وأبي علي البصير ، وأبي هفان المهزمي والهداديّ وهو ابن عمه أي

---

(٧٨) الاغاني ٢١/٨٤-٨٥ ، وانظر مثل هذه المجالس ايضاً الأغاني ٥/٢٧٠ ، مروج الذهب ٤/٥٤ ، معجم الادباء ١٥/١٦٤

(٧٩) معجم الادباء ١٥/١٤٥

ابا هفان ، وابن العلاف ، وأبي الطريف ، وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن ، وعلي بن مهدي الكسروي ، وكان معلم ولده ، فأنشدني في الجماعة بيتاً ذكر انه مرّ به مفرداً فاستحسنه وأحب أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الامتاع به وهو :

ليهنك انيّ لم أَجد لك عائباً   سوى حاسدٍ والحاسدون كثيرُ

فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة ، وقال :

وأنكَ مثل الغيث أمّا وقوعــه   فَخصبٌ ، وأمّا ماؤهُ فطهورُ

فاستحسنهُ أبو الحسن وضمّه الى البيت الاول ، وكان ابو العبيس بن حمدون حاضراً فقال له : الصنعة فيهما عليك ، فطلب عوداً ، وانفرد فصنع فيه رمله المشهور) (٨٠).

ومنها ماأوردهُ المرزباني في موشحهِ حيث قال

(حدثني ابو الحسن علي بن هارون المنجم ، قال : حضر احمد بن أبي طاهر مجلس جدي ابي الحسن علي بن يحيى يوماً بعد أن أخلّ به أياماً فعاتبه ابو الحسن على انقطاعه عنه ، فقال احمد : كنت متشاغلاً باختيار شعر امرئ القيس ، فأنكر عليه ابو الحسن قوله هذا ، وقال : أما تستحي من هذا القول ؟ وأيّ مرذول في شعر امرئ القيس حتى تحتاج الى اختياره واتسع القول بينهما في ذلك الى ان قال أبي — ابو عبدالله هارون بن علي — لأبيه أبي الحسن : قد صدقت ياسيدي في وصف امرئ القيس ، ولكن فيه مايفضل بعضه بعضاً ، وإلا فقوله :

ياهند لاتنكحي بـوهـة   عليـه عقيقتـه أحسبـا

---

(٨٠) ١٥/٨٩

مرسّعة بين أرباقه به عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية أن يعطبا
ولست بخزرافة في القعود ولست بطياخة أخدبا
ولست بذي رثية إمر اذا قيد مستكرها أصحبا

أهو مما يختار ويوصف بهذه الاوصاف ، مع مافي هذه الابيات من حوشيّ الكلام وجساء الالفاظ ، وخلوها من كثير من الفائدة ، قال : فأمسك ابو الحسن) (٨١) .

ان هذه المصادر او المنابع هي التي استقى منها ابن المنجم ثقافته وهي التي نوّعتها ووسعتها ، وقد لمح بعض مترجميه هذا التنوع وهذه السعة في ثقافته فقال عنه :

(ابو الحسن ... مفتن في علوم العرب والعجم) (٨٢) .

لقد كان في مقدمة فنون ثقافته الرواية التي زوده بها غير واحد من أساتذته ورواة الأخبار الذين اتصل بهم ، والتي اشتملت أموراً كثيرة تتصل بأخبار الخلفاء والامراء والوزراء والأدباء والشعراء والمغنين والمغنيات .

ان ثقافته الأخبارية كانت تمتاز بسعتها من جهة ، وبثقتها وصحتها من جهة أخرى ، ومن أجل هذا فقد اعتمد عليها غير واحد من اصحاب المصنفات ، كما تلقفها واستند اليها الكثيرون ممن اتصلوا به وأخذوا عنه ، فكانوا يروونها وينشرونها في مجالسهم ومؤلفاتهم .

لقد عرف ابن المنجم بهذا الصنف من الثقافة مما حمل بعض مترجميه على الاشارة الى ذلك ، فقال الخطيب : (كان راوية للأخبار والأشعار) (٨٣)

(٨١) ص ٤٣-٤٤ وانظر مجلساً آخر في معجم الادباء ١٥/١٦٦
(٨٢) معجم الشعراء ١٤١ ، وفيات الاعيان ٣/٥٦
(٨٣) تاريخ بغداد ١٢/١٢١ - ١٢٢

وقال ياقوت : (وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً) (٨٤) .

وأخباره التي وصلت إلينا ذات شقين :

الاول : ما رواه عن أساتذته وشيوخه ومن اتصل بهم من الرواة .

والثاني : ما رواه عن مشاهداته ووقوفه عليه بحكم صلاته الوثيقة مع رجال العصر ، وبحكم أهميته الاجتماعية والأدبية في وقته .

لقد روى ابن المنجم أخباراً كثيرة عن أساتذته وشيوخه ومن اتصل بهم من الرواة والأدباء والشعراء وسواهم كما تقدم . وكان القسم الأكبر من تلك الأخبار مما رواه عن اسحاق الموصلي الذي كان متصلاً به ، فقد روى عنه أخباراً تتعلق بالشعراء والأدباء والخلفاء والمغنين وغيرهم ، كأبي داود الايادي (٨٥) ، وعدي بن زيد (٨٦) ، وبشر بن أبي خازم الاسدي (٨٧) ، وابن ميادة (٨٨) ، وطريح (٨٩) ، ومروان بن أبي حفصة (٩٠) ، وابن هرمة (٩١) ، والفرزدق (٩٢) ، وجرير (٩٣) ، والاخطل (٩٤) ، وعمر ابن أبي ربيعة (٩٥) ، وكثير (٩٦) ، وذي الرمة (٩٧) ، والكميت (٩٨) ، والعجاج (٩٩) ، والحسين بن مطير (١٠٠) ، وحماد عجرد (١٠١) ، وربيعة الرقي (١٠٢) ، والحجاج (١٠٣) ، والوليد بن يزيد (١٠٤) ، وموسى

(٨٤) معجم الادباء ١٥/١٤٤ .
(٨٥) الاغاني ١٦/٣٧٥ ، ٣٧٧
(٨٦) نفسه ١٦/٣٧٧
(٨٧) الموشح ٨٠
(٨٨) الاغاني ٢/٣٣١
(٨٩) نفسه ٦/١٠٠
(٩٠) نفسه ٦/٧١
(٩١) نفسه ٦/١٠٠
(٩٢) الموشح ١٩٢ ، حلية المحاضرة ٣٣
(٩٣) حلية المحاضرة ٥٧
(٩٤) الموشح ٢٠٨ ، ٢٥٥ ، ٣٥٤–٣٥٥
(٩٥) نفسه ٢٥٧
(٩٦) نفسه ٢٣٩ ، ٢٥٦
(٩٧) نفسه ٢٨١ ، ٣٠٦
(٩٨) نفسه ٣٠٦ ، ٣١٠
(٩٩) نفسه ٣٣٨
(١٠٠) الاغاني ١٦/١٧
(١٠١) نفسه : ١٤/٣٣٧ ، ٣٣٣٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، .
(١٠٢) نفسه ١٦/٢٦٣ ، ٢٦٤
(١٠٣) نفسه ٢٠/٥٣
(١٠٤) نفسه ٦/٧١

الهادي (١٠٥) ، والرشيد (١٠٦) ، وعاتكة بنت شهدة (١٠٧) ، وابراهيم الموصلي (١٠٨) وسواهم .

كما روى عن اسحاق أخباراً كثيرة أخرى تتناول جوانب مختلفة منه كدراسته وغنائه وشعره ونقده ومجالسه وصلاته مع الخلفاء والامراء وسنكتفي بالاشارة الى المصادر التي وردت فيها تلك الأخبار (١٠٩) .

وروى عن ابن المنجم عدد كبير من الأخبار التي استقاها من معارفه ومشاهداته ، كما رواها وروى غيرها عنه عدد من تلاميذه ، وفي مقدمتهم اولاده او تلاميذ اولاده .

أن الأخبار المروية عنه تتناول الشعراء والأدباء والخلفاء والوزراء والمغنين والمغنيات وغير ذلك : كالاعشى (١١٠) والنابغة الجعدي (١١١) وطرفة ابن العبد والمسيب بن علي (١١٢) ، وحسان بن ثابت (١١٣) وجرير (١١٤) والفرزدق وذي الرمة (١١٥) ، ونصيب (١١٦) ، والمؤمل ابن أميل المحاربي (١١٧) ، والحسين بن مطير (١١٨) ، ومطيع بن إياس (١١٩) ،

(١٠٥) نفسه ١٨٤/٥ (١٠٦) نفسه ٧١/١ (١٠٧) نفسه ٢٦١/٦.

(١٠٨) نفسه ١٨٤/٥ .

(١٠٩) الاغاني : ٢٧١/٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٤١ ، ٦١/٩ ، ٢٧٩ ، ٣١٠ ، ١٠٥/١٠ ، ١٢٠ ، ٣١١/١٦ ١١٤/١٧ ٣٠٤/١٨ ٨٥/٢٠ ، ٣٢٣ ، ٥٤/٢١ ديوان ابي نواس برواية الصولي ٤٣ ، ٤٥ ، المصون في الأدب ١٣ ، محاضرات الادباء ٣٩/١

(١١٠) الموشح ٦٥ (١١١) نفسه ٩١-٩٢

(١١٢) نفسه ١١٠-١١١ (١١٣) نفسه ٨٥-٨٦

(١١٤) نفسه ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، وديوان ابي نواس برواية الصولي ٦٣

(١١٥) الموشح ٢٧٤ (١١٦) نفسه ٣٠٠

(١١٧) نفسه ٤٥٤ (١١٨) الأغاني ٢٢/١٦ (١١٩) تاريخ بغداد ٢٢٥/١٣

وعلي بن الجهم(١٢٠)، والحسين بن الضحاك (١٢١) وأبي شهاب الشاعر (١٢٢) وفضل الشاعرة (١٢٣) ، والبحتري (١٢٤) ، والجاحظ (١٢٥) ، وابراهيم ابن المدبر (١٢٦) ، وأحمد بن يوسف (١٢٧) ، وعافية بن شبيب (١٢٨) ، والمأمون (١٢٩) ، والمعتصم (١٣٠) ، والواثق (١٣١) ، والمنتصر (١٣٢) ، والمستعين (١٣٣) ، والمعتمد (١٣٤) ، وطويس (١٣٥) ، وابن سريج (١٣٦) ، وابن جامع (١٣٧) ، وابراهيم الموصلي وابراهيم بن المهدي (١٣٨) ، وعريب (١٣٩) ، ومتيم (١٤٠) ، وعلية بنت المهدي (١٤١) ، ويونس الكاتب (١٤٢) ، ومالك (١٤٣) ، وعبدالله بن العباس الربيعي (١٤٤) ، واسحاق الموصلي (١٤٥) ، وابن حمدون النديم (١٤٦) ، وسليمان بن وهب (١٤٧)والحسن بن مخلد (١٤٨)، وابي الصقر اسماعيل بن بلبل (١٤٩).

(١٢٠) الأغاني ٢٣٣/١٠ ، ٢٠٠/٢٢-٢٠١
(١٢١) الأغاني ١٤٦/٧ ، ١٩٨ ، ٢٢١
(١٢٢) نفسه ١٩٨/٧-١٩٩
(١٢٣) نفسه ٣١٢/١٩
(١٢٤) نفسه ٥٢/٢١ ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ١/٣٠٣ ، ٢٥٩/٢
(١٢٥) نفسه ٢٣٦/١٧ ، ٢٢٥/١٩
(١٢٦) نفسه ١٦٢/٢٢
(١٢٧) الوافي بالوفيات ٢٨١/٨
(١٢٨) معجم الادباء ١٤٦/١٥-١٤٧
(١٢٩) الأغاني ٦٧/٢١ والوافي بالوفيات ٢٨١/٨
(١٣٠) تاريخ بغداد ٣٤٦/٣ ، نهاية الارب ١٠١/٥
(١٣١) الاغاني ٣٥٨/٥ ، معجم الادباء ١٤٦/١٥
(١٣٢) تاريخ بغداد ١٢٠/٢
(١٣٣) الهفوات النادرة ٢٦٨-٢٦٩
(١٣٤) الأغاني ١٤/١٦-١٥
(١٣٥) نفسه ٩٥/٢٢
(١٣٦) نفسه ٢٦٢/١ (الهيئة المصرية) ٣١٦/١٦ ، ١٠٧/١٧
(١٣٧) نفسه ٢٩٧/٦
(١٣٨) نفسه ٢٩٧/٦ ، ١٣٧/١٠ ، ٣٤١/١٦
(١٣٩) نفسه ٦٧/٢١ ، ٨٤ ، نهاية الارب ١٠١/٥
(١٤٠) نفسه ٣٠٠/٧ .

ان اهم من أخذ عنه من اولاده وحدّث بالأخبار التي سمعها منه هو ابو أحمد يحيى الذي تناثرت رواياته الكثيرة عن والده في مواطن مختلفة من المظان (١٥٠) .

كمـا حدث عنه طائفـة أخرى أمثال : جحظة (١٥١) ، وجعفر بن قدامة (١٥٢) ، وميمون بن هارون (١٥٣) ، وأحمد بن حبيب (١٥٤) ، وأحمد بن أبي طاهر (١٥٥) ، وعبدالله بن المعتز (١٥٦) ، وأبو الفضل العباس بن محمد بن حمدون (١٥٧) .

والجدير بالذكر ان المرزباني ذكر في موشحه خمسة أخبار أخذها عن علي بن يحيى ، قال في واحد منها : (أخبرني علي بن يحيى عن محمد بن زكريا الغلابي . .) (١٥٨) . وقال في الاربعة الأخرى (حدثني علي ابن يحيى . . .) (١٥٩) .

---

(١٤١) نفسه ١٧/٦٦ (١٤٢) نفسه ١٣/١٠١
(١٤٣) نفسه ١/٨٤ (١٤٤) نفسه ١٩/٢٣١
(١٤٥) نفسه ٥/٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٣٢٣ ، ٣٥٨
(١٤٦) الوافي بالوفيات ٦/٢١٠ (١٤٧) الأغاني ٢٣/١٤٦ ، ١٤٨
(١٤٨) التحف والهدايا ١١٦-١١٧ (١٤٩) بدائع البدائه ١٩٤
(١٥٠) يمكن الوقوف على تلك الاخبار في الأغاني الذي ذكر (٦٥) خبراً عنه ، والموشح الذي ذكر (٢٥) خبراً ، وفي أخبار أبي تمام ٢٢١ ، والفهرست ٢١٦ وحلية المحاضرة ٥٧ ، ومعجم الادباء ج (١٥) في مواطن مختلفة .
(١٥١) انظر : الأغاني في مواضع مختلفة ، والتحف والهدايا ١٠٩ ، ١١٦ ، ومعجم الادباء ١٥/١٦٤ .
(١٥٢) انظر : الأغاني في مواطن مختلفة وذيل الأمالي ٨٦ ، ومعجم الادباء ٦/٩
(١٥٣) انظر : الموشح ٤٠٨
(١٥٤) انظر : تاريخ بغداد ٢/١٢٠
(١٥٥) انظر : العقد الفريد ٢/٤٢٥ ، والموشح ٤٠٨
(١٥٦) انظر : الأغاني ٢١/٦٧
(١٥٧) انظر : حلية المحاضرة ٣٣
(١٥٨) الموشح ٢٣٨ (١٥٩) نفسه ٣٣٦ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٦٢

واذا علمنا ان ولادة المرزباني كانت في سنة ٢٩٦ او ٢٩٧ هـ فيكون من غير المعقول أن يروي عن ابن المنجم مباشرة ، ومن الملاحظ ان المرزباني يشير في كثير من الأخبار المروية عن عليّ هذا في غير هذه المواضع الخمسة الى انه استقاها من الكاتب علي بن عبدالرحمن عن يحيى بن علي عن ابيه ، وعلى هذا فهل في سند هذه الأخبار الخمسة شيء من السقوط تناول بعض رواتها ؟

ويمكن في ضوء ماتقدم من الأخبار التي رواها ابن المنجم او رويت عنه أن نقف على انواع معارفه ومداها ، فهي كما ذكرنا كانت تجمع بين العلم والأدب والتاريخ والشعر والفن ، وانها كانت عامة شاملة لاتقتصر على عصر دون آخر .

وواضح من الأخبار السابقة التي رواها عمن اتصل به من الشيوخ والرواة ان الناحية الأدبية فيها تكاد تطغى على سواها ، فالرجل قد ألمّ بالكثير من أخبار شعراء العربية في عصورها المختلفة : الجاهلية والاسلامية والاموية والعباسية ، وان هذه الاخبار كانت متنوعة ، فمنها مايتصل بأحوال الشعراء ولقاءاتهم مع بعضهم او مع آخرين من رجال عصرهم ، وماكان يدور بينهم من المطارحات الأدبية ، والمباراة الشعرية ، ومنها ماكان يوجه الى الشعراء من النقود المختلفة المتصلة بلغتهم ومعانيهم وقوافيهم وألفاظهم او ماكان يوازن بين شاعرياتهم والمفاضلة بينهم الى غير ذلك من أوجه النقد المختلفة .

ان مافي الأخبار التي رواها ابن المنجم من اسماء الشعراء في مختلف العصور الأدبية من الشهرة والكثرة مايدعو الى الاعجاب في ثقافة هذا الرجل ، ومما يزيد في قيمة ثقافته هذه ان الكثير من هذه الأخبار كان ذا قيمة أدبية ونقدية وتاريخية كبيرة من جهة ، وانها كانت أخباراً مهمة في تقويم الكثير من شاعرية الشعراء الذين وردوا فيها من جهة أخرى . أضف

الى كل ذلك ماكان عليه صاحبها من الأمانة العلمية والثقة الأخبارية .

لقد انتفع بتلك الأخبار المهمة الكثيرون في مجالي الأدب والنقد ، فجاءت مؤلفاتهم زاخرة بها ، كما كان اعتمادهم عليها كبيراً للاسباب التي ذكرت ان قيمة هذه النصوص تتضح أكثر إذا علمنا انها كانت قديمة وانها من أفواه الرواة ومن مصادر كانت ومازالت عزيزة المنال .

غير ان ثقافة ابن المنجم الأدبية لم تقتصر على سرد الأخبار او روايتها حسب ، وانما هذه الثقافة الأخبارية قد زودته بثروة أدبية كبيرة جعلته – بما رزق به من قدرة أدبية عالية – لايقف عند حدود الرواية ، وانما حاول أن يشارك في المجالات الأدبية مشاركة الأديب المتمكن ، والعالم المدقق ، والناقد الحاذق ، ففي هذه الأخبار وخاصة التي رويت عنه مايدل على هذه المشاركة وإبداء الرأي في جوانب مختلفة من المعرفة .

لقد أمدته ثقافته القديمة المتنوعة بمادة واسعة متشعبة ، وجعلت منه شخصاً مكيناً في أحكامه ، صائباً في آرائه ، متجاوزاً حدود الجمود او الانكماش عند القوالب القديمة ، ذواقة لما يستجد من الفنون الأدبية ، مقدراً لمواهب الشعراء ، مثنياً على براعاتهم الأدبية ، ومشخصاً لمواطن ابداعاتهم الشعرية .

لقد ظهر ابن المنجم في مواقفه الأخبارية والأدبية أديباً مكيناً ثقة ، ينشد الحق وينصره ، ويذود عن أصحابه بالحجة الراضحة ، والبرهان القاطع ، كما كان جريئاً في مجادلاته ، غير مُبالٍ بمحاباة أحد في الحق حتى ولو كان أحد شيوخه او أصدقائه .

لقد ظهرت ثقافة الرجل وقدرته الأدبية وبراعته النقدية في مناسبات شتى ، وقد حفظت لنا مصادر ترجمته او التي روت أخباراً عنه شيئاً من آرائه ومناقشاته وتصويباته لعدد من الشعراء والأدباء ، من ذلك ماروى من ان

اسحاق الموصلي كان عند الفضل بن الربيع ، فدخل ابن ابنه عبدالله بن العباس وهو طفل ، وكان يرق عليه لان أباه مات في حياته ، فأجلسهُ في حجره وضمّهُ اليه ودمعت عيناه فأنشأ اسحاق يقول . . . . .

غير ان علي بن يحيى ذكر ان الذي كان عنده اسحاق والذي قال فيه أبياته هو الفضل بن يحيى وليس ابن الربيع (١٦٠) .

ومنه ماذكره الآمدي في الموازنة حول بيت البحتري :

عليّ نحت القوافي من مقاطعها وما عليَّ لهم أنْ تفهم البقر

من ان علي بن المنجم ذكر ان البيت للمجشم الراسبي (١٦١) .

ومنه ماذكره ابو الفرج في تصويب ابن المنجم لخطأ وقع فيه الجاحظ ، فقال : (أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال :

حدثني أبي ، قال : قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين : انما يستحسن من النساء اللحن في الكلام ، واستشهدت ببيتي مالك بن اسماء — يعني هذين البيتين — قال : هو كذاك ، فقال : أما سمعت بخبر هند ابنة اسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيتي أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة ، فهي تلحن بالكلام الى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه ، وتوري عنه ، وتفهمه من أرادت بالتعريض ، كما قال الله عز وجل : — (ولتعرفنهم في لحن القول) ولم يرد الخطأ في الكلام ، والخطأ لايستحسن من أحد ، فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إليّ هذا الخبر أولاً لما قلت ماتقدم ، فقلت له : فأصلحه ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب في

(١٦٠) الأغاني ٣٢٣/٥

(١٦١) انظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ٣٠٣/١ ، ٢٥٩/٢

الآفاق ، وهذا لايصلح ، او كلاماً نحو ماذكرنا ، فأن أبا احمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه) (١٦٢) .

ومنه ماروا‌ه ابو الفرج ايضاً من موقف ابن المنجم من استاذه اسحاق الموصلي الذي تجلى في اتجاهين : الاول ، موقفه من شعره ، والثاني موقفه من نصرته للاوائل ، وتعصبه على المحدثين .

فقد روى عن عليّ بن يحيى ان اسحاق أنشد الاصمعي بيتيه :

هـل الى نظـرة إليك سـبيل ... يرومنها الصدى ويشفى الغليل
إنّ ماقلّ منك يكثر عـندي ... وكـثيرٌ ممّـا تحبُّ القلـيل

فأعجب بهما جداً حتى إذا علم انهما لاسحاق أظهر خلاف ذلك . ثم عقب ابن المنجم على البيتين السابقين بقوله : ان اسحاق كان يعجب بهذا المعنى ويكرره في شعره ، ويرى انه ماسبق اليه ، غير ان ابن المنجم أعلمَ اسحاق بأنه مسبوق بهذا المعنى واستشهد على ذلك بأبيات لأحد الاعراب ، مما حمل اسحاق على أن يحلف بعدم سماعه ذلك قط (١٦٣) .

وروى عن علي بن يحيى قوله : (كان اسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر ان كلامه مختلف لايشبه بعضه بعضاً ، فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول :

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً ... صديقك لم تلـق الذي لاتعاتبه
فعش واحداً او صل أخاك فانه ... مقـارف ذنب مرّة ومجانبـه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت ، وأيّ الناس تصفو مشاربه

(١٦٢) الأغاني ٢٣٦/١٧ والبيتان هما :

وحـديث ألـذه هـوما ... ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحياناً ... وأحلى الحديث ماكان لحنا

وانظر : معجم الادباء ٨٥/١٦ حيث أورد فيه توجيه ابي حيان لكلام الجاحظ وتأييده .

(١٦٣) الأغاني ٣١٧/٥-٣١٨

قال علي بن يحيى : وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولا حشو فيه ، فقال لي اسحاق :

أخبرني ابو عبيدة معمر بن المثنى ان شبيل بن عزرة الضبعي أنشد هذه الابيات للمتلمس ، وكان عالماً بشعره لانهما جميعاً من بني ضبيعة ، فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار : ان شبيلاً أخبره انها للمتلمس ، فقال : كذب والله شبيل هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً ، وقد صدق بشار قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة وقال فيها (خمسة أبيات) ، ثم قلت لاسحاق أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة :

فلما تولى الحرّ واعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبه

(ثلاثة ابيات)

قال : وهذا من احسن ماوصف به الحمار والأتن ، أفهذا للمتلمس أيضاً ، قال : لا ، فقلت : أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشار لسرقة تلك الابيات خاصة ، وكيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل ، وقد روى الرواة شعره ، وعلم بشار ان ذلك لا يخفى ، ولم يعثر على بشار انه سرق شعراً قط جاهلياً ولا اسلامياً ، وأخرى فأن شعر المتلمس يعرف في بعض شعر بشار ، فلم يردد ذلك بشيء (١٦٤)

وروى عن عليّ ايضاً انه كان يجاذب اسحاق في أبي نواس وكان لايرضاه، ولايقول بتقديمه ولا استحسان شعره ، ويقول هو كثير الخطأ ، وليس على طريق الشعراء ، فأنشده مرّة قوله :

وخيمة ناطور برأس منيفة تهم يدا من رامها بزليل

(١٦٤) نفسه ١٩٦/٣-١٩٨ .

فما رآه هشٌ لذلك ، فقال والله لو كانت لبعض الاعراب المتقدمين لكانت في اعيان الشعر عندك (١٦٥) .

ومنه ان بعضهم كان يروي كلمة (بقاقا) (نفاقاً) في قول الخريمي :

ياعليّ بن هيثم ياسماقا　　قد ملأت الدنيا علينا بقاقا

فما أنشد ذلك علي بن يحيى غضب وقال (صحفت) (١٦٦) .

ومنه ماروى عن ابن المنجم قوله : (من الشعر المرزوق من المغنين خاصة شعر العباس بن الاحنف وخاصة قوله :

نام من أهدى ليَ الأرقا　　مستريحاً ساءني قلقاً

فانه غنى فيه جماعة من المغنين ، منهم ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وغيرهما.. وكان يستحسن هذا الشعر . . .) (١٦٧) .

ومعلوم ان لقب هذه الاسرة جاء من تعاطيها التنيجم ، وكان عليّ هذا معروفاً بعلمه واتقانه له ، وفي اخباره خبران يشيران الى هذا الامر :

الاول جاء في اثناء حديث طويل عن أحد مجالس المتوكل الذي كان ابن المنجم احد حضوره وبعد ان جرى في ذلك المجلس من أمور اللهو والقصف والغناء سأل المتوكل عن وقت الصلاة (فأخرج عليّ اسطرلاباً من فضة في خفه ، فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت) (١٦٨) .

وجاء الثاني في الخبر الذي روي عن البلاذري وفحواه ان المتوكل أمر

---

(١٦٥) الموشح ٤٠٨-٤٠٩ وانظر معجم الادباء ١٦٤/١٥ حيث ذكر ياقوت مجاذبة ابن المنجم الواثق في شعر لحسان وأبي نواس الخمري ، وان ابن المنجم كان يميل الى أبي نواس ويفضله وينعته بأنه (أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب) .

(١٦٦) الورقة ١١٢-١١٣

(١٦٧) الأغاني ٣٦٦/٨ وهناك أخبار أخرى في مجالات أخرى يمكن الوقوف عليها في : الاغاني ٩٣/٩ ، الفهرست ١٤٢ ، الموشح ٢٢٦

(١٦٨) انظر : معجم الادباء ١٦٢/١٥ .

أحد الكتاب أن يكتب في أمر تأخير الخراج حتى يقع في الخامس من حزيران فقام الرجل بالأمر ولما انتهى منه أُعجب به الناس، فانبرى البلاذري الى تخطئة مافي الكتاب ولما سُئل عن ذلك قال : ان هذا الخطأ (لايعرفه الا علي بن يحيى المنجم ومحمد بن موسى) ؛ لان الكاتب أرخ الشهر الرومي بالليالي ، وأيام الروم قبل لياليها ، فهي لاتؤرخ بالليالي ، وانما يؤرخ بالليالي الاشهر العربية ؛ لان لياليها قبل أيامها بسبب الاهلة (١٦٩) .

وكانت ثقافته الغنائية واسعة ، وكان لاستاذه اسحاق فضل كبير في هذا المجال ، وقد أشار غير واحد من مترجميه الى هذا الامر ، فقال ابن النديم : (قد أخذ عن اسحاق وشاهده وله صنعة) (١٧٠) . ان هذه الثقافة يمكن تلمسها في جوانب مختلفة من نشاطات ابن المنجم :

منها : رواياته لأخبار العديد من المغنين والمغنيات كما تقدم ، والكثير من الاصوات المشهورة في ذلك العصر (١٧١) .

ومنها : اسهامه العملي في هذا الفن ، فقد كان يغني فيحسن في المناسبات التي كان يحضرها (١٧٢) .

ومنها : آراؤه ومناقشاته وتصويباته للالحان او الاصوات الغنائية التي كانت تدور في مجالسه او مجالس سواه ، فقد روى عنه انه قال لاسحاق حول لحن له وللواثق : (أيهما أجود الآن لحناك فيه ، او لحنه ، فقال : لحني أجود قسمة وأكثر عملاً ، ولحنه أظرف . . .

(١٦٩) انظر : معجم الادباء ٥/٩٥ ، والوافي بالوفيات ٨/٢٤٠

(١٧٠) الفهرست ٢٢١ ، وانظر : تاريخ بغداد ١٢/١٢١ ، وفيات الاعيان ٣/٥٦

(١٧١) انظر : الأغاني : ٧/١٤٥ ، ١٣/١٠١ ، ١٦/٣١٦ ، ٣٤١ ، ١٧/١٠٧ ، ٢١/٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٢/٩٥ .

(١٧٢) انظر : معجم الادباء ١٥/١٦٢ ، ١٦٣

قال ابو الحسن : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر اسحاق) (١٧٣)

ومنها قوله في اللحنين المتعاصرين المختلفين جودة : (وقد صدق محمد ابن الحسين ، لانه قلّما غنّي في صوت واحد لحنان فسقط خيرهما) (١٧٤) .

ومنها : اسهامه في صنعة الاصوات الغنائية (١٧٥) ، ومنها : جمعه أصوات بعض المغنيات المشهورات في عصره (١٧٦) .

هو والاعتزال :

لقد اورد ابو الفرج قصيدة لعلي بن الجهم في أغانيه كتب بها الى أخيه من حبس المتوكل يشكو فيها ماآل اليه أمره ، ويغمز فيها بعض خصومه الذين عملوا على إبعاده وتغيير الخليفة عليه ، منها قوله :

تضافرت الروافض والنصارى   وأهل الاعتزال على هجائي

وعلق ابو الفرج على قول الشاعر (وأهل الاعتزال) بقوله : (يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان باغه عنه ذكر له) (١٧٧) . ويبدو ان بعض المحدثين قد أخذ بهذه الاشارة التفسيرية التي جاء بها ابو الفرج ، وحاول أن يؤكدها في حديثه عن مجالس الفتح بن خاقان في قوله :

(وهكذا نرى الى أيّ حد كان الفتح بن خاقان صاحب مجلس المتوكل يمثل الترف العقلي في هذا العصر ، ويبسط جناحيه على الأدباء بصفة خاصة . وعندنا انه كان من أكبر الاسباب في تلوين مجلس المتوكل بلون أدبي خالص يتميز به ، كما كان اللون الكلامي هو الغالب على مجلس المأمون ومن بعده ،

---

(١٧٣) انظر : الأغاني ٢٨٠/٩ وانظر المصدر نفسه ٢٩٠/٤ ، ١٦٩/٦ ، ٦٦/١٧ ، ٨٤/٢١
(١٧٤) الأغاني ٢٦١/١
(١٧٥) نفسه ٣٦٧/٨
(١٧٦) نفسه ١١٩/٤ ، نهاية الارب ٩٦/٥
(١٧٧) الاغاني ٢٠٧/١٠

وبذلك شملت سماحة ذلك المجلس الاوان المختلفة من المذاهب والمقالات ، فكان من اصحابه من يعتقد مذهب المعتزلة كعلي بن يحيى المنجم) (١٧٨) .

فهل كان ابن المنجم حقاً ممن اعتنقوا هذا المذهب ، وتثقفوا به ؟ أكبر الظن انه لم يكن كذلك ، وهناك أكثر من دليل على هذا .

١- ان ابن المنجم كان من أقرب المقربين الى المتوكل ومن جاء بعده ، وكل أولئك لم يكونوا ممن يعتنقون هذا المذهب او يشجعونه .

٢- لقد عرف عن المتوكل مقاومته للاعتزال وإحياء مذهب السُنة (١٧٩) .

٣- ليس في أخبار ابن المنجم خبر واحد يشير الى اعتناقه لمذهب الاعتزال .

٤- ذكر ابن الجهم في هذه القصيدة اسماء الذين عرّض بهم صراحة ولم يكن عن أحدهم او يشر اليه من طرف خفيّ .

٥- تعليق أبي الفرج لايقوم على سند ، فهو ليس مسنداً ولا حكاية مروية عن أحد ، وانما هو تفسير عارض ليس غير .

٦- ان العلاقة بين عليّ وابن الجهم لم تكن سيئة ، فليس في أخبارهما ما يدل على شيء من هذا ، بل في أخبارهما مايدل على العكس تماماً ، فقد ذكر ابو الفرج ان ابن الجهم سأل ابن المنجم ان يوصل قصيدة له من حبسه الى المتوكل ، فأوصلها هذا ، حتى كاد الخليفة يعفو عنه (١٨٠) .

صفاته :

لم يكن ابن المنجم من ذوي الوسامة والصباحة ، فقد كان صغير الخلقة ، دقيق الوجه ، صغير العينين ، وقد لمح فيه البحتري هذه الصفات فقال يهجوه بأمر المتوكل :

(١٧٨) الجاحظ ، حياته وآثاره ٣٥٥
(١٧٩) انظر : البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٥٨
(١٨٠) انظر : الأغاني ٢٣٣/١٠

كــل أخــلاق عــليّ نجتــويها ، ونــذمــه
هــو قرد حــين يبــدو غــير انــا لانكمــه
مقلتــاه وحــجاجــاه وشدقــاه وخصمه (١٨١)

ولكنه اذا عدم صباحة المحيا ووسامته ، فقد كان يتحلى بصفات حميدة جليلة أخرى قلّ أن نجد لها مثيلاً في سواه من أنداده ، فقد كان كريماً ذا أريحية ومروءة ، ألمعياً حصيف الرأي ، قويّ الحجة ، مثقفاً ثقافة واسعة ، لبقاً متحدثاً ، سليم النية ، مأمون الطوية ، أبياً عفيفاً ، نزيهاً عطوفاً ، حذراً صدوقاً ، موثّقاً أميناً .

لقد وقفنا على صفاته هذه من خلال أخباره الكثيرة مع أبناء العصر ومدائح الشعراء له .

فقد كان الرجل معروفاً بميله الى العلم وإشاعته بين الناس ، وسبق في الحديث عن مكتبته ما كان يُعده لطلبة العلم من وسائل الإقامة والمعيشة في بيته للتزود من المعرفة والعلوم .

كما تشير أخباره الى حفاوته بالأدباء والشعراء واحتضانه إياهم ، وتيسير أمورهم ، وتقديم كل عون لهم . جاء في معجم الأدباء عن عبيدالله بن أبي طاهر أحد المختلفين إلى مجالس ابن المنجم : (كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً بالأدب كله مائلاً إلى أهاه معتنياً بأمورهم ، وكان منزله مألفاً لهم ، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والامراء ، ويستخرج لهم منهم الصلات ، وإن جرى على أحد منهم حرمان وصله من ماله .

وكان يبلغ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم انه كان ربّما أهدى إلى الخلفاء والامراء عنهم الهدايا الظريفة المليحة ليستخرج لهم بذلك مايحبون (١٨٢)

---

(١٨١) ديوان البحتري ٢١٠٦/٤

(١٨٢) معجم الادباء ١٤٥/١٥

إنّ حدبه على رجال الأدب ورعايته لهم وعنايته بهم حملت الكثيرين منهم على الإشادة بفضله والثناء عليه ، وتعداد مناقبه وصفاته التي عرف بها ، فقال البحتري الذي كان لابن المنجم الفضل في تقديمه إلى الفتح بن خاقان فيه :

عليّ بن يحيى انه انتسب الندى ... إلى عمّه - عمّ الكرام - وخاله
غريب السجايا ماتزال عقولنا ... مدلهةً في خلّة من خلاله
أبا حسن أنشأت في أفق الندى ... لنا كرماً آمالنا في ظلاله (١٨٣)

وقال ابن الرومي وقد أشار إلى كثير مما كان يتحلى به من الخلال الكريمة :

عوضتني أخا المعالي عليّاً ... عِوَضٌ فيه سلوة للحريب
حُرٌّ هيّ من الملوك أديب ... لم يزل ملجأ لكلّ أديب
يستغيث الملهوف منه بمدعو ... - لدى كلّ كربة - مستجيب
أريحي له - اذا جمد الكز ... ز بنانٌ تذوب للمستذيب
يتلقّى المُدفّعين عن الأبـ ... ـواب بالبشر منه والترحيب
حكم الله بالعلا لعلي ... وبحقّ النجيب ، وابن النجيب
والذي رأيه لأسلحة الأبـ ... ـطال مثل الصقال والتذريب
مِدره الدين والخلافة ذو النـ ... ـصح عن الحوزتين والتذبيب
فلّ بالحجّة الخصوم وبالكيـ ... ـد زحوف العدا ذوي التأليب
رتبته الملوك مرتبة المد ... ره لامخطئين في الترتيب
لوذعي له فؤادٌ ذكيٌّ ... ماله في ذكائه من ضريب
ألمعيّ يرى بأول ظنّ ... آخر الأمر من وراء المغيب (١٨٤)

وقال أبو هفان :

وقائل إذ رأى عزمي على الطلب ... أتهت أم نلت ماترجو من الأدب

(١٨٣) ديوان البحتري ١٦٢٢/٣
(١٨٤) ديوان ابن الرومي ١٤٠/١

انّ ابن يحيى علياً قـد تكفل بي
وصان عرضي كصون الدين والحسب (١٨٥)

وقال ابو علي البصير فيه من رسالة له :

(وأنا أحد من أسكنته ظلك ، وأعلقته حبائلك ، وحبوته بلطيف برك وخاص عناياتك ، فانتصفت بك من الزمان ، واستغنيت بك عن الإخوان ، فأنا لاأرغب إلاّ إليك ، ولا أعتمد إلاّ عليك ، ولا استنجح طاباً إلاّ بك ، والله أسأل البقاء لك ، ودوام عزك وعزنا بك ، وحراسة النعمة عندك وعندنا فيك) (١٨٦) .

وقال فيه احمد بن أبي طاهر من رسالة له :

(وكل معروف وان كثر فأكثر منه فضلك ، وكل صنيعة وان كبرت فأكبر منها الامل فيك ، وكل شكر بلغ غاية محمودة فأقل كرمك يستغرقه ، وكبيره يقصر عن تطولك به ، فُتَّ والله المادح المطنب ، وقصرّ عنك لسان الشاكر المعترف ، والجامد المجتهد ، وأنفد فضلك المحاسن ، واستوفى أقلّك جميع الفضائل ، وكلّ دونك لسان الخطيب والشاعر ، وتزينت بك الأيام ، وازدحمت عليك الآمال ، وامتثل مكارمك الكرام ، وقصّر عنك الجياد والاجواد ، فالى الذي زينّنا بإخائك نرغب في بقائك ، ونسأله ان يهبك لفاقتنا اليك ، واتكالنا بعده عليك) (١٨٧) .

ومرّ في صلته بالمتوكل اعتذاره من قبول دعوة الخليفة على ادخاله معه في الحرم وحجته في هذا الاعتذار ان دلت على شيء فانما تدل على حذره وبعد نظره مما قد يقع له في مثل هذا الامر .

(١٨٥) بدائع البدائه ٢٢٢ وانظر نماذج آخرى في الصفحة نفسها وفي خزانة الأدب ٥/٢٥٥ لشعراء آخرين في مدحه .

(١٨٦) جمهرة رسائل العرب ٤/١٥٧

(١٨٧) المصدر نفسه ٤/٣٤٣-٣٤٤ ، وانظر رسالة أخرى في المصدر نفسه في الثناء عليه . والجدير بالذكر ان ابن النديم يشير في ترجمة ابن ابي طاهر الى ان من كتبه (كتاب رسالته الى علي بن يحيى) ص ١٤٦ .

وفي أخباره ايضاً ما يدل على تأبيه قبول ما يوجه إليه من نقد او تعريض حتى ولو كان من وليّ نعمته وفي معرض الفكاهة والتندر ، ولعل موقفه من المتوكل في قصته مع أحد الادباء الذين وفدوا على ابن المنجم فأضافه وأكرمه ورعاه ثم تنكر له هذا مما حمل ابن المنجم على النيل منه في حضرة المتوكل ، ثم حدث أن أهدى هذا الرجل هدية الى الخليفة استحسنها وأخذ يطريها ويعرض بعليّ وبنيله من الرجل ، مما أثار حفيظه ابن المنجم فانبرى يدرأ عن نفسه ما هوجم به ، وأبان ان هذه الهدية كانت من هداياه لذلك الرجل الامر الذي أدى الى انكسار الخليفة وخجله (١٨٨) .

وفي اخباره كذلك ما يشير الى ثقة الآخرين به ، ولعل وساطته بين ابراهيم الصولي وأحد الكتاب الذي عزله ابراهيم عن ضياع كانت في يده ، وطالبه بمال وألحّ عليه ، فهدّده الكاتب بايصال شعر ابراهيم في عليّ بن موسى الرضا الى المتوكل ان لم يكف عن المطالبة — دليل على هذه الثقة العالية به (١٨٩) .

ولا شك في ان ابن المنجم قد أعدّ نفسه إعداداً جيداً ليكون النموذج الامثل للنديم الذي ينبغي ان يلمّ بصفات معينة أشار إليها أبان اللاحقي في قصيدته المعروفة (١٩٠) . ومن أجل هذا فقد نجح نجاحاً منقطع النظير في (مهنة المنادمة) ، فأقبل عليه الخلفاء ومالوا اليه فكان (مكيناً عندهم ، حظياً لديهم ، يجلس بين يدي أسرّتهم ، ويفضون اليه بأسرارهم ويأمنونه على

(١٨٨) انظر : معجم الادباء ١٤/١٤٦–١٥١

(١٨٨) انظر : معجم الادباء ١٤/١٤٦–١٥١

(١٨٩) انظر : أمالي المرتضى ١/٤٨٥

(١٩٠) انظر : أخبار الشعراء المحدثين للصولي ص ٤ والقصيدة تبدأ بقوله :

أنا من بغية الأمير وكنز … من كنوز الأمير ذو أرباح

أخبارهم ، ولم يزل عندهم في المنزلة العلية) (١٩١) . ومرّ بنا احتفاء الخلفاء به ورغبتهم في إدنائه منهم منذ عهد المتوكل الى اواخر عهد المعتمد ، فكانوا لا يصبرون عنه ، ولا يجدون من يسدّ مسدّه ، بل نجد بعضهم كالمستعين في أيام احتدام الصراع بينه وبين المعتز يعتمد عليه كثيراً حتى في طعامه الذي يتناوله .

ولعل خيرَ ما يستقطب صفاته التي عرف بها والتي أحلته المكانة المرموقة في مجال (مهنة المنادمة) لدى الخلفاء ، والاكبار في مجال الاحاطة والبراعة في ضروب العلوم والفنون لدى مجالسيه من الادباء الخبرُ الطويل الذي روي عن جحظة والمتضمن اعجاب أحدهم ممن كان يجالس المتوكل بقدرة ابن المنجم وبراعته وتفننه في احد المجالس على ما كان عليه من دمامة الصورة كما تقدم — مما حمل ذلك الرجل على القول في اعقاب ما رآه من براعته وتفننه : (حتى صار كالجبل ، وصار مقابح وجهه محاسن ، فقلت : لأمر ما قدّمت ، فيك الف خصلة : طبيب ومضحاك ، وأديب وجليس ، وحذقُ طبّاخ ، وتصرّف مغنّ ، وفكر منجم ، وفطنة شاعر ، ما تركت شيئاً مما يحتاج اليه الملوك إلاّ ملكته) . (٩٢)

وقد أحس ابن المنجم بما كان ينطوي عليه من الصفات الحميدة مما حمله على وصف نفسه بقوله :

عليّ بن يحيى جامع لمحاسنٍ ... من العلم مشغوف بكسب المحامد
فلو قيل هاتوا فيكم اليوم مثله ... اعزّ عليهم أن يجيئوا بواحد(١٩٣)

عمله :

---

(١٩١) وفيات الاعيان ٥٦/٣

(١٩٢) معجم الادباء ١٦٠/١٥–١٦٣

(١٩٣) معجم الشعراء ١٤٢ وانظر معجم الادباء ١٥٥/١٥

قلنا اننا لا نعرف كثيراً عن صلته بالمأمون والمعتصم ، ولا نعرف ماذا كان يعمل ، او ماذا أسند اليه من أعمال ، وان كنا نعلم عمل والده لدى الخليفة الاول الذي جعله على رأس مرصده في الشماسية (١٩٤)

ومرّ ايضاً انه كان لابن المنجم قصر عظيم في احدى ضواحي بغداد يشتمل على مكتبـة ضخمة ، وانهـا كانت مقصد العلماء والادباء ، وان صاحبها كان يتعهد من يؤمها بالعناية والرعاية والبذل عليهم من ماله الخاص ، وهذا دليل على انه كان مكفيّ المؤونة ، حسن الحال بحيث تيسر له أن يوفر لقاصديه ما يكفيهم من طعام ومسكن، وأكبر الظن انه ورث عن أبيه كل هذا.

وتقـدم ايضاً انه كان وثيقة على صلة بمحمد ابن اسحاق المصعبي الذي كان يتولى عملاً كبيراً في عهد المتوكل ، ولكننا لا نعرف ايضاً نوع العمل الذي كان قد عهد الى ابن المنجم القيام به ؟

ويتصل بعد وفاة المصعبي بالفتح بن خاقان وزير المتوكل ، ويطالب اليه هذا القيام بعمل مكتبة له أصبحت فيما بعد من المكتبات المشهورة ، ولا ولا يستبعد أن يستعين به الفتح في ادارتها والإشراف عليها ، فيتخذه أميناً لها .

ويتصل عن طريق الفتح بالمتوكل الذي أعجب به وبصفاته وبأدبه فيكون من أقرب المقربين اليه ، ويفتح له صدره ، ويأنس به ويثق بخدمته ويعجب بمروءته فيجعله نديمه الخاص ، ويسبغ عليه من هباته ومنحه الشيء الكثير . ويبدو ان عمله في عهد المتوكل كان مقصوراً على (الندامة) حسب ، فليس في أخباره ما يشير الى تكليفه القيام بعمل معين .

ويتضح نوع العمل الذي عهد اليه منذ استخلاف المنتصر الذي (قلده اعمال الحضرة كلها العمارات والمستغلات والمرمّات والحظائر وكل ما على شاطىء دجلة الى البطيحة من القرى) .

---

(١٩٤) انظر : الفهرست ٢١١ ومعجم الشعراء ١٤١

ـ كذلك ـ تمثل نوعاً آخر من الخروج اللغوي ، ولئن كان النوع الأول يتمثل في كون الخروج جماعياً ، يتم تحقيقه على لسان مجموعة من العرب المشهود لهم بفصاحة لسانهم في غير هذا العيب ـ ان صح لنا التعبير .

ان العيب الذي يحصل في عضو من أعضاء الجهاز النطقي ، هو نقص فسيولوجي يحدث في الأفراد من المجموعة ، ولا يمثل ظاهرة لغوية ، يمكن درجها تحت موضوع (اللهجة القبلية) ، فقد يكون ذلك النقص في اللسان ، فيعتور الاصوات اللسانية نوع من التلكؤ ، أو الضعف في اخراجها [٤] ، وقد يكون في الأسنان ، كأن تكون داخلة الى باطن الفم أو خارجة عنه ، أو قليلة ، فلا تقوم بواجبها الصحيح عند اخراج الأصوات الاسنانية ، مما يؤدي الى اللثغ أو التلتلة ، أو الثأثأة .. او ما أشبه ذلك من عيوب اللسان .

وأسباب عيوب اللسان كثيرة لا حصر لها ، يرجع بعضها الى عيوب سمعية ، أو عيوب بصرية ، أو أخرى تؤثر على نمو الجهاز الصوتي بشكل صحيح ، فلا يستطيع أن يقوم بدوره المطلوب ، فتطفح انحرافاته وأخطاؤه على المتكلم ، فترصد فيه عيوب النطق .

ولقد أخذ اللغويون على اللسان عيوباً كثيرة ، وعني بها الدارسون قديماً ، كالجاحظ (١٥٠ هـ ـ ٢٥٥ هـ) ، فعدد منها أنواعاً في (بيانه) ، وذلك كاللكن واللثغ ، والرطانة ، والحبسة ، والعُقْدة ، والعِيّ والحَصَر ، وغيرها . وهي تمثل عيوباً لسانية فردية ، تختلف من شخص لآخر ، فالعيي ليس كالألكن ، والألثغ ليس كذي الحبسة ... وهكذا .

ولقد حاولنا في هذا البحث أن نُلمّ بجملة من هذه اللهجات المذمومة ،

---

(٤) انظر : أدب الكاتب : ابن قتيبة ، ١٤٦ ، باب « معرفة ما في خلق الانسان من عيوب الخلق » كالفقم والضزز والضجم ، والفأفأة .. الخ .

والعيوب اللسانية ــ ما استطعنا ــ ، وقرَنّا بينهما ؛ لكون النوعين تمثلان صورتين من صور الخروج على اللسان العربي المبين ، غير أننا يمكن أن نلاحظ أن ثمة بوناً بين الخروجين ، فلقد سبقت الاشارة الى أن هذه العيوب خاصة بالأفراد ، وتلك الخروجات جماعية ، تتكلم بها قبيلة من قبائل العرب ، ولذلك كانت هذه الأخيرة لهجة معترفاً بها في قانون اللغات ، كما ان الاولى تعد (مرضاً) أو (نقصاً) في جهاز النطق ، في حين تمثل اللهجة مظهراً لغوياً متفقا عليه بين أفراد القبيلة الواحدة ، اذ هو احدى الصفات المميزة لهذه المجموعة من المتكلمين باللغة ، فاذا سمعت أعرابياً يكشكش في لهجته عرفت أنه من بكر ، وأن المجموعة التي ينتمي اليها ، تفهمه ويفهمها ، وترطن برطانته المعتادة . ولكنك حين تسمع لثغةً في لسان أعرابي ، أو متكلم ، تحكم عليه بالعيب والفحش ، ومن هذا المعنى ، كان واصل بن عطاء (٥) يعد في عرف الجاحظ وغيره : « فاحش اللثغ » . وفي محمد بن شبيب يقول الجاحظ : « وكانت لثغة محمد بن شبيب التكلم بالغين ، فاذا حمل على نفسه ، وقوم لسانه أخرج الراء ، وقد ذكره أبو الطروق الضبي ، فقال :

عليمٌ بإبدالِ الحروفِ وقامعٌ
كُكلِ خطيبٍ يَغْلِبُ الحَقَّ باطِلُهْ (٦)

فالعيب ــ هنا ــ لازم لا يكاد يفلت منه المصاب به ، في حين يستطيع الحميري أن يتكلم بالفصيح من لغة العرب ، اذا ما أراد ترك لهجته الخاصة ، كما يستطيع البكري ، أن ينفي عن لسانه الكسكسة التي تشذ بها لهجته الخاصة في داخل القبيلة . ولولا ذلك لما استطاع الطائي ، والكندي ،

(٥) ولد سنة : ٨٠ هـ ، وتوفي سنة : ١٨١ هـ . لسان الميزان ٦/٢١٤ .
(٦) البيان والتبيين ١/١٥ .

والتغلبي ، والبكري ، والضبي .. وغيرهم من العرب أن ينظموا شعرهم بلهجة أهل الحجاز ، ويعرضوا أشعارهم على نقادهم ومحكميهم في مواسم الأدب المعروفة .

فهذا هو الفرق بين ما يعد عيباً لسانياً ، وما يعد خروجاً على قانون اللغة العام .

ونود ــ هنا ــ أن نشير الى أن هذا البحث سيظل مقصوراً على ما تقدم من النوعين اللغويين في اللسان العربي ، ولم نَرَ حاجةً الى ضم صفات اللسان الأخرى ، مما لم يكن عيباً ، أو خروجاً لهجيا ، كالذلاقة ، واللسن ، والذرابة، والفصاحة ، والسلق والحذاف ، والدر ، والصقع ، وغيرها مما تميز بها اللسان الطليق المصلاق ، لأن هذه الصفات محمودة في المنطق العربي الفصيح [٧] .

ورأيت أن أضع مصطلحات اللهجات ، والعيوب مرتبة على الهجاء ولم أراع في ذلك أصل المادة وجذرها، بل نظرت الى المصطلح، مَعْنياً بحرفه الاول فالثاني ...

فالتشديق ــ مثلا ــ تجده في حرف (التاء) ، والاستنطاء في (الهمزة) والغنة في (الغين) .. الخ وبلا تمييز بين العيب واللهجة ، ليمكن ذلك القارىء الوقوف على كل مفردة في موضعها من الترتيب انشاء الله .

١ ــ الاستنطاء :

وهي احدى اللهجات المذمومة ــ في عرف اللغويين ــ وذلك أن نوعاً من الابدال الغريب قد حصل بين صوتين غير متقاربين في المخرج ، ولا مشتركين

(٧) أنظر : فقه اللغة : الثعالبي ١٧١ ــ ١٧٤ .

في الصفة • فقد أبدلت العين ــ وهو صوت حلقي ــ نوناً ــ وهو صوت أنفي خيشومي ذلقي ــ •

وسبب هذا الابدال كما يفسره اللغويون أن العين جاءت ساكنة فجاورت الطاء ، فقلبت نوناً ، فقالوا : أنطى في : أعطى • فأخذ من ذلك مصطلح : « الاستنطاء » على هذا الابدال في لهجة بعض العرب ؛ لأن الاصل فيه : « الاستعطاء » فأبدلت النون بالعين •

وتنسب هذه اللهجة الى اكثر من قبيلة ، كسعد بن بكر ، وهذيل وقيس، وأنمار [8] •

والواقع أننا لم نر مثالا لهذه اللهجة غير ما ذكرته كتب اللغة ، ولو حاولنا القياس عليها ، لقلنا في مثل : أعطاف : أنطاف ، وفي : أعطَرَ : أنْطَرَ ، غير أن شيئاً من هذا لم يرد على لسان أحد من المتقدمين ، ولم يذكره أحد من أصحاب المعجمات ، بل حام كل حديثهم حول المثال المذكور ، وقالوا : انها لغة، وأكدوا ورودها في قراءة : (انّا أنْطيناكَ الكوثر) ، وأنشد ثعلب :

من المُنْطِيات الموكب المعْج بعدما
يُرى في فروع المقلتَين ثُقوبُ

وفي الحديث : وأن مال الله مسؤول ومُنْطي ، أي : مُعْطى • وروى الشعبي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لرجل : أنْطِهِ كذا وكذا•• أي : أعطِهِ •

ونقل ابن منظور : أن الانطاء : الاعطاء ، بلغه أهل اليمن •• ونقل فيها ــ أيضاً ــ أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم [9] ••

(٨) المزهر ١/١٠٩ (ط : بولاق) •
(٩) اللسان ٢٠/٢٠٦ (نطا) •

٢ ـ الأسـهاب :

هو بسط الكلام مع قلة الفائدة ، لذا عدّ العسكري : الاسهاب عيّاً في اللسان [١٠] .

ويقال للمرء : مُسهِب ، ومُسهَب ـ بفتح الهاء وكسرها ـ فيقال : رجل مسهِب" ، اذا أكثر الكلام ، وأطاله من غير طائل فيه ، وهو من هـذا الجانب يختلف عن (الاطناب) ، فالاطناب : اطالة الكلام لغاية بلاغية ، فهو ـ اذن ـ نوع من أنواع بلاغة القول ؛ والاسهاب بعيد عن هذا المعنى ، لذا يعد عيًّا وعيبا من عيوب الكلام ، قال النابغة الذبياني [١١] :

.... غير عيّ ولا مُسْهِبِ

ولقد ميز بعض اللغويين بين : « المسهِب » بكسر الهاء ، و «المسهَب » بفتحها ، فعدوا « المسهَب » بفتحها ، المكثر الكلام في خطأ .

وعدّوا المسهِب ـ بكسر الهاء ـ : المكـثر الـكلام في صـواب . فالمسهَب ـ اذن ـ أي : بالفتح ، يدخل تحت ما نحن بصدده من عيـوب اللسان . وأضاف ابن قتيبة في كتابه : «الجراثيم» [١٢] : ان «المسهب اذا أكثر الكلام وكان من خرف ـ سمي المُفند » . ولكثرة الكلام في العربية مفردات كثيرة ، ولكنها لاتدخل تحت معنى عيوب اللسان ، كالاذراع والاكثار والافراط والهَوب ـ جمعه : أهواب ... الخ .

٣ ـ البكءُ :

وهو في اللغة : قلة لبن الناقة ، أو انقطاعه ، وهو ـ كذلك ـ البكاء ، والبكوء .

---

(١٠) الفروق : أبو هلال العسكري : ص ٣٢ .
(١١) اللسان (سهب) ١٠/٤٥٨ .
(١٢) الجراثيم : لعبدالله بن مسلم ، المطبوع مع فقه اللغة للثعالبي ، ص ٣٤٨ .

فالقلة ــ اذن ــ هو بعض معاني هذه اللفظة ، ولذا قيل : بكأ الرجل بكاء ، فهو بكيء من قوم بكاء ، اذا قل كلامه خلقة • أي : أن هذه الصفة ، وهي قلة الكلام سجية تخلق في الانسان فيتصف بها ، فيقال له : البكيء [١٣] •

٤ ــ البَكَمُ :

وهو الخرس ، ولكنه ليس على اطلاقه ، بل هو مقيد بالعي والبله • وذهب آخرون : الى أن البكم هو الخرس نفسه •

يقول ثعلب : البكم : أن يولد الانسان ، لاينطق ، ولا يسمع ، ولا يبصر [١٤] • فهو أبكم وبكيم ، أي : أخرس • قال : ــ تعالى ــ « صم" بكم" عمي" » [١٥] •

وفرق الأزهري بين (البكم) و (الخرس) ، فجعل الأخرس : الذي يُخلَقُ ، ولا نطق له ، كالبهيمة العجماء • والأبكم الذي للسانه نطق ، وهو لايعقل الجواب ، ولا يحسن وجه الكلام • ونسب هذا التفسير الى كلام العرب • وخالفه ابن الأثير في الأبكم ، قال : هو الذي خلق أخرس ، والابكم والبكيم واحد ، قال الشاعر :

فليت لساني كان نصفين منهما بكيم ، ونصف عند مجرى الكواكب

والبكم يأتي في آخر عيوب العيّ في اللسان ، فهو العيّ ، ثم الحصر ، ثم الكمه ، ثم الفحم ، ثم اللجلاج ، فالأبكم [١٧] •

(١٣) اللسان ١/٢٦ ــ ٢٧ (بكأ) .
(١٤) نفسه ١٤/٣١٩ (بكم) .
(١٥) البقرة الآية ١٨ .
(١٦) تهذيب اللغة كتاب الخاء وكتاب الكاف .
(١٧) فقه اللغة : الثعالبي ١٧٤ .

٥ ـ التأتأة :

يوصف الرجل بالتأتاء ، اذا كان يتردد في (التاء) عند التكلم ، ويقال : فيه تأتأة ، اذا كان معروفا بذلك في نطقه . وتأتي التأتأة ـ كذلك لأكثر من معنى . فمن معانيها : أنها بمعنى : « حكاية الصوت » [١٨] .

٥ ـ التبكل :

وهو الاختلاط في الكلام ، ويوصف الرجل به ، فيقال : المتبكّـِل [١٩] .

٦ ـ التحريف :

في الكلام [٢٠] ، هو تغييره عن مواضعه الصحيحة . والتحريف في القرآن ، وفي الكلمة ، هو تغيير حروفه عن مواضعها ، وفي الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه من بعضها . قال تعالى في اليهود [٢١] : (يُحرِّفون الكلم عن مواضعه) أي : يميلونه عن وجهه الصحيح ، ويزيلونه ، الا أنهم اذا بدلوه ، ووضعوا كلماً غيره ، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها وأزالوه منها [٢٢] . والواضح من قوله ـ تعالى ـ : « يُحرِّفون » ـ ها هنا ـ هو ليُّ ألسنتهم بالكلام ، فيغيرونه ، لان تمام الآية يعطي هذا المعنى . قال ـ تعالى ـ : (ويقولون : سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسمع ، وراعنا ، ليّاً بألسنتهم ، وطعناً في الدين) [٢٣] ، والى ذلك أشار أحمد الاسكندري في ردّه على الزمخشري .

---

(١٨) اللسان : ١/٣١ .
(١٩) الجراثيم : عبدالله بن مسلم ، مطبوع مع فقه الثعالبي ٣٤٨ .
(٢٠) انظر في « التحريف والتصحيف » الباب السابع والثلاثين من كتاب المزهر للسيوطي .
(٢١) النساء ٤٦ .
(٢٢) الكشاف : الزمخشري ١/٥١٦ .
(٢٣) حاشية أحمد بن المنير علي الكشاف ١/٥١٧ .

٧ ـ **الترخيم :**

وهو حذف صوت من آخر الكلام ، وعرفه المبرد [٢٤] بأنه : « حذف الكلام » وجعله أحد عيوب الكلام .

٨ ـ **التزيد :**

وهو التكلف في الكلام . ومثله : (التزايد) ، يقال : فلان يتزيد في حديثه وكلامه ، اذا تكلف في كلامه ، مجاوزا ماينبغي ، وأنشد ابن منظور :

اذا أنت فاكهت الرجال فلا تَلِح فقُل مثل ما قالوا ولا تتزيد

والتزيُّد في الحديث ـ أيضا ـ الكذب [٢٥] .

ولقد ذم الجاحظ المتزيدين ، والمتكلفين ، فقال [٢٦] : « ان صاحب التشديق والتقعير ، والتقعيب من الخطباء والبلغاء ، مع سماجة التكلف ، وشنعة التزيد ، أعذر من عييّ يتكلف الخطابة » .

٩ ـ **التشديق :**

وهوليّ الشدق ، للتفصّح ـ أي : تكلف الفصاحة ـ ويقال منه للرجل: « أشدق » اذا كان ذابيان . أما التوسع في الكلام ، فيقال له : المتشدق المتفيهق ، وهي صفة مذمومة في اللسان ، لأنه يتكلف [٢٧] .

١٠ ـ **التصحيف :**

هو قراءة الحرف في الصحيفة ، خطأ [٢٨] ، كأن يقرأ النون ياء ، أو باء ، اشتباهـا .

---

(٢٤) الكامل ١/٥٧٧ . (٢٥) اللسان ٤/١٨١ .
(٢٦) البيان والتبيين ١/١٣ .
(٢٧) اللسان ١٢/٣٩ (شدق) .
(٢٨) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف : العسكري ، ص ٢ فما بعد والتنبيه للأصبهاني ٣١ .

وفي المعجمات : المُصحّف والصحفي : هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف ، بأشباه الحروف ، وهي مولّدة •

١١ ـ التعتعة :

كل كلام فيه تردد ولثغة ، وقد يوصف به الرجل الفأفاء ، فيقال له : هو تعتع • وسبب التردد يتأتى من حصر وعي ، فيعيا المتكلم فلا يؤدي الكلام على استرساله ، ويقال : قد تعتع في كلامه ، وتعتع العيي ، ومنه الحديث : « الذي يقرأ القرآن ، ويتعتع فيه •• » أي : يتردد في قراءته ، ويتبلد فيها لسانه ، وتعتع فلان ، اذا رد عليه قوله • فالتعتعة ـ اذن ـ كالفأفأة من حيث كون المتكلم يتردد في كلامه ، الا أن الفأفأة مقصورة على الفاء من الأصوات التي تتردد على اللسان •

١٢ ـ التفيهق :

ورد في قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « ان أبغضكم اليّ الثرثارون المتفيهقون ، قيل : يارسول الله وما المتَفَيْهِقون ؟ ، قال : المتكبرون » وتفسير ذلك أنهم يعبّرون عن تكبرهم ، بتوسعهم في الكلام ، وفتح أفواههم به ، ذلك هو التفيهق [٢٩] •

١٣ ـ التقعيب :

يقال : قَعّب فلان في كلامه ، وقَعّر ، فهما بمعنى واحد ، والتقعير والتقعيب : هو التشديق في الكلام ، والتكلم بأقصى الحلق • يقال : هذا كلام له قعب ، اذا كان له غور وعمق •

وروت كتب الأخبار جملة من التقعيب والتقعير ، لأئمة العربية من أمثال : يحيى بن يعمر ، وعيسى بن عمر وغيرهما •

---

(٢٩) اللسان ١٢/١٨١ .

فمن ذلك ماروي عن ابن يعمر أنه قال لرجل خاصمته امرأته : أ ان سألتك ثمن شكرها ، وشبرك ، أنشأت تطلها وتضهلها ..»[٣٠] .

واتهم ابن هبيرة عيسى بن عمر ــ مرة ــ بأن بعض العمال استودعه مالا ، فضربه مقنعا نحوا من ألف سوط ، فجعل يقول له : ... والله ما كانت الا أثيابا في أسيفاط ، قبضها عشّاروك ..[٣١] .

والتقعيب والتقعير ، والتشديق عند الجاحظ ، عيب من عيوب اللسان ، ولكنه أعذر من العيّ والحصر[٣٢] .

١٤ ــ التقعير :

هو التشديق في الكلام ــ كما مر ــ في « التقعيب » ، ويقال منه : رجل قيعر ، وقيعار ، وتقعّر في كلامه ، والتقعير : التعميق فيه .

ومن المتقعرين في كلامهم : عيسى بن عمر الثقفي . ويقال : هو يتقعر في كلامه ، اذا كان يتنحى ، وهو لحّانة .

١٥ ــ التلتلة :

وهي لهجة معروفة في لسان بهراء ، وذلك أنهم يكسرون أول كل مضارع ، فيقولون : نِعلم ، ونِكتب ، ونِفهم .

وبهراء حي من اليمن ، أو قبيلة[٣٣] . نقل ابن منظور[٣٤] : « وتلتلة

(٣٠) طبقات النحويين : الزبيدي ٢١ ــ ٢٣ .
(٣١) نفسه ٢٢ .
(٣٢) البيان والتبيين ١٢/١ .
(٣٣) اللسان (بهر) .
(٣٤) نفسه ٨٤/١٢ (تل) .

بهراء كسرهم تاء : «تِفعلون» يقولون : (تِعملون) و (تِشهدون) ونحوه »

وهذا يعني أن بعض اللغويين قد قصروا اجراء الكسر على (تاء المضارع) دون سائر أحرف : « أنيت » ، وليس كذلك فقد قرىء قوله ـ تعالى ـ « اياك نعبد ، واياك نِستعين» بكسر النون على هذه اللهجة . فليس ـ اذن ـ كسر أول المضارع مقصورا على (التاء) وان كان تسمية هذه اللهجة (بالتلتلة) يُشعر بأن التغيير الصوتي يقع في (التاء) دون غيرها من حروف (أنيت) .

ويبدو من كلام ثعلب في « أماليه » : أن قريشا ارتفعت في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكسكسة ربيعة ، وكشكشة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة » . وفسر (تلتلة) بهراء بكسر أوائل الأفعال المضارعة[٣٥] . ولم يحدد الحرف الذي تدخل عليه الكسرة من أحرف المضارع، مما دل على أن الكسر عام في هذه الأحرف .

وهذه اللهجة معروفة شائعة في لسان العوام ـ هذا اليوم ـ في أكثر بلداننا العربية .

١٦ ـ التلعثم :

وهي اللعثمة ـ كذلك ـ ، وهي تباطؤ في اللسان ، تحدث من مرض في الجهاز النطقي ، أو من اضطراب طارىء ، كموقف حرج أو عاطفي أو خوف أو ما أشبه هذه المواقف ، فيؤدي الى تعثر اللسان في اخراج الكلام . والتلعثم في غير اللسان هو التباطؤ في الشيء ، ولذا جرى هذا المعنى على تباطؤ اللسان ـ أيضا ...

---

(٣٥) المزهر ١/١٠٤ .

١٧ ــ التمتمة :

وهي أن يتريد اللسان في التاء والميم ، أو التاء ــ وحدها .. [٣٦] ونقل ابن منظور خلافا بين اللغويين في تحديد موقع « التمتمة » من الأصوات اللغوية في اللسان ، وهذه الخلافات تنحصر في أن : [٣٧]

أ ــ التمتمة هي التعجل في الكلام ، فلا يكاد يفهمه السامع .

ب ــ التمتمة هي سبق الكلام الى الحنك الأعلى .

ج ــ التمتمة هي أن لا يبين الكلام من اللسان ، بسبب خطأ اللسان في موضع الحرف ، فيرجع الى لفظ يجمع بين التاء والميم ، ولم يكن بينا واضحا .

د ــ هي التردد في التاء ، أو ردّ الكلام اليها ، أو الى التاء والميم . وقصر ابن قتيبة التردد على التاء وحدها . قال : والذي يتكلم بالتمتمة : تمتام[٣٨] .

وقد شاع مثل هذا العيب اللساني في الوقت الحاضر ، نظرا لقسوة الظروف ، وتأثيرها على أحاسيس الناس وعواطفهم ، فأصبحت التمتمة مرضا لسانيا في كثير من الأفراد ، وجرى تلفظها على لسان العامة بقلب مكاني ، فقالوا : فلان : « يمتمت » وفي فلان « متمتة » اذا تردد في كلامه .

١٨ ــ التهتهة :

كالهتهتة ، أو هي مقلوبة منها ، وتكون بسبب التواء يقع في اللسان. ويوصف به العييّ الألكن [٣٩] ويتضح هذا العيب عند من يصاب به ، بأن

(٣٦) ادب الكاتب : ابن قتيبة ١٤٦ . فقه اللغة للثعالبي ١٦٩ . والكامل للمبرد ٥٧٨/١ .
(٣٧) اللسان ٢١٨/١٤ (تم) .
(٣٨) أدب الكاتب ٥١٠ .
(٣٩) اللسان (هت) وتهذيب اللغة ، ثنائي الهاء والتاء .

يميل الى اخراج صوت الهاء ، مع جريان النفس بشكل سريع، مصاحباً الكلمات المنطوقة .

١٩ ـ الثرثرة :

وهي في الكلام ، كثرته وترديده ، ويوصف به كثير الكلام ـ من غير طائل ـ فيسمى ثرثارا ، والمرأة ثرثارة ، والقوم : ثرثارون ، وفيه حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ـ «...الثرثارون المتفيهقون »(٤٠) .
أي : الذين يكثرون الكلام تكلفا ، وخروجا عن المعتاد . قال ابن منظور : « والثرثرة : كثرة الاكل والكلام في تخليط وترديد ، وقد ثرثر الرجل ، فهو ثرثار مهذار »(٤١) .

٢٠ ـ الجَلَع :

هو ابتعاد الشفتين عن الأسنان ، بحيث تترك أثرا واضحا على اخراج بعض الأصوات الاسنانية والشفوية . قال ابن قتيبة في (الأجلع) : هو « الذي لاتنضم شفتاه على أسنانه »(٤٢) .

٢١ ـ الحُبْسة :

وهي كالرُتّة من عيوب النطق ، تكون في اللسان بحيث يحبس عن النطق ، فلا ينطلق في أداء الكلام ، أو اخراج الأصوات .

وقد يطلق عليها : « الاحتباس » ـ أيضا ـ . قال المبرد في (علل

(٤٠) النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير (ثرثر) ، والفائق للزمخشري (ثر) ، واللسان ٥/١٧٠ .
(٤١) اللسان ٥/١٧٠ .
(٤٢) أدب الكاتب ١٤٦ .

اللسان) : «الحُبسةُ : تعذر الكلام عند ارادته ..[43]» . وأورد الجاحظ « ذا الحبسة » في مجموعة المعيبين في لسانهم ، فقال :[44] « وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفاء وذو الحبسة ، والحكلة ، والرتة ، وذو اللفف ، والعجلة ، في سبيل الحصر في خطبته ، والعيي في مناضلة خصومه..» . ويريد بذلك أن العيوب التي تصيب اللسان ، تؤثر على شخصية المعيب بها ، ولكنها أقل تأثيرا عليهم من تأثير الحصر على الخطيب ، والعي على المناقش في مناضلة خصومه .

٢٢ ــ الحَصَر :

هو العي في الكلام ، ويأتي بالمرتبة الثانية ، بعد العي [45] ، ويتمثل الحصر في قلة القدرة على مواصلة الترسل فيه ، وقد وصف الجاحظ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه : « لا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطىء ، ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر» [46] أي : لا يعيى في كلامه .

وفي المعجمات اللغوية ، للحصر دلالات كثيرة ، يُهِمُّنا منها أنه « ضرب من العيِ ، يقال : حصِر الرجل حَصَراً ــ بفتح الصاد ــ فهو حَصِر عييٌ» في منطقه ، وقيل : حِصرَ ، لم يَقدر على الكلام [47] لنقص أو عيب في جهاز النطق .

(٤٣) الكامل ٥٧٨/٢ .
(٤٤) البيان والتبيين ١٢/١ ــ ١٣ .
(٤٥) فقه اللغة : الثعالبي ١٧٤ .
(٤٦) البيان والتبيين ١٧/٢ .
(٤٧) اللسان ١٦٧/٥ .

٢٣ ـ الحكلة :

وهي كالحبسة ، وسببها عقدة في اللسان . تؤدي الى تأخر اللسان عن أداء دوره اللغوي بشكل مترسل ، فلا يفصح عن الكلام [٤٨] .

نقل ابن منظور فيها : أنها كالعجمة ، لا يبين صاحبها الكلام . قال : والحكلة والحكيلة : اللثغة .

وعن ابن الأعرابي : يقال : في لسانه حكلة ، أي : عجمة ، فهولا يبين الكلام [٤٩] .

٢٤ ـ الخرس :

وهو ذهاب الكلام ، عياً أو خلقة ، كما جاء في المعجمات ، ويريدون بذلك أن الخرس يأتي من أمرين .

أولهما : بسبب خارجي ، كالمرض ، فيؤثر على اللسان ، فلا يستطيع الكلام وربما يكون بسبب مرض في جهاز السمع ، يصاب به الطفل في صغره ، قبل أن يفهم الكلام ، فينشأ أخرس لا يدري كيف يعبر بجهاز نطقه .

والآخر : داخلي ، يأتي بالخلقة ، أي : يولد هذا العيب في النطق مع المولود ، فلا يستقيم لسانه حتى الكبر ، فيكون أخرس ، والانثى خرساء . والفعل منه : خرِس يخرَسُ ـ الباب الرابع ـ ومصدره الخَرَسُ بالتحريك .

٢٥ ـ الخزم :

وهو زيادة حرف في الكلام ، وجرى ذلك على الشعر فأصبحت كل زيادة في أول البيت خزماً .

---

(٤٨) فقه اللغة : الثعالبي ١٧١ .
(٤٩) اللسان ١٢/١٧٢ .

أما في الكلام ، فتكون الزيادة في داخل التركيب ، كما ترى في قول القائل : « ولا لِلِما بهم أبداً دواء » .

فزاد اللام على (لما) .

وقول الآخر :

وصاليات كَكَما يُؤَثْفَيْنْ

فزاد الكاف على (كما) . قال السيوطي : «وهو قبيح في اللسان»[٥٠].

٢٦ ـ الخطل :

هو الكلام الفاسد ، الكثير المضطرب ، والرجل أخطل والمرأة خطلاء . قال أبو عبيد : « الهراء : المنطق الفاسد ، الكثير ، والخطل : مثله » . ونسب العسكري الخطل الى اللسان فقال : « خطل اللسان ، اذا كان سفيهاً لا يبالي ما يقول ، وما يقال له »[٥١] فجعل ـ بذلك ـ الخطل من العيوب الاخلاقية في الانسان ، ولكنه نظر الى ما يترتب على هذا العيب الاخلاقي من نتائج كسفاهة اللسان ، وعدم المبالاة لما يخرج منه من رديء الكلام . فنسب الخطل اليه .

٢٧ ـ الخنة والخنخنة :

وهي من الغنة ، وتكون فوق الغنة ، ولكنها أعلى منها وأشد . يقول المبرد : « الغنة : أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنة أشد منها »[٥٢] . ويقول الازهري : « الخنة ضرب من الغنة ، كأن الكلام يرجع الى الخياشيم، يقال : امرأة خنّاء وغنّاء ، وفيها : مخنة ، ورجل أَخَنُّ ، أي : أغن ، مسدود الخياشيم ، والجمع : خُنٌّ . قال دهلب بن قريع :

(٥٠) المزهر ١/١١٠ واللسان ١٥/٦٧ (خزم) .
(٥١) الفروق ٤٦ .
(٥٢) الكامل ٢/٥٧٩ .

-١٦-

وقال : (السريع)

١- إذا وضعناكَ رفعناكـا
وإنْ هجوناكَ مدحناكـا

٢- وكيف يُهجَى رجلٌ قدرُهُ
أعاننا اللهُ وإيّاكـا ؟

(١٦) أخبار أبي تمام ٤٤ .

-١٧-

وقال : (الرجز)

١- طيفُ ألمْ بذي سَلَمْ بعدَ العَتَمْ يَطوي الأكَمْ

٢- جادَ بفَمْ ومُلتزَمْ فيهِ هَضَمْ إذا يُضَمْ

(١٧) العمدة ١/١٨٤ وفيه : (وكان أقصر ماصنعه القدماء من الرجز ماكان على جزءين نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن ... حتى صنع بعض المتعقبين - أظنه علي بن يحيى ، أو يحيى بن علي المنجم - أرجوزة على جزء واحد وهي . . .)

-١٨-

وقال في هجاء عافية بن شبيب : (الطويل)

١- أأهجو تَميماً إنْ تَعرَّضَ مُلصَقٌ
إليها دَعِيٌّ قد نَفَتْهُ قرونُهـا ؟

٢- فآخذُها طُرّاً بِذَنبِ دَعيِّهـا
فأينَ نُهى قومي وأينَ حُلومُها؟

٣- ومافي دَعِيِّ القومِ ثأرٌ لثائرٍ
ولمْ تَقترفْ ذَنباً فيهُجَى صَميمُها

٤- أعافيَ إنَّ اللؤمَ منكَ سَجيّةٌ
وشَرُّ خِلالِ الأدعياءِ قَديمُها

(١٨) معجم الادباء ١٥/١٤٩ .

-١٩-

وقال : (المديد)

١- إنَّ فَقْدَ النَّومِ أَعدَمَني

رُؤيةَ الأحبابِ في الحُلُمِ

(١٩) محاضرات الادباء ١٢٧/٣ ، جاء بعد بيت منسوب لابن المنجم .

-٢٠-

وقال : (الخفيف)

١- ليتَ شعري مَهْرَجْتَ يادهقانُ

وقديماً مامَهْرَجَ الفتيانُ

٢- لم أَزلْ أُعمِلُ الزّجاجةَ حتّى

كانَ منّي مايَعمَلُ السكرانُ

(٢٠) معجم البلدان ٤٥٣/٤ وفيه : (كتب علي بن يحيى المنجم الى الحسن بن مخلد في يوم مهرجان) .



-٢١-

وقال : (الكامل)

١- لم يَرضَ إلاّ بالكريمةِ مَركباً

ولَرُبما امتنعتْ عليهِ أَتانُ

(٢١) محاضرات الادباء ٢١٠/٣

-٢٢-

وقال : (الخفيف)

١- بأبي أنت لِمْ جَفاني خيالٌ

لكَ قدْ كنتُ أستريحُ إليهِ

٢- أرشدَنّي إلى خيالِكَ كيما

أتقاضاهُ موعِداً لي عليهِ

(٢٢) محاضرات الادباء ١٢٦/٣

نماذج من كلامه :

-١-

(أمّا إنّ ذاكَ ليس لتقصيرٍ فيما يجبُ عليَّ من حقّ أمير المؤمنين المتوكل -رحمه الله - ومن حق ولده ، ولكن كان في عنقي طوقٌ يحظر عليّ ذلك)

(١) معجم الادباء ١٧٢/٥

-٢-

(قات للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في كتاب البيان والتبيين :

ويكره للجارية أن تشبّه بالرجال في فصاحتها ، ألا ترى إلى قول مالك ابن إسحاق الفزاري :

وحديث ألـذّه وهومـا ينعت الناعتون يوزن وزنـا
منطق صائب وتلحن أحيـا نأً وخير الحديث ماكان لحـنا

فبرأه من الاعراب ، وانما وصفها بالظرف والفطنة ، وانما تلحن اي توري في لفظها عن أشياء وتتنكب ماقصدت له) .

(٢) معجم الادباء ٩٨/١٦

-٣-

(إذا كان السِّفْرُ عندَك منجاةً فما أصنع)

(٣) زهر الآداب ١٥٩/١

-٤-

(قد علمت ذلك ، وشكرت تفضل أمير المؤمنين عليّ فيه ، ولكن في الأمر شيءٌ يسمعه أمير المؤمنين وتسمعه ، ثم يتفضل بالاعفاء منه . قال وماهو ؟ قال : قد علمت أن أمير المؤمنين أشدّ الناس غيرة ، وان النبيذ ربما أسرع إليّ ، ولست آمن بعض هذه الأحوال ، وأن ينسى عند غلبة النبيذ ماكان منه

فيقول : ما يصنع هذا معي عند حرمي ؟ فيعجل عليّ بشيء لايستدرك ، وليس بيني وبين هذا عمل) .

(٤) معجم الادباء ١٥/١٧٠

—٥—

(يامولاي ، أما ترى إقبال هذا اليوم وحسنه وإطباق الغيم على شمسه وخضرة هذا البستان ورونقه ؟ وهو يوم . . تعظمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين ، ووافقَ ذلك ياسيدي ان القمر مع الزهرة ، فهو يوم شرب وسرور وَتجلّ بالفرح . . . .

فقال : إن دعا سيدي بالسواك فاستعمله وغسل بماء الورد وجهه ، وشرب شربة من رُبّ الحصرم او من متنة مطيبة مبرداً ذلك بالثلج انحل كل مايجد ... فقال علي : ياسيدي ، والى ان تفعل ذلك تحضر عجلانيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفتق الشهوة ويعين على تخفيفه ... فقال : ينبغي أن يختار لأمير المؤمنين شراب ريحاني ويزاد في مزاجه إلى ان يدخل في الشرب فيهنئه الله إياه ان شاء الله . .) .

(٥) معجم الادباء ١٥/١٦٠ – ١٦٢.

—٦—

(قلت مرة وقد أخذ مني النبيذ بين يديّ الواثق — لمن كان يسقيني ويلك ، أجهزت والله عليّ ، سقيتني الكأس حبة فالاّ قتلتها ... قات : حسان أعرابي لايحسن شرب الخمر ، وكان ايضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها ، ولكن أردت من ساقي أن يأخذ بقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً ، وأعلمهم بأدب الشرب . . أبو نواس ... حين يقول :

لاتجعل الماء لـهـا قاهراً ولا تسلطهـا على مـائـهـا

فقلت ياسيدي من شرب سكر ، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق ، ومن

كان أمره إلى غير خَرَق ... فقلت له : لو حضرك والله ياسيدي لأقرّ أنك أحفظ لعيون شعره منه ، فالويل لجليسك ، بما ينفق عندك وروايتك هذه الرواية .)

(٦) معجم الادباء ١٦٤/١٥ - ١٦٦

—٧—

(مالي أراك ذا رأي أَعرب من السنة بالكوفة ، والكمال بالبصرة ، نعم ومن الوفاء بالترك والجود بالروم والهمّ بالزنج) .

(٧) خاص الى ص ٣٩ وفيه (قال لابي عبيدالله بن حمدون) .



★ ★ ★

مفهوم الفصاحة لغةً واصطلاحاً

الدكتور محمد جابر فياض

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحديث عن الفصاحة كالحديث عن البلاغة معاد مكرور ، والحاجة الى معاودته وتدقيق النظر فيه كالحاجة اليها في البلاغة صنوها إن لم تكن أشد منها لأن المتحدثين عن البلاغة كانوا قد ذهبوا إلى أنها من البلوغ بمعنى الوصول والانتهاء ، من بلغ المكان ، أو الزمان ، أو المنزلة بلوغاً ، بمعنى وصل إليها ، وأبلغه الخبر يبلغه إبلاغاً : أوصله إليه . وربطوها بهذا الأصل اللغوي وحصروها في دلالته . وأجمعوا على هذا الدرجة صرنا معها معذورين في تلقيها وتلقينها على ما ورثناها عليه . إذ ماجدوى إعادة النظر ، وما الذي يمكن أن تفضي إليه فيما أجمعوا عليه . ومع هذا فقد رأينا أنها أفضت بنا الى إمكان القول بأن البلاغة من البلوغ ، بمعنى النضج والاكتمال ، كالبالغ من كل شيء ، وليس من مجرد الوصول والانتهاء.

فاذا كان الاجماع قد حال بيننا وبين معاودة النظر في البلاغة حقبة ، وهيأ لنا أن ليست بنا حاجـة إليها ، فان اختـلاف المتحـدثين عن الفصاحـة فيما ذهبوا إليـه فيها ، خير ما يـؤيد الحاجـة الى معاودة النظر ، ويدفـع إليها ، ويغري بها ، فما الذي يمكن أن نعتذر به في الركون إلى أي ممـا قيل فيها من غيرما موازنة دقيقة بينه ، وبين ما يخالفه ؟ ؟ فلقـد تأرجحت الفصاحـة

بين الابانة والخلوص، فمن المتحدثين عنها من ذهب إلى أنها من الابانة والوضوح والظهور، ومنهم من ذهب إلى أنها من الخلوص والصفاء والنقاء..

ولقد ركن اكثر المحدثين والمعاصرين من المعنيين بالبلاغة - إن لم أقل كلهم - الى الابانة من غيرما موازنة، ولاتمحيص، ولاتدقيق، ولا إعادة نظر، حتى لكأن دلالة الفصاحة عليها بديهية من البديهيات أو مسلمة من المسلمات، من العبث فحصها وتدقيقها أو موازنتها بغيرها، وفاتهم - بهذا الركون - الاحاطة بما قيل فيها، وما فيه من خلاف، كما فاتهم الوقوف على حقيقة مفهومها.

فالفصاحة ليست من مجرد الابانة والوضوح والظهور، ولو أنها كذلك لكان الناس كلهم فصحاء، وليس الأمر كذلك فهي من الخلوص والصفاء والنقاء، ودلالتها على الابانة والوضوح إنما هي تالية لدلالتها على الخلوص، متوقفة عليها، فهي من قبيل تحصيل الحاصل، فالاشياء لاتتضح وتظهر وتبين إلا إذا خلصت مما يشوبها أو يحجبها.

فالفصاحة خلوص الكلام والمتكلم مما يشينهما من عيوب الكلام والنطق ومن هنا كانت نعتاً حميداً، موقوفاً على أناس، دون أناس وكلام دون سواه، واشترط في الكلام والمتكلم ما اشترط من خلوص، ولم نبتدع للفصاحة هذه الدلالة ابتداعاً ولم نصطنعها اصطناعاً، ولكنها الدلالة التي اسفر عنها التحقيق اللغوي والاستقراء الدقيق لما قاله فيها علماؤنا الأعلام، وفحصه وتدقيقه.

وهذا الذي انتهينا إليه في كل من البلاغة والفصاحة، إنما يؤكد ما اشرنا إليه من جدوى معاودة النظر فيما قيل في المسائل البلاغية - مع كثرته - وفحصه وتدقيقه والانتهاء منه الى ما يمكن الركون إليه.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

الفصاحة لغة

ذهب ابن فارس - ٣٩٥ هـ - محقاً - إلى أن « الفاء والصاد والحاء : أصل يدل على خلوص في شيء ، ونقاء من الشوب . من ذلك اللسان الفصيح : الطليق . والأصل أفصح اللبن : سكنت رغوته . وأفصح الرجل : تكلم بالعربية . وفصح : جادت لغته حتى لا يلحن . . . » (١) فوضع يده بهذا على دلالة المادة اللغوية كلها ، ونص صراحة على الخلوص والنقاء ، وربط بهذه الدلالة كل ما جاء من مفردات المادة . فاللسان الفصيح : الطليق ، لخلوصه من كل ما يحول بينه وبين الطلاقة ، واللبن الفصيح : الذي سكنت رغوته ، وتلاشت بعد أن كانت تحجبه عن الناظر إليه ، وأفصح الرجل : إذا تكلم بالعربية ، أي خلصت عربيته من الخطأ واللحن والعجمة وغيرها ، مما قد يشوبها أو يشينها . يؤيد هذا ويعززه قوله : « وفصح : جادت لغته حتى لايلحن » فنص صراحة على الجودة لما تقتضيه من خلوص ونقاء .

ولم يستثن من دلالة المادة على الخلوص والنقاء . غير عيد الفصح ، حيث قال « . . . ومما ليس من هذا الباب ، الفصح : عيد النصارى - يقال أفصحوا : جاء فصحهم . . . » . (٢)

ولم ينفرد ابن فارس بهذا وحده ، بل تابعه فيه الراغب الأصفهاني -٥٠٢ هـ حيث قال : « الفصح : خلوص الشيء مما يشوبه . وأصله من اللّبن . يقال : فصح اللبن وأفصح ، فهو مفصح : : إذا تعرى من الرغوة ، وقد روى :

* وتحت الرغوة اللبن الفصيح *

ومنه استعير فصح الرجل : جادت لغته ، وأفصح : تكلم بالعربية .وقيل : الفصيح : الذي ينطق ، والاعجمي : الذي لاينطق . قال تعالى : وأخي هارون ،

(١) المقاييس - مادة فصح

(٢) الموضع ذاته

هو أفصح مني لسانا » [٣٤ القصص ٢٨] . وعن هذا استعير أفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . . » (٣)

واذا كان الراغب الاصفهاني قد أخذ هذا عن ابن فارس ، أو تابعه فيه ، فان دلالة المادة اللغوية على الخلوص والنقاء والصفاء ، قد بدت ظاهرة في المعاجم التي سبقتهما ، والتي جاءت بعدهما ، فلقد طالعتنا هذه الدلالة واضحة في معجم العين فقال الخليل — ١٧٥ هـ : « المفصح من اللبن ؛ : اذا ذهب عنه اللّبأ ، وكثر محضه ، وقَلَّتْ رغوته . . » (٤) ولايكون كذلك الاإذا خلص من اللّبأ والرغوة . فاللبن المفصح والفصيح : هو اللبن المحض الخالص .

وقد نقل أبو عبيد — ٢٢٤ هـ عن الاصمعي — ٢١٦ هـ أنّ « أول اللبن اللّبَأُ ، ثم الذي يليه المفصح. يقال : أفصح اللبن إذا ذهب عنه اللّبَأُ » (٥).

ونقل الأزهري — ٣٧٠ هـ عن ابن شميل — ٢٠٤ هـ قوله : « هذا يوم فصح كما ترى ، والفصح : الصحو من القُرّ : اذا لم يكن فيه قُرٌّ » (٦) .

وقال الجوهري — ٣٩٩ هـ : « وأفصحت الشاة : إذا انقطع لبؤها ، وخلص لبنها . وأفصح الرجل من كذا : إذا خرج منه » (٧) فنص على الخلوص بأحرفه . والى مثل هذا ذهب الزمخشري — ٥٣٨ هـ ، فقال : « سقاهم لبناً فصيحا : وهو الذي أخذت رغوته ، أو ذهب لبؤه وخلص منه . وفصح اللبن ، وأفصح ، وفَصَّح . وأفصحت الشاة : فصح لبنها .

ومن المجاز : سرينا حتى أفصح الصبح ، وحتى بدا الصباح المفصح . وهذا يوم مفصح ، وفصح : لاغيم فيه ، ولا قر . وانتظر نفصح من شتائنا :

(٣) المفردات — مادة فصح
(٤) العين — المادة ذاتها
(٥) التهذيب — المادة ذاتها
(٦) الموضع ذاته
(٧) الصحاح — مادة فصح

أي نخرج ونتخلص . . . وأفصح العجمي : تكلم بالعربية ، وفصح : انطلق لسانه بها وخلصت لغته من اللكنة » (٨) .

وفي اللسان : « قال اللحياني – ٢٣٤ هـ : أفصحت الشاة : إذا انقطع لبؤها ، وجاء اللبن بعد . وربما سمي اللبن فصحا . وفصيحا . وأفصح البول : كأنه صفا ، حكاه ابن الأعرابي – ٢٣٨ هـ » (٩) .

وجاء في القاموس : « . . . فصح ككرم ، فهو فصيح . وفصح من فصحاء وفصاح وفُصُح ، وهي من فصاح وفصائح ، إذ اللفظ الفصيح : مايدرك حسنه بالسمع . . . ويوم فصح – بالكسر – ومفصح : بلا غيم ولاقر . وأفصح اللبن ذهبت رغوته ، كفصح . أو انقطع اللبأ عنه ، الشاة خاص لبنها ، البول صفا » (١٠) وهكذا ، فلا أراهم ذكروا البيان والوضوح والظهور إلا لانها نتائج الخلوص والصفاء والنقاء ، فالاشياء لاتظهر ولاتتضح وتبين إلا بعد خلوصها مما يشوبها أو يحجبها ، فالفصاحة الخلوص والصفاء والنقاء ، اكثر من كونها الابانة والوضوح والظهور .

الفصاحة من المعنى اللغوي الى الاصطلاحي

اذا كان التحقيق اللغوي قد أفضى بنا الى أن الفصاحة ، إنما هي الصفاء والنقاء وخلوص الكلام مما يشوبه أو يشينه ، وأنهم لم يفسروها بالابانة والوضوح والظهور إلا لأن دلالة هذه الألفاظ على تلك من قبيل تحصيل الحاصل ، فان النصوص الكثيرة التي وردت فيها الفصاحة أو التي تولت تفسيرها إنما تمكن هذا الذي انتهى اليه التحقيق اللغوي وتعززه ، ولقد ورد اللفظ في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: « وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ، فأرسله معي

(٨) الاساس – مادة فصح

(٩) اللسان – المادة ذاتها

(١٠) القاموس – المادة ذاتها

ردءاً يصدقني ، إني أخاف أن يُكَذِّبونِ * » [٣٤ القصص ٢٨] . فقال أبو عبيدة — ٢٠٨ هـ :

« لأن موسى كان في لسانه عقدة . ويقال للفرس والبعير إذا كان صافي الصهيل وصافي الهدير : إنه لفصيح الصهيل ، وإنه لفصيح الهدير . » (١١) فالفصاحة : الصفاء الذي ذكره ، ونص عليه ، وكرر ذكره ، واحتج له، ودلل عليه بما في صهيل الفرس وهدير البعير .

فلو كانت الفصاحة مجرد الابانة والظهور والوضوح لكان الصهيل والهدير فصيحين دائماً عند صفائهما أو عدم صفائهما .

ولو لم تكن الفصاحة الصفاء والنقاء لما فسر الطبري — ٣١٠ هـ الأفصح بالأحسن واللسان بالبيان فقال : « وأخي هارون هو أفصح مني لساناً . يقول : أحسن بياناً عما يريد أن يبينه . » (١٢) .

كما لم يكن الفصيح — في تفسير الزمخشري — ٥٣٨ هـ — المنطيق ذا العارضة، الذي لقوله من التأثير في نفوس المخاطبين وما للأدلة والبراهين العلمية في تقرير الأقوال النظرية ، فقد ذهب الى القول :

« ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت ، أو يقول للناس صدق موسى ، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ، ويبسط القول فيه ، ويجادل به الكفار ، كما يفعل الرجل المنطيق ذوالعارضة . فذلك جار مجرى التصديق المفيد، كما يصدق القول بالبرهان . ألا ترى الى قوله : وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ؟ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك ، لالقوله صدقت ،

---

(١١) مجاز القرآن — ١٠٤/٢

(١٢) تفسير الطبري — ٤٧/٢٠

فان سحبان وباقلاً يستويان فيه . » (١٣) فالفصاحة — عنده هنا — هي البلاغة.

ونقل ابن عبد ربه — ٣٢٨ هـ عن الأصمعي — ٢١٦ هـ أنه قال :

« قال معاوية — ٦٠ هـ يوماً لجلسائه : أي الناس أفصح ؟ ؟ فقال رجل من السماط : ياأمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن شنشنة تغلب ، وليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطمانية حمير . قال من هم ؟ قال : قومك ياأمير المؤمنين . قال : صدقت فممن أنت ؟ قال من جَرْم . .

قال الاصمعي : جَرْمُ فصحى الناس . » (١٤) وجاء بتفسير المبرد — ٢٨٦ هـ — لهذه العيوب وغيرها من عيوب النطق فقال :

قال ابو العباس محمد بن يزيد النحوي : التمتمة في النطق : التردد في التاء. والفأفأة : التردد في الفاء . والعقلة : هي التواء اللسان عند ارادة الكلام . والحبسة : تعذر الكلام عند إرادته . واللفف : ادخال حرف في حرف . والطمطمة : أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم . واللكنة : أن تعترض عند الكلام اللغة الأعجمية . . . واللثغة : أن يعدل بحرف الى حرف . والغُنَّة : أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخُنَّة اشد منها . والترخيم : حذف الكلام . . . وأما الرّتّة ، فانها تكون غريزة . . ويقال إنها تكثر في الأشراف . وأما الغمغمة ، فانها قد تكون في الكلام وغيره ، لأنها صورة لايفهم تقطيع حروفها . وأما كشكشة تميم ، فان بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث ، فوقفت عليها ، أبدلت منهـا شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج . . . » (١٥) .

---

(١٣) الكشاف — ٢/٣٨٠

(١٤) العقد الفريد — ٢/٤٧٥ — ٤٧٦

(١٥) نفسه ٢/٤٧٦

ولو لم تكن الفصاحة صفاء الكلام وخلوصه من هذه العيوب وأمثالها ، لما أجيب معاوية بهذا الذي أجيب به فارتضاه وأقـرّه .

ولقد تحدث الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ ـ عن كل هذه العيوب واشباهها ، وفصل القول فيها ، وأورد الشواهد لها من الشعر والنثر والحوادث والأخبار ، وملأ البيان والتبيين ـ مع ضخامته ـ بما يزين الكلام ويشينه ، فجاء اسمه وفقا لمسماه فكان ـ بحق ـ كتاب بلاغة وفصاحة وبيان وتبيين على طريقة الجاحظ ونسجه وله أثره الواضح في هذه الدراسات قديما وحديثا ، فكان ـ ومايزال ـ خير معين للدراسات الأدبية عامة والبلاغية خاصة ، غير أن الجاحظ ـ شأنه شأن غيره ممن سبقه وعاصره ـ لم يفرق ـ أو لم يعن بالتفريق ـ بين البلاغة والفصاحة ، فالبلغاء هم الفصحاء وهم أرباب البيان ، ومعروف أن المصطلحات البلاغية لم تكن قد استقرت حدودها في عهده كما أن ماجاء به عن لفظ الفصاحة أقل بكثير مما جاء به عن لفظ البلاغة ، ولم أقف له على ماقيل فيها ، ولاما اختـاره من هذه الأقوال على نحو ما رأيناه في البلاغـة فمن المجازفـة القول بأنه عرّفها أو فرّق بينها وبين البلاغة والبيان مع أنه تحدث عن الفصاحة في تقسيمه الحيوان الى فصيح وأعجم فقال :

« ثم لايخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم . . . والفصيح هو الانسان ، والأعجم كل ذي صوت لايفهم إرادته إلا ماكان من جنسه . ولعمري إنا نفهم عن الفرس والحمار والكلب والسنور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده ، كما نفهم إرادة الصبي في مهده ، ونعلم ـ وهو من جليل العلم ـ أن بكاءه يدل على خلاف مايدل عليه ضحكه . وحمحمة الفرس عند رؤية المخلاة ، على خلاف ما تدل عليه حمحمته عند رؤية الحجر ، ودعاء الهرة الهر خلاف دعائها لولدها وهذا كثير .

والانسان فصيح وان عبرّ عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية ،

وليس العربي أسوأ فهماً لطمطمة الرومي لبيان اللسان العربي . فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح . فاذا قالوا : فصيح وأعجم فهذا هو التأويل في قولهم أعجم . وإذا قالوا : العرب والعجم ، ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون، انما يعنون أنه لا يتكلم بالعربية ، وأن العرب لاتفهم عنه » (١٦) فهو في هذا كله مفسر للمعنى اللغوي المراد بأعجم والعجم أي بين قول العرب (فصيح وأعجم) وقولهم « العرب والعجم » لا اكثر . ويؤيد هذا قوله قبل هذا الذي أورده بقليل : « ونحن في هذا الموضع انما نعبر عن لغتنا ، وليس في لغتنا إلاماذكرنا »(١٧) وقوله أيضاً : « إلا أننا في هذا كله نتبع الاسماء القائمة المعروفة، البائنات بأنفسها، المتميزات عند سامعيها من أهل هذه اللغة، واصحاب هذا اللسان ، وإنما نفرد ماأفردوا ، ونجمع ماجمعوا » (١٨) وليس في هذا كله شيء مما نحن بصدده ، ولم يتجاوز به المعنى اللغوي الوضعي الموروث مذ وضعت اللغة ،. فليس هناك من يمكنه أن يباعد بين الابانة والفصاحة .

ومثل هذا يمكن أن يقال في قوله : « ومن القصاص : موسى بن سيار الاسواري، وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها بالعربية ، ثم يحوّل وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يُدرى بأي لسان هو أبين » (١٩) .

فالفصاحة — عنده — الابانة ، وقد أناب الأبْيَن مناب الأفصح . كما أنه جمع بين الابلاغ والابانة والافصاح في قوله : « وسأل الله عز وجل موسى ابن عمران — عليه السلام — حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته ، والابانة

(١٦) الحيوان — ٣١/١ — ٣٢
(١٧) نفسه ٢٦/١
(١٨) نفسه — ٢٧/١
(١٩) البيان والتبيين — ٣٦٨/١

عن حجته ، والافصاح عن أدلته ، فقال – حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ، والحبسة التي كانت في بيانه – « واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » [٢٧ طه ٢٠] .. وقال موسى – صلى الله عليه وسلم – « وأخي هارون هوأفصح مني لساناً ، فأرسله معي ردءً يصدقني » [٣٤ القصص ٢٨] .... رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ، لتكون الاعناق إليه أميل ، والقول عنه أفهم ، والنفوس إليه اسرع ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة » (٢٠) .

فهو هنا – وان جمع بين الفصاحة والبلاغة والبيان – قد جاء بما لايمكن أن يقصر على مجرد الابانة ، أويحصر فيها ، عارية من حذق القول ، والمهارة في صياغته ، والتأثير في نفوس السامعين وعقولهم . ويعزز هذا قوله :

« ومدح القــرآن بالبيان والافصاح ، وبحسن التفصيل والايضاح ، وبجودة الافهام ، وحكمة الابلاغ » (٢١) .

فالجاحظ لم يفته ما تتطلبه الفصاحة والبيان والبلاغة من حذق في تصفية الكلام وتنقيته ، ومهارة في نسجه وصياغته ، وقوله في الشعر انه صياغة وضرب من التصوير معروف ، وإحاطته بما قيل في الفصاحة والبلاغة مشهورة غير منكورة ، ومما نقله فيها قوله : « وكان يقال : أفصح الناس اسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة . والبلاغة : اصابة المعنى والقصد الى الحجة مع الايجاز ، ومعرفة الفصل من الوصـل » (٢٢) .

ولكن – مع هذا كله – ليس لنا أن نتقول عليه مالم يقله ، فنزعم أنه عـرّف هذه المصطلحات ، ووضع لها حدودها ، وأحكم التفريق بينها . ولهذا قال أبو

(٢٠) البيان والتبيين – ٧/١
(٢١) نفسه – ٨/١
(٢٢) البلاغة والايجاز – ٢٣

هلال العسكري : « .. وكان اكبرها واشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمري كثير الفوائد ، جَمّ المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة وما حواه من اسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبّهَ عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ، وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الابانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، منتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة ، لاتوجد إلابالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير . فرأيت أن أعمل كتابي هذا ، مشتملاً على جميع مايحتاج اليه في صنعة الكلام نثره ونظمــه » (٢٣) .

ولولا تواضعه واكباره لما جاء به الجاحظ في صنعة الكلام ، لقال اكثر من هذا الذي قاله ، في الحدود خاصة ، فما استقر للحدود قرار في عهد الجاحظ ولا في عهد العسكري نفسه ، على النحو الذي انتهت إليه عند متأخري البلاغيين وان كانت دلالاتها العامة معروفة غير مجهولة حتى في العهود التي سبقت عهديهما.

وذهب ابو هاشم الجبّائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب ــ ٣٢١ ﻫ : الى أن الفصاحة جزالة اللفظ وحسن المعنى فقال القاضي عبد الجبار بن أحمد الاسدآبادي ــ ٤١٥ هـ : « « قال شيخنا (أبو هاشم) إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه ، وحسن معناه ، ولابد من اعتبار الأمرين ، لأنه او كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً ، فإذن يجب أن يكون جامعاً لهذين الأمرين ، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص ، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر والنظم مختلف ، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة ، وقد يكون النظم واحداً وتقع المزية في الفصاحة ، فالمعتبر ما ذكرناه ، لانه الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة ، وانما يختص النظم بأن يقــع لبعض الفصحاء ، يسبق

(٢٣) الصناعتين ــ ٤ ــ ٥

إليه ، ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء ، فيساويه في ذلك النظم ، ومن يفضل عليه يَفْضُلُهُ في ذلك النظم . . » (٢٤)

ويبدو أنَّ أبا هلال العسكري إنما أشار بقوله « وشهدت قوماً يذهبون الى أن الكلام لايسمى فصيحا حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة » (٢٥) الى أبي هاشم الجبائي ومن ذهب مذهبه من المعتزلة .

وأما ابن وهب — ٣٣٧ هـ فقد ذهب الى أن الفصاحة في الاصل الابانة ، غير أنه لم يقصرها على مجرد الاعراب عن المعنى كيفما اتفق حيث قال :

« . . فان أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى ، والبليغ ما باغ المراد ، ومن ذلك اشتقا ، فأفصح الكلام : ما أفصح عن معانيه ، ولم يحوج السامع الى تفسير له ، بعد أن لايكون كلاماً ساقطاً ، ولا للفظ العامة مشبها . . » (٢٦) وهكذا اشترط في الكلام الفصيح خلوصه مما يشوب كلام العامة من شوائب ، وما يعتري ساقط الكلام من عيوب ، فضلاً عما تقتضيه الفصاحة من الابانة والاعراب عن المعنى ، وأضاف قائلاً :

« وأما الفصيح من الكلام : فهو ماوافق لغة العرب ، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب ، ولتصحيح ذلك وضع النحو ، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة ، وذكر المستعمل منها ، والشاذ ، والمهمل . وحق من ينشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم ، ولايخرج عن جملة ألفاظهم ، ولايقنع من نفسه بمخالفتهم ، فيخطئوه ويلحنوه .

واللحن ما خالف العربية ، وخرج عن استعمال أهلها ، ومابني عليه إعرابها ، وهو معيب عند الادباء في الجملة ، وعلى من يأخذ نفسه بالاعراب ، ويتكلم

(٢٤) المغني — ١٦ / ١٩٧
(٢٥) الصناعتين — ٨
(٢٦) البرهان — ٢٠٦

بالغريب عن لغة الاعراب أعيب . ويروى أن عمر – رضي الله عنه – كان يضرب على اللحن . فاما العرب فاذا لحن أحدهم لقربه من الحاضرة ، ونزوله على طريق السابلة سقطت عند أهل اللغة منزلته ورفضت لغته .

وإنما يصح الاعراب لأحد الرجلين : اما اعرابي بدوي ، قد نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والاصابة ، فيتكلم على حسب عادته وسجيته ، ومتى خوطب باللحن لم يفهمه . . . واما للمولد الذي قد تأدب ، ونظر في اللحن واللغة ، وأخذ بهما نفسه ، ومرن عليها لسانه ، حتى صار ذلك عادة له . فاما لغيرها فليس يصح إعراب .

وربما اغتفر في دهرنا هذا اللحن للانسان في كلامه لكثرة اللحن في الناس ، وإنه قد فشا وعظم ، وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأنباط وسائر الأجناس . فأما في الكتاب فغير مغتفر له ذلك ، لان الطرف يتكرر نظره فيه والروية تجزل في إصلاحه . .» (٢٧) فالكلام الفصيح هو الكلام العربي الخالص.

وجمع أبو هلال العسكري ٣٩٥ هـ غير قليل مما قيل في الفصاحة فقال : « . . فأما الفصاحة فقد قال قوم : إنها من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه ، إذا أظهره .

والشاهد على أنها هي الاظهار ، قول العرب : أفصح الصبح : إذا أضاء ، وأفصح اللبن : إذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وفصح أيضاً . وأفصح الأعجمي : إذا أبان ، بعد أن لم يكن يفصح ويبين ، وفصح اللحان : إذا عبر عما في نفسه ، وأظهره على جهة الصواب ، دون الخطأ .

واذا كان الأمر على هذا ، فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منها إنما هو الابانة عن المعنى ، والاظهار لـه

(٢٧) البرهان – ٢٥٢ – ٢٥٣

وقال بعض علمائنا ، الفصاحة : تمام آلـة البيان ، فلهذا لايجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا ، إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولايجوز على الله تعالى الوصف بالآلة . ويوصف كلامه بالفصاحة ، لما يتضمن من تمام البيان. والدليل على ذلك أن الألثـــغ والتمتام لا يسميان فصيحين انقصان آلتهما عن إقامة الحروف . وقيل زياد الأعجم انقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمار ، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه . . » (٢٨)

وقد سبق أن وقفنا على ما نقله في التفريق بين البلاغة والفصاحة . غير أنه لاغنى لنا هنا — عن إعادة قوله :

« . . وقد يجوز — مع هذا — أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا ، إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكره ، ولا فجّ ، ولا متكلف وخم . ولا يمنعه أحد الاسمين شيء ، لما فيه من إيضاح المعنى ، وتقويم الحروف .

وشهدت قوماً يذهبون الى أن الكلام لا يسمى فصيحاً حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة ، وشدة جزالة . . . » (٢٩)

وقد سبقت الاشارة الى أنه ربما أراد بالقوم الذين شهدهم يشترطون في الفصاحة هذين الشرطين فضلاً عما سواهما من النعوت التي ذكرها جماعة المعتزلة وقد وقفنا على قول أبي هاشم الجبائي ورأينا إيثاره للفظ الفصاحة على البلاغة واشتراطه فيه ما اشترطه من جزالة اللفظ وحسن المعنى وقد نهج نهجه القاضي عبد الجبار بن أحمد الاسدآبادي — ٤١٥ هـ الذي أورد ماذكره أبو هاشم في فصل خاص ، أعقبه بأربعة فصول قصار ذكر الفصاحة في عنوان كل منها أولها « في الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام » (٣٠) والثاني « في بيان السبب

---

(٢٨) الصناعتين — ٧ — ٨

(٢٩) نفسه — ٨

(٣٠) المغني — ١٦/١٩٩

الذي له يصح الكلام في التفاضل في الفصاحة . » (٣١) والثالث « في أن العلوم التي معها يصح الكلام الفصيح لاتكون إلاضرورية » (٣٢) والرابع « في بيان صحة التحدي بالكلام الفصيح » (٣٣) وقد أوضح فيما ذهب اليهرأيالشيخ أبي هاشم وتلافى ما فيهمن ثغرات فأولى النظم عناية اكبر وخصّ الفصاحة به لا بإفراد الكلمات فقال « اعلم أن الفصاحة لا تظهر في افراد الكـــلام ، وانما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة . وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالاعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع ، وليس لهذه الاقسام الثلاثة رابع ، لأنه اما أن تعتبر فيه الكلمة ، أو حركاتها ، أو موقعها . ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة ، ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات،إذا انضم بعضها الى بعض لأنه قد يكون لهـــا عند الانضمام صفة ، وكذلك لـــكيفية إعرابها، وحركاتها وموقعها فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه ، إنما تظهرمزيةالفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها . » (٣٤)

ولقد آثر ابن سنان الخفاجي — ٤٦٦ هـ أن يعنون كتابه بعنوان « سر الفصاحة » وجاء في مقدمته قوله

« . . أما بعد : فاني لما رأيت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحقيقتها أودعت كتابي هذا طرفاً من شأنها ، وجملة من بيانها . . » (٣٥)

وأضاف قائلاً : « اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها ، فمن الواجب أن نبين ثمرة ذلك وفائدته لتقع الرغبة فيه ، فنقول : أما العلوم الأدبية فالأمر في تأثير هذا العلم فيها واضح ، لأن الزبدة منها ، والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه ، ونقده ، ومعرفة ما يختار منه مما يكره ، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة ، بل هو مقصور على المعرفة بها ....

(٣١) الى (٣٤) بحسب تواليها : المغني ١٦/٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ١٩٩

(٣٥) سر الفصاحة — ٣

وأما العلوم الشرعية فالمعجز الدال على نبوة محمد نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو القرآن .. والخلاف الظاهر فيما به كان معجزاً على قولين :

احدهما أنه خرق العادة بفصاحته، وجرى ذلك مجرى قلب العصا حيّةً .

وليس للذاهب الى هذا المذهب مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر .

القول الثاني أن وجه الاعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة ، مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف. وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة الى تحقق الفصاحة ماهي ، ليقطع على أنها كانت في مقدورهم ، من جنس فصاحتهم . . . فالدواعي الى معرفة ذلك قوية ، والحاجة ماسة شديدة » (٣٦) وهو بعد هذا كله حصر الفصاحة بالظهور والبيان وقصرها على الألفاظ فقال « الفصاحة : الظهور والبيان ، ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته ، وفصح ، فهو فصيح ، قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

ويقال أفصح الصبح ، إذا بدا ضوؤه ، وأفصح كل شيء إذا وضح . وفي الكتاب العزيز (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ، فارسله معي) وفصح النصارى : عيدهم . وقد تكلمت به العرب . قال حسان بن ثابت :

ودنا الفصح فالولائد ينظمن   سراعاً أكلة المرجان

ويجوز أن يكون ذلك لاعتقادهم أن عيسى عليه السلام ظهر فيه . . وسمي الكلام الفصيح فصيحاً ، كأنهم سموه بياناً لاعرابه عما عبر به عنه ، واظهاره له إظهاراً جلياً . روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » .

---

(٣٦) سر الفصاحة - ٣ - ٤

والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للالفاظ مع المعاني ، لايقال في كلمة واحدة لاتدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً ، كالذي يقع فيه الاسهاب في غير موضعه . . .

وفي البلاغة أقوال غير خارجة على هذا النحو ، واذا كانت الفصاحة شطرها وأحد جزأيها ، فكلامي على المقصود — وهو الفصاحة — غيير متميز إلا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما . . . » (٣٧)

وهذا الذي انتهى إليه يختلف اختلافاً ظاهراً عما بدأ به ، فأين يكون هذا الذي انتهى اليه من حصر الفصاحة بالظهور والبيان وقصرها على الألفاظ وعدها شطراً من البلاغـــة ، وما كان قد ذهب اليه في قوله : والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ، ومعرفة ما يختار منه مما يكره ، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة ، بل هو مقصور على المعرفة بها ، وحصر إعجاز القرآن الكريم في الفصاحة لافي البلاغة ، مع ماذهب الى تقريره من أن كل كلام بليغ فهو فصيح وليس كل فصيح بليغا . (٣٨)

ولست بصدد نقد كتابه ، فله قيمته التي لاتجحد في دراسة الحروف وتأليف الألفاظ وما يستساغ منها ويستقبح ، ويتآلف ويتنافر ، ولكن حديثه عن مفهوم الفصاحة وحدها لايتناسب وعنوان الكتاب والأهمية التي ذكرها لها في بدايـة حديثه عنها ، مع أنه لم يكد يبق شيئا من شـــروط الفصاحة إلا اشار اليه ، ولكن حقيقة الفصاحة وماهيتها شيء وشروطها شيء آخر .

واذا ما انتقلنا الى الشيخ عبد القاهر الجرجاني — ٤٧١ هـ رأينا له حديثاً عن الفصاحة لايكاد يفي به إلا بحث خاص فقد ذكر الأصل اللغوي لها بعد أن أوضح قصور ماقيل فيها إذا ماقيس بما قيل في غيرها من العلوم فقال :

---

(٣٧) سر الفصاحة — ٥٩ — ٦١

(٣٨) نفسه — ٣ وما بعدها

« واعلم أنك لاترى في الدنيا علما قد جرى الأمر فيه بَدِيئاً وأخيراً على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان ، أما البديء فهو أنك لاترى نوعاً من أنواع العلوم إلاواذا تأملت كلام الأولين الذين علموا الناس ، وجدت العبارة فيه اكثر من الاشارة والتصريح أغلب من التلويح ، والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا ، فانك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه ، وجدت جُلَّه أو كله رمزاً ووحياً ، وكناية وتعريضاً ، وإيماء الى الغرض من وجه لايفطن له إلا من غلغل الفكر ، وأدق النظر ، ومن يرجع طبعه الى ألمعية يقوى معها على الغامض ، ويصل بها الى الخفي ، حتى كأن بسلاً حراماً أن تتجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها ، وبادية الصفحة لاحجاب دونها ، وحتى كأن الافصاح بها حرام ، وذكرها إلاعلى سبيل الكناية والتعريض غير سائغ .

وأما الأخير ، فهو أنّا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء ومن العلوم أن يحفظوا كلاماً للاولين ، ويتدارسوه ، ويكلم به بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى ، ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم إن سُئلوا عنه بيان له وتفسير ، إلا علم الفصاحة ، فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظاً للقدماء ، وعبارات من قبل أن يعرفوا لها معنى أصلاً ، او يستطيعوا ان يُسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصح . . .

ولقد بلغ من قلة نظرهم أن قوماً منهم لما رأوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها أن توصف الألفاظ المفردة بالفصاحة ، ورأوا أبا العباس ثعلباً قد سمى كتابه « الفصيح » مع أنه لم يذكر فيه إلا اللغة والألفاظ المفردة — وكان محالاً إذا قيل : إن الشمع بفتح الميم أفصح من الشمع باسكانه أن يكون ذلك من أجل المعنى ، إذ ليس تفيد الفتحة في الميم شيئا في الذي سمي به — سبق الى قلوبهم ، أن حكم الوصف بالفصاحة أينما كان وفي أي شيء كان أن لايكون له مرجع الى المعنى البتة ، وأن يكون وصفاً للفظ في نفسه ومن حيث هو لفظ ،

ونطق لسان . ولم يعلموا أن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة : أنها في اللغة أثبت ، وفي استعمال الفصحاء اكثر ، أو أنها أجرى على مقاييس اللغة ، والقوانين التي وضعوها .

وأن الذي هو معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الابانة عن المعنى ، بدلالة قولهم : فصيح وأعجم . وقولهم : أفصح الأعجمي ، وفصح اللحان ، وأفصحّ الرجل بكذا : إذا صرح به . . (٣٩)

ولهذا سخر من تصور تفاضل الألفاظ المفردة في دلالاتها فقال :

« هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة ، حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ماهي موسومة به ، حتى يقال : إن (رجلاً) أدل على معناه من (فرس) على ماسمي به؟ ، وحتى يتصور في الاسمين الموضوعين لِشَيْءٍ واحد أن يكون هذا أحسن نبأ عنه ، وأبين كشفاً عن صورته من الآخر ؟ فيكون (الليث) مثلاً أدل على السبع المعلوم من (الاسد) ، وحتى أنا لو أردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية ساغ لنا أن نجعل لفظة (رجل) أدل على الآدمي الذكر من نظيره في الفارسية ؟ وهل يقع في وهم – وان جهد – أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم باكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ؟ ومما يكد اللسان أبعد ؟ . . (٤٠)

وهذا الذي ذكره خير ما يوضح عدم تفاضل الألفاظ المفردة في وضوح دلالاتها ، وتفاضلها انما يمكن ان يكون في خلوصها من الثقل والتنافر والغرابة وما الى ذلك مما صرح به ونص عليه من الألفة والخفة وائتلاف الحروف .

---

(٣٩) دلائل الاعجاز – ٣٤٩ – ٣٥٣

(٤٠) نفسه – ٣٥ – ٣٦

فلو أنه ذهب بالفصاحة الى الخلوص والصفاء والنقاء لما انتهى الى دفع الفصاحة عن الألفاظ المفردة . ولما كانت به حاجة الى أن يجهد نفسه من غير أن يفلح في دفعها عن الألفاظ المنتظمة كلاماً مع ما ذهب إليه من أن تعلق الفصاحة باللفظ شبهة ضعيفة فقال :

« وهذه شبهة اخرى ضعيفة ، عسى أن يتعلق بها متعلق ممن يقدم على القول من غيره رويّة . وهي أن يدعى أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي ، وتعديل مزاج الحروف ، حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان ، كالذي انشده الجاحظ من قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وقول ابن يسير :

لم يضرها والحمد لله شيء ... وانثنت نحو عزف نفس ذهول

قال الجاحظ : فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فانك ستجد بعض الفاظه تتبرأ من بعض . ويزعم أن الكلام في ذلك على طبقات : فمنه المتناهي في الثقل ، المفرط فيه كالذي مضى ، ومنه ما هو أخف منه ، كقول أبي تمام .

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي واذا مالمته ، لمته وحدي

ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان ، إلا أنه لا يبلغ أن يعاب به صاحبه ، ويشهر أمره في ذلك ، ويحفظ عليه . ويزعم أن الكلام إذا سلم من من ذلك ، وصفا من شوبه ، كان الفصيح المشاد به ، والمشار إليه . وأن الصفاء أيضاً يكون على مراتب يعاو بعضها بعضا ، وأن له غاية ، إذا انتهى اليها كان الاعجاز .

والذي يبطل هذه الشبهة — إن ذهب اليها ذاهب — أنّا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك ، وجعلناه المراد بها ، لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ، ومن أن تكون نظيرة لها . واذا فعلنا ذلك لم نخل من أحد أمرين :

إما أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ، ولا نعرج على غيره ، وإما أن نجعله أحد ما نفاضل به ، ووجها من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام . فان أخذنا بالأول ، ازمنا أن نقصر الفضيلة عليه ، حتى لا يكون الاعجاز إلا به ، وفي ذلك من الشناعة ما لا يخفى ، لأنه يؤدي الى أن لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وتصحيح الأقسام ، وحسن الترتيب والنظام ، والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل ، والاجمال ثم التفصيل ، ووضع الفصل والوصل موضعهما ، وتوفية الحذف والتأكيد ، والتقديم والتأخير شروطها — مدخل فيما له كان القرآن معجزاً ، حتى ندعي أنه لم يكن معجزاً من حيث هو بليغ ، ولا من حيث هو قول فصل ، وكلام شريف النظم بديع التأليف ، وذلك أنه لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف .

وإن أخذنا بالثاني ، وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام ، على الجملة ، لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا ، لانه ليس باكثر من أن يعمد الى الفصاحة فيخرجها من حيز البلاغة والبيان ، وأن تكون نظيرة لهما ، وفي عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة واشباه ذلك ، مما ينبئ عن شرف النظم ، وعن المزايا التي شرحت لك أمرها ، وأعلمتك جنسها ، أو يجعلها اسماً مشتركا ، يقع تارة لما تقع له تلك ، وأخرى لما يرجع الى سلامة اللفظ مما يثقل على اللسان ، وليس واحد من الأمرين بقادح فيما نحن بصدده . » (٤١)

وهكذا انتهى من دفع هذه الشبهة الضعيفة كما نعتها — بعدطول العناء — الى التسليم التام بامكان إطلاق الفصاحة على تلاؤم حروف الألفاظ وسلامة اللفظ أو خلوصه مما يثقل على اللسان ، وإمكان عدها — إن أريد بها الخلوص أو

(٤١) دلائل الاعجاز — ٤٥ — ٤٧

السلامة — وجهاً مما يفاضل به بين كلام وكلام . وأن الفصاحة بهذا المفهوم لا تكلفنا اكثر من أن لا نجعلها نظيرة للبلاغة . وعلام نجعلها نظيرة لها ولا نكتفي بعدّها ضرورة لازمة لها تؤخذ بنظر الاعتبار في المفاضلة بين كلام وكلام. وعندها يكون القرآن الكريم معجزاً بفصاحته وبلاغته أو ببلاغته المتضمنة لفصاحته أي أنه معجز بالنظم والمنظوم كليهما وهذا اولى من القول باعجازه في النظم دون المنظوم أو بالبلاغة المناظرة للفصاحة ، ولكن الشيخ عبدالقاهر آثر أن يجعل الفصاحة — مع معرفته الدقيقة بها ومناقشته العميقة المستفيضة لأبرز ما قيل فيها — نظيرة البلاغة والبيان والبراعة وما إليها فقال :

« في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ، وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم .. » (٤٢)

فهو وما آثره .. فما آثر هذا الذي آثره الا لأشعريته ، لا لجهله بما بين لفظ الفصاحة والبلاغة من تباين لغة واصطلاحاً ، ولا لعدم الحدود بينهما ، فليس لمن هو أقل شأناً منه أن تختلط عليه حدودهما فضلاً عنه ومعروف من هو الشيخ عبدالقاهر الجرجاني علما وفطنة ، وقد رأينا أن الذين سبقوه كانوا قد فرقوا بين البلاغة والفصاحة بما علمه علم خبير به ، وجادل فيه جدال القدير المتمكن ، وفي الذي اوردناه له ما يدل على هذا دلالة واضحة . وأما فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) فقد نص على الخلوص في تعريفه للفصاحة فقال :

« .. وأما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد . وأصله من الفصيح ، وهو اللبن الذي أخذت عنه الرغوة ، أو ذهب لبؤه . وقد فصح وأفصح : إذا صار كذلك . وأفصحت الشاة : إذا فصح لبنها ، ثم قالوا : فصح الأعجمي

(٤٢) دلائل الاعجاز — ٣٥ .

فصاحة ، فهو فصيح : إذا خلصت لغته من اللكنة » (٤٣) .

وتابع الشيخ الجرجاني فيما سوى هذا من تعلق الفصاحة والبلاغة بالافادة المعنوية لا اللفظية التي يستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها حيث قال « ثم إن المقصود من الابحاث المتعلقة بالدلالة اللفظية فتنحصر في أمرين (احدهما) : استقصاء القول في أن الفصاحة والبلاغة لا يجوز عودهما الى الدلالة اللفظية .

(والآخر) : في بيان أن الفصاحة ، وان كانت غير عائدة الى الدلالة اللفظية لكن من الأمور العائدة الى جوهر اللفظ والى دلالاته الوضعية ما يفيد الكلام كمالاً وزينة وجمالاً . . » (٤٤)

وقد تابع السكاكي – ٦٢٦هـ – فخرالدين الرازي وعبدالقاهر الجرجاني فيما ذهب اليه فقال :

« وأما الفصاحة فهي قسمان : راجع الى المعنى ، وهو خلوص الكلام عن التعقيد ، وراجع الى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية ، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب ، الموثوق بعربيتهم أدور ، واستعمالهم لها اكثر ، لا مما أحدثها المولدون ، ولا مما أخطأت فيه ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة وأن تكون سليمة من التنافر .

والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثّر صاحبه فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه ، حتى يقسم فكرك ، ويشعب ظنك ، الى أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل ، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس الإ مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه. » (٤٥)

وقال ضياء الدين بن الاثير – ٦٣٧ هـ

« اعلم أن هذا باب متعذر على الوالج ، ومسلك متوعر على الناهج ،

---

(٤٣) نهاية الايجاز – ٩ (٤٤) نفسه – ١١ (٤٥) المفتاح – ٢٢١

ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه ، والبحث عنه ، ولم أجد من ذلك ما يعوّل عليه إلا القليل .

وغاية ما يقال في هذا الباب أن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي . يقال : أفصح الصبح : إذا ظهر : ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه، وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحـــة ، لأنه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات :

احدها : أنه اذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيناً لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً .

الوجه الآخر : انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيِّن ، فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص ، فان اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد ، ولا يكون ظاهراً لعمرو ، فهو إذاً فصيح عند هذا ، وغير فصيح عند هذا ، وليس كذلك ، بل الفصيح هو فصيح عند الجميع ، لاخلاف فيه بحال من من الاحوال ، لانه إذا تحقق حد الفصاحة ، وعرف ما هي ، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف .

الوجه الثالث : انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع ، وهو مع ذلك ظاهر بيّن ، ينبغي أن يكون فصيحاً ، وليس كذلك ، لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ ، لا وصف ، قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل : إن اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل .

ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها ، ولم يثبت عندي منها ما أعوّل عليه ، ولكثرة ملابستي هذا الفن ، ومعاركتي إياه ، انكشف لي السر فيه ، وسأوضحه في كتابي هذا ، وأحقق القول فيه فأقول :

ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة ، وانما كانت

بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم وانها ، دائرة في كلامهم ، وانما كانت مألوفة دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها ، وذلك أن ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا ، فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه . فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها ، ظهورها وبيانها ، فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن .

فان قيل : من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه ، وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه ؟

قلت في الجواب : ان هذا من الامور المحسوسة التي شاهدها من نفسها ، لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ، فالذي يستلذه السمع منها ، ويميل إليه هو الحسن ، والذي يكرهه ، وينفر عنه هو القبيح . ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير ، وصوت الشحرور ، ويميل إليها ، ويكره صوت الغراب ، وينفر عنه .. » (٤٦)

وهكذا أجهد ابن الأثير نفسه في غير ما طائل ، فما ذهب أحد الى أن الفصاحة غير الحسن ، ولو أنه وقف على حقيقة الفصاحة في أصل الوضع اللغوي ، لرأى انها الخلوص والنقاء والصفاء ، وأن الحسن — لهذا — ملازم لها من الوضع اللغوي ، وقد ذكر هذا الخلوص والنقاء والصفاء علماء اللغة الأوائل كالخليل وأبي عبيدة والأصمعي وابن الاعرابي وغيرهم ممن عاصرهم وجاء بعدهم ، فلو أنه أخذ بهذا لأعفى نفسه من كل هذا الجهد والعناء ، غير أنه ذهب الى الابانة والوضوح فأشكل عليه ما اشكل فأجهد نفسه في التماس العلاقة بين الابانة والحسن لكون الفصاحة نعتاً حميداً ، فأنهى الى ما ينازع فيه من جزمه بأن الفصاحة الابانة ، وأن أرباب النظم والنثر هم

(٤٦) المثل السائر — ١/١١٢ — ١١٥

الذين اختاروا الألفاظ الفصيحة ، واكثروا من استخدامها ، فبانت معانيها ، وكأن غيرهم من الناس لم يوهبوا القدرة على مجرد استحسان الحسن واستقباح القبيح من الاشياء وخص بهـــذا أرباب النظم والنثر وحدهم . وهو بعد هذا وذاك كان قد اقتصر في حديثه على فصاحة اللفظة المفردة دون المنتظمة في كلام فصيح ، ودون المتكلم .

وأما ابن الزملكاني — ٦٥١ هـ فلم يتحدث عن طبيعة الفصاحة ، واكتفى بتقسيم الكلام الفصيح على قسمين قائلا :

« القانون الرابع في معرفة الفصاحة : الكلام الفصيح لا يعدو قسمين : قسم تعزى المزية فيه الى اللفظ المفرد ، وقسم تعزى المزية فيه الى النظم ، فالأول الكناية والتمثيل الجاري على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه مجاز واتساع ، فمتى وقع ضرب من ذلك على شريطته اقتضى المزية .... — وأما ما تعزى المزية فيه الى النظم فهو الذي عقد له الركن الثاني . » (٤٧) فهو في هذا متابع للجرجاني متابعة تامة . وتابع شهاب الدين محمود الحلبي — ٧٢٥ هـ ما ذهب إليه الرازي في كون الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد . وإن كان قد أفاد مما ذهب اليه الأقدمون في كثير مما يشين اللفظ فقال : « والفصاحة : خلوص الكلام من التعقيد . وقيل : البلاغة في المعاني ، والفصاحة في الألفاظ . يقال . معنى بايغ ، ولفظ فصيح .

والفصاحة خاصة تقع على المفرد ، يقال : كلمة فصيحة ، ولايقال بليغة وأنت تريد المفرد ، فانه يقال للقصيدة كلمة ، كما قالوا : كلمة لبيد .

ففصاحة المفرد : خلوصه من تنافر الحروف ، كقول أعرابي سئل عن ناقته : (تركتها ترعى الهعخع) . وكقول امرئ القيس : (ذوائبه مستشزرات الى العلى) .. ومن الغرابة ، وهي أن تكون الكلمة وحشية ، كمـا قال عيسى

(٤٧) التبيان — ١٥٩ — ١٦٠

ابن عمر النحوي ، وقد سقط عن دابته : (مالكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جِنّة ، افرنقعوا عني) ، أي : اجتمعتم عَلَيّ ، تَنَحَّوا ..

ومن مخالفة القياس كقول الراجز : « الحمد لله العلي الأجلل » فان القياس الادغام . وأما فصاحة الكلام : فهي : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات والتعقيد ، فالضعف كما في قول الشاعر :

جزى ربه عني عَدِيَّ بن َحـاتم   جزاء الكلاب العاويات ، وقد فعل

فان رجوع الضمير الى المفعول يلزم منه رجوعه الى ما هو متأخر لفظاً ورتبة» .

والتنافر كقول القائل : « وليس قربَ قبر حرب قبر »

والتعقيد كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس الا مملكـاً   أبو أمه حَيٌّ أبوه يقاربـه

أراد أن يقول : وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا ملكا أبو أمه أبوه .»(٤٨)

وذهب النويري — ٧٣٣ هـ الى أن الفصاحة الخلوص أيضاً فقال : « وأما الفصاحة فهي مأخوذة من قولهم : أفصح اللبن : إذا أخذت عنه الرغوة . وقالوا : لا يسمى الفصيح فصيحا حتى تخاص لغته من اللكنة الاعجمية ، ولا توجد الفصاحة إلا في العرب . وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ ، والبلاغة في المعاني ، ويستدلون بقولهم : لفظ فصيح ، ومعنى بليغ ، ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ والمعاني ، والاكثرون عليه » (٤٩) . ولم يأت القزويني — ٧٣٩ هـ باكثر مما جاء به الذين سبقوه ، وآخرهم الحلبي فلم يزد في تلخيصه على قوله :

(٤٨) حسن التوسل — ١٠٣ — ١٠٤

(٤٩) نهاية الارب — ٦/٧ — ٧

« الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم . والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط فالفصاحة في المفرد : خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس .

فالتنافر نحو : « غدائره مستشزرات الى العلى » والغرابة نحو « وفاحماً ومرسناً مسرَّجا » أي كالسيف السُّرَيجي في الدقة والاستواء ، أو كالسِّراج في البريق واللمعان . والمخالفة نحو : « الحمد لله العلي الأجلل » .

قيل : ومن الكراهة في السمع نحو : « كريم الجرشّى شريف النسب » وفيه نظر . وفي الكلام : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد ، مع فصاحتها ، فالضعف نحو : ضرب غلامُهُ زيداً . والتنافر كقوله : « وليس قرب قبر حرب قبر »

وقوله :

« كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي »

والتعقيد : أن لا يكون الكلام ظاهراً على المراد لخلل ، إما في النظم ، كقول الفرزدق في خال هشام :

« وما مثله في الناس إلا مملكاً ابو أمه حيٌّ أبوه يقاربه »

أي : ليس مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه .

وإما في الانتقال ، كقول الآخر :

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فان الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع ، لا الى ما قصده من السرور .

قيل : ومن كثرة التكرار وتتابع الاضافات ، كقوله : « سبوح لها منها عليها شواهد » وقوله : « حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي » وفيه نظر .

وفي المتكلم : ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح » (٥٠) .

ولم يزد في ايضاحه على هذا الذي ذكره في تلخيصه غير ما يقتضيه الايضاح من الشرح ، فليس له أن يقول : « للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفهما به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام ، وكون الموصوف بهما المتكلم ، فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين فنقول : كل منهما تقع صفة لمعنيين ... » (٥١) فقد قال الذين سبقوه ما قاله هو من غير ما زيادة يمكن أن تحسب له .

ولقد فسر العلوي — ٧٤٩ هـ الفصاحة لغة بالبيان والظهور ، واصطلاحاً بالخلوص فقال : « الفصاحة — في اللغة — عبارة عن البيان والظهور . يقال : أفصح العجمي : اذا خلص كلامه عن اللكنة واللحن ، وأفصح اللبن : اذا ذهب عنه اللّبأ ، وزالت عنه الرغوة ، وأفصحت الشاة : إذا صفا لبنها عما يشوبه ، وأفصح الصبح : إذا ظهر وعلا ضوؤه . وفيه المثل : وأفصح الصبح لذي عينين » .

وفي مصطلح علم البيان : خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف والألفاظ جميعاً ، فمتى سلمت اللفظة الواحدة عن تنافر تركيبها ، ولم تكن من قبيل قولنا : عقجق ، ولا من قولهم : (الهعخع) وهو شجر ، وسلم تركيب الألفاظ عن التنافر أيضاً ، كما قيل :

(وليس قرب قبر حرب قبر) ... » (٥٢) .

وحدّ ابن قيم الجوزية — ٧٥١ هـ الفصاحة بأنها الخلوص من التعقيد

---

(٥٠) التلخيص — ٢٤ — ٣٢ ، وانظر الايضاح ١/٦٥ — ١٢١

(٥١) الايضاح — ١/٦٥ — ٦٦

(٥٢) الطراز — ١/١٠٣ — ١٠٤

فقال : « وأما الفصاحة : فهي خلوص الكلام من التعقيد ... قالوا : اشتقاقها من الفصيح : وهو اللبن الذي أخذت منه الرغوة وذهب لبؤه ، يقال : فصح الرجل إذا صار كذلك ، وأفصحت الشاة : إذا فصح لبنها ... وقال قوم من أرباب علم البيان : الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد ... وقال قوم : البلاغة في المعاني ، والفصاحة في الألفاظ ، يقال معنى بليغ ، ولفظ فصيح .

وليست الفصاحة والبلاغة مختصين بالألفاظ العربية ، وانما يطلقان على كل ما لفظه غريب ، وفهمه قريب . » (٥٣) .

ولم يأت شراح التلخيص بأكثر مما جاء به القزويني غير مناقشتهم المنطقية العقيمة لتفسيره الفصاحة في المفرد بخلوصه ... وما في هذا التفسير من تسامح ، لانه تعريف بالأمور العدمية ، والتعريف انما يكون — كما ذهبوا — بالذاتيات ، أو الخواص الوجودية ، وانتهائهم بعد كل الذي أوردوه في في مناقشتهم الى جواز التعريف (٥٤) .

كما أنهم — ما سوى السبكي منهم — أشاروا الى ما لم يشر إليه القزويني ولا السكاكي من أن الفصاحة في اللغة أو في الأصل تنبئ عن الظهور والابانة .

فقال التفتازاني — ٧٩١ هـ : « الفصاحة : وهي في الأصل تنبئ عن الظهور والابانة » (٥٥) وعقب الدسوقي — ١٢٣٠ هـ على هذا بقوله :

« قوله (في الأصل) أي في اللغة ، لما كان الواقع في كتب اللغة ذكر معان متعددة للفصاحة ، وكلها يدل على الظهور ، ولما لم يتحقق الشارح من

(٥٣) الفوائد — ٩

(٥٤) انظر عروس الأفراح ، ومختصر السعد ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي ، كلها ضمن شروح التلخيص — ١/٧٦ — ٧٧

(٥٥) مختصر السعد ضمن شروح التلخيص

تلك المعاني ، الحقيقي من المجازي لما وقع في ذلك من الاختلاف والاشتباه أتى في بيانها — أي الفصاحة — بما يجمع معانيها الحقيقية والمجازية ، وهو الانباء عن الظهور والابانة » (٥٦) .

وقال المغربي — ١١١٠هـ :

« الفصاحة : وهي في اللغة لا تخلو عن معنى الظهور ، فيكون فعلها لازماً ، كقولهم : فصح اللبن إذا ظهر من رغوته . أو عن الابانة فيكون فعلها — في المعنى — متعـــدياً ، كأفصح الاعجمي : أبان مراده . ونقلت — عرفاً — الى وصف الكلمة والكلام والمتكلم ، لا يخلو ذلك الوصف من وضوح وظهور ، فهي حقيقة عرفية » (٥٧) .

ولقد عرف الشريف الجرجاني — ٨١٦ هـ الفصاحة — لغة — بالابانة والظهور فقال : الفصاحة في اللغة عبـــارة عن الابانة والظهور .. وهي في المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس . وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات مع فصاحتها ... وفي المتكلم : ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح . » (٥٨) .

واكتفى السيوطي — ٩١١ هـ بما ذهب إليه القزويني فلم يشر الى أصل الفصاحة اللغوي . ولم ينبه على ما نبه عليه الذين داروا في فلك التلخيص من تسامح في تفسير الفصاحة بالخلوص . (٥٩)

أما المحدثون والمعاصرون من المعنيين بالبلاغة فقد ذهب اكثر الذين تحدثوا عن الفصاحة — ان لم أقل كلهم — الى ربطها بالابانة أو الظهور فقال المراغي :

(٥٦) حاشية الدسوقي
(٥٧) مواهب الفتاح
(٥٨) التعريفات — ١٤٦
(٥٩) عقود الجمان — ٤ — ٨

« للفصاحة لغة معان متعددة ، كلها تشف عن الظهور والابانة ..» (٦٠)

وقال علي الجارم ومصطفى أمين :

« الفصاحة : الظهور والبيان .. » (٦١) .

وقال الهاشمي :

« الفصاحة تطلق في اللغة على معان كثيرة ، منها البيان والظهور ... والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني : عبارة عن الالفاظ البينة الظاهرة ، المتبادرة الى الفهم ، المأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها . وهي تقع وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم . . » (٦٢) .

وقال محمد السباعي :

« الفصاحة في اللغة تنبئ عن البيان والظهور ... والفصاحة تأتي وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم . فيقال : ان الكلمة فصيحة عندما تكون خالصة من الشوائب » (٦٣) .

وقال الدكتور جميل سعيد :

« والفصاحة في اللغة البيان والظهور .. هذه هي الفصاحة في اللغة : وضوح وبيان ، والبلاغيون قد اطلقوها على التعبير حين يكون واضحاً بينا ... ونرى من كلام ابن سنان هذا أن الكلام عندهم لا يوصف بالفصاحة الا اذا كان واضحاً مفهوما .. » (٦٤) .

وقال الدكتور أحمد مطلوب :

« .. وفي هذا يتضح معنى البيان والظهور في كلمة (الفصاحة) . وليس

---

(٦٠) علوم البلاغة — ١٧

(٦١) البلاغة الواضحة — ٥

(٦٢) جواهر البلاغة — ٦ — ٧

(٦٣) البيان في اعجاز القرآن — ١٩ .

(٦٤) دروس في البلاغة وتطورها — ١٠٤ — ١٠٦

هذا المعنى بالبعيد عن الدلالة الاولى ، ولا عن المعنـى الذي اصطلح عليه علماء البلاغة ، وهو رقة الألفاظ وجمالها ، أو بيان التعبير ووضوحه »(٦٥) .

واكتفى الدكتور بدوي طبانة بما نقله فيها عن أبي هلال العسكري من غيرما تمهيد له أو تعقيب عليه ، وتابع القزويني في فصاحة الكلمة والكلام والمتكلم (٦٦) واذا كان الايضاح في الفصاحة قد اشكل على ابن الاثير — اذ رأى أن ليس كل واضح من الكلام فصيحا — فانتهج منهجاً انتهى به الى التوفيق بينهما بما أرضاه ، فقـد استوقف هذا الايضاح استاذي الدكتور عبدالرزاق محيي الدين فانتهى الى أن اشتراط الوضوح في الفصاحة غير وارد ، ومفروض لا تؤيده أرقى النصوص الفصيحة ، وتحدث في هذا وأطال الحديث قائلا :

« في مقدمة ما تدور في نفسي مراجعته هذان المصطلحان : كلمتا (الفصاحة) و (البلاغة) ، ماذا تعنيان ، وبأي شروط يتحقق مفهومهما ، وما واقع الصلة بين هذا المفهوم في حدود شروطه بالآثار الأدبية قديماً وحديثاً ، وهل هناك احساس بالصلة بينهما وبين الأثر الأدبي عن الحكم عليه ؟؟ .... فالفصاحة — كما هو معلوم — كانت تستعمل بمعنى البلاغة ، والبلاغة كانت تستعمل بمعنى الفصاحة ، والبيان يعني أحدهما ، والاثنين معاً احيانا ، وربما قام مقامهما الايضاح والبراعة والبديع . واستمر هذا التداخل في مفهوم المصطلحين عهداً لا يقل عن مائتي عام ، منذ تلمست أصول هذا العلم الى أن استقرت على يد البلاغيين في القرن الخامس الهجري فما يليه .

(٦٥) مصطلحات بلاغية — ١٠ ، اساليب بلاغية — ١٢ ، البلاغة العربية — ٣٠ ، البلاغة والتطبيق — له بالاشتراك مع الدكتور حسن البصير ٣٦ ، أنظر البلاغة للصفين الرابـع والخامس الاعداديين للمدارس الاسلامية — له بالاشتراك مع الدكتور حامد ملاحويش ، وعبد الرضا صادق — ١٥

(٦٦) معجم البلاغة العربية — ٢/٦٤٣ — ٦٤٧

وكان ما انتهى إليه الأمر في كلمة (الفصاحة) مصطلحاً بلاغياً أن كانت صفة للفظ المفرد ، وللألفاظ المؤلفة ، وهي تعني فيهما الوضوح والظهور والابانة . ولتحقيق الوضوح اشترط خلوص المفردة من تنافر الحروف ، ومخالفة القياس الصرفي ، ومن الغرابة . واشترط خلوص الكلام من ذلك ، ومن مخالفة القواعد النحوية المستقرة ، ومن التعقيد اللفظي والمعنوي ...

ونبدأ الآن بالكلام على مصطلح الفصاحة بالمعنى الذي قرر له ، وهي أن تكون الكلمة ظاهرة المعنى شائعة الاستعمال فيه على وجه لا يحتاج فهمها الى جهد ، أو تنقير في كتب اللغة .

وقبل مناقشة قضية الوضوح لابد من تقديم ملاحظة حرية بالتركيز والعناية وهي اننا نستعمل مصطلح الفصاحة من أجل وصف النص الادبي بصفة الجودة والتميز عن الكلام المبتذل السائر الخالي من الخصائص البيانية ... ان الذي بين أيدينا من نصوص عربية ما كان منها جاهلياً قبل ظهور الاسلام واسلامياً بعد ظهوره ، ثم ما جرى على منوالها من روائع النثر وبديع الشعر ليس بالذي لا نحتاج في فهم مفرداته الى بذل جهد ، ولا بالذي لا نحتاج في استجلائه الى تفسير وتلق أحيانا .

ونحن على غير يقين في أن يكون العرب ، غالب العرب في الجاهلية يفهمون مفردات المعلقات ، ويدركون معانيها ، بحيث لا يحتاج قسم منهم الى من يشرح له مفرداتها فيما تعني ، والابيات فيما ترمي إليه .

إننا إذ نفترض للعربي في الجاهلية هذا الفهم الواسع والاحاطة الشاملة بمعاني المفردات ، والادراك الأدبي لخصائص القول نكون قد افترضنا لكل منهم قاموساً لغوياً واسعاً يتحدث به ، أو يتحدث إليه به يقارب في سعته القواميس الموسعة التي تشرح المفردات الواردة في الأدب العربي ، والاسرار البلاغية التي كشف عنها الاعلام الدارسون بعد دراسة عشرات من السنين .

ان القرآن الكريم على ما تميز به واختص به من وضوح ، وما اختارت العناية الالهية له من الفاظ شائعة وناصعة ما كان بعض العرب المسلمين يغنون عن تفسير بعض مفرداته أو تفسير بعض متشابهه . ولقد ظهر التفسير بالرواية في صدر الاسلام قبل التفسير بالدراية وهو عادة تفسير لمعاني المفردات القرآنية والآي الكريم عن طريق السماع وليس عن طريق الفهم الشخصي .

وكانوا يلجأون الى التفسير بالرواية تورعاً وتأثما من الاجتراء على تفسير المفردة ، أو معنى الآية بحملها عن طريق الفهم الشخصي ، وهذا يكشف عن أن الوضوح المطلق ، وظهور المعنى لدى العرب كافة أمر متعذر الحصول ، ولم يتفق للنصوص الأدبية في عصورها التي ظهرت فيها فضلاً عن العصور التي تلتها .

لقد ألفت في غريب القرآن الكريم وفي غريب الحديث كتب كثيرة ، ولم يك كل ذلك في تبيان المعاني المجازية فيه ، بل كان بعض منها معنياً بشرح المفردات اللغوية ، كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة .... وهذا يؤكد أن الوضوح الذي اشترطه على البلاغة في المفردات والتركيب ليس منتزعاً من واقع الآثار الأدبية الرفيعة التي يقف القرآن الكريم على قمتها وفي مكان القدوة الممتنعة منها . . . ولست أقصد أن يكون الغموض شرطاً في البيان الذي يبلغ درجة التميز والتفوق ، ولكن البيان المتميز في أفضل الاحوال لن يكون فهمه في متناول الناس كافة ، بل انه لن يكون حتى للممارسين له بهذه الدرجة من المواتاة ، فلابد من اشتراط الوضوح في حدود معاناة ادبية ، وليس باليسر المتناهي الذي نغنى فيه عن البحث في معنى المفردة وعن الخاصة البيانية التي من وراء التعبير .. » (٦٧) .

ومن هذا يتضح أن تفسير الفصاحة بالابانة والايضاح والاظهار كان

(٦٧) مفاهيم بلاغية — ٢— ٦

مبعث اشكال وحيرة وتساؤل ، لغير واحد من المعنيين بالبلاغة ، دعاهم الى الحديث عما بين اللفظ وتفسيره من صلة ، ولوكان الوضوح الذي فسرت به به الفصاحة وفيا بمفهومها لما كانت مثل هذه الحيرة والتساؤل ، ولما عدل عن الوضوح الى الخلوص في الحديث عن شروطها ، ولما أدخل البلاغيون في هذه الشروط مالا صلة له بالوضوح أصلا ، وهي كل ما يتصل بالجانب اللفظي أو الصوتي ، وهي اكثر هذه الشروط أو كلها ما سوى غرابة المعنى وسقوطه .

فلو أننا عدلنا عن الوضوح في تفسيرها الى الخلوص لوقفنا على حقيقة لوقفنا مفهومها ، ومهدنا بما يقنع للحديث عن شروطها ، من خلوص من الغرابة والثقل والتنافر واللحن وما إليها من عيوب الكلام ، وأبقينا في الوقت ذاته على الوضوح الذي حرصنا عليه في الحديث عنها ، فدلالة الخلوص على الابانة والوضوح والظهور من تحصيل الحاصل ، فالاشياء لا تظهر وتتضح وتبين كما ينبغي الا إذا تخلصت مما يشوبها او يحجبها ولتخلصنا بهذا مما في الابانة والوضوح والظهور من قصور في الوفاء بمفهوم الفصاحة ، فما كل واضح بفصيح .

ونحن بهذا لم نبتدع للفصاحة هذه الدلالة ، وإنما هي دلالتها الصحيحة الموروثة ، التي ذكرها علماؤنا ، من مفسرين ولغويين وبلاغيين كما اسفر عنها التحقيق اللغوي الذي أجريناه والاستقراء أو التتبع الذي تتبعناه لأقوالهم فيها وما تفضي اليه . ويكفي في هذا كله مجرد التذكير بما ذهب اليه ابن فارس في دلالة المادة اللغوية (الفاء والصاد والحاء) على خلوص في شيءٍ ، ونقاء من الشوب ، ومتابعة الراغب الاصفهاني له فيما ذهب إليه ، وما يؤيدهما فيه مما ورد في المعاجم اللغوية المؤلفة قبلهما وبعدهما ، كقول العرب : أفصحت الشاة : خلص لبنها ، وافصح البول : صفا ، فضلاً عما نقله ابو عبيدة عن العرب من قولهم للفرس والبعير ان كان صافي الصهيل ، وصافي

الهدير : انه لفصيح الصهيل ، وانه لفصيح الهدير ، فان هذا وحده لا يدع زيادة لمستزيد في دلالة الفصاحة على الخلوص والصفاء والنقاء ، ولو كانت دالة على مجرد الابانة والظهور والوضوح لكان الصهيل ، والهـدير فصيحين عند صفائهما وعدمه .

ولو لم تكن الفصاحة الخلوص لما كان الفصيح : من خلص من الرتة والكشكشة والشنشنة والغمغمة ، والطمطمة ، والتمتمة ، والفأفأة ، والعقلة ، والحبسة ، واللكنة ، واللثغة ، وغيرها من عيوب النطق . ولما عرف البلاغيون فصاحة اللفظ — مفرداً غير منظوم ومركبا منظوماً — بخلوصه من كذا وكذا من عيوب الكلام .

فالفصاحة لغة واصطلاحا انما هي الخلوص والصفاء والنقاء وليست شيئا آخر .



★ ★ ★

الأمثال الكامنة في القرآن

للحسين بن الفضل

المتوفى سنة ٢٨٢ هـ

تحقيق

الدكتور علي حسين البواب

جامعة الأمام محمد بن سعود / الرياض

كلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين . والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياء والمرسلين .

أما بعد

فقد تعدّدت المباحث والمؤلّفات حول القرآن الكريم وعلومه وتنوّعت ، ولم يدع العلماء مسألة او موضوعاً في القرآن الكريم يلزم البحث فيه إلا تناولوه واشبعوه تمحيصاً ودرساً .

وفي الرسالة التي بين أيدينا بحث طريف فريد من البحوث التي خدمت القرآن الكريم ، حاول المؤلّف الربط بين بعض الآيات القرآنية وأمثال العرب وأقوالهم ، بحيث يُخرّج بعض ما قالت العرب وسار على ألسنتها — يخرّجه من القرآن الكريم ، وهو ما سُمّي بـ (الأمثال الكامنة في القرآن الكريم) . وأبدأ تقديمي لهذه الرسالة بالحديث عن (الأمثال) ، فأقول :

تعني لفظة المثل في اللغة : الشبه ، فالمِثْل ، والمَثَل ، والمَثيل ، كالشِبْه ، والشَبَه ، والشبيه ، وزناً ومعنى . يقال : هذا مثل ذاك . ومَثَل الشيْ :

صفته ، والمَثَل: العبرة . وقد مَثّل به ، وامتثله ، وتمثّلَه ، وتمثّل به (١) .

قال أبو هلال العسكري في « جمهرة الأمثال » : « أصل المثل : التماثل بين الشيئين في الكلام ، وهو من قولك : هذا مِثْل الشيءُ ومَثَله ، كما تقول : شِبْهه وشَبَهه ، ثم جُعل كلّ حكمة سائرة مثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثّل به ، إلاّ أنه لا يتّفق أن يسير فلا يكون مثلاً » . (٢) .

وفي « مجمع الأمثال » للميداني : « قال المبرد : المَثَل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يُشَبّه به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه ، فقولهم : مَثَلَ بين يديه : اذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة ..

وقال ابن السكّيت : المثل لفظٌ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبّهوه بالمثال الذي يعمل على غيره .

وقال غيرهما: سُمّيت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صُوَرها في العقول ، مشتقّة من المثول الذي هو الانتصاب » (٣) .

وفي « مفردات » الراغب : « والمثل : عبارة عن قول في شيءٌ يشبه قولاً في شيءٌ آخر ، بينهما مشابهة ، ليبين أحدهما الآخر ويصّوره » (٤) .

وقد اعتنى العرب بالأمثال ، واستعملوها كثيراً ، وضربوها في شتى الموضوعات والمناسبات ، لما فيها من ايجاز العبارة ، ودقّة التعبير ، وحسن الكناية :

قال أبو عبيد : « ... وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها تعارض كلامها » فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكناية غير

(١) ينظر لسان العرب ، والقاموس المحيط — مثل .
(٢) جمهرة الأمثال : ٧/١ .
(٣) مجمع الأمثال : ٥/١ ، ٦.
(٤) المفردات : ٧٠٠ .

تصريح ، فيجتمع بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه » (٥) .

وقال ابن المقنع : « إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وآنقَ للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » (٦) .

وقال الفارابي : « المثل : ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى ابتذلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السرّاء والضرّاء ، واستدرّوا به الممتنع من الدرّ ، ووصلوا به الى المطالب القصيّة ، وتعرّجوا عن الكرب والمكربة ، وهو من أبلغ الحكمة ، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة ، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النّفاسة » (٧) .

وقال ابن الاثير : « فلمّا كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي تُلَوّح بها على المعاني تلويحاً ، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً ، ومن أجل ذلك قيل في حدّ المثل : إنّه القول الوجيز المرسل ليُعملَ به »(٨).

ووصف ابنُ عبد ربّه الأمثال بأنها « وَشْيُ الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحَلْي المعاني ، والتي تخيّرتها العرب ، ونُطق بها في كلّ زمان على كلّ لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيءٌ مسيرها ، ولاعمّ عمومها ، حتى قيل : أسير من مثل » (٩) .

ولما كان للأمثال أثرها في تقريب المراد ، ودورها في توضيح الغائب ، وتشبيه الخفيّ بالجليّ ، ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم :

---

(٥) كتاب الأمثال : ٣٤

(٦) مجمع الأمثال : ٦/١ .

(٧) المزهر للسيوطي : ٤٨٦/١ .

(٨) المثل السائد : ٦٣/١ .

(٩) العقد الفريد : ٦٣/٣ .

وقد ذكر الزركشيّ أن من حكمة الله تعالى تعليم البيان ، وهو من خصائص هذه الشريعة ، والمثلُ أعون شيءٍ على البيان (١٠) .

ويستفاد من الأمثال في القرآن أمور كثيرة : كالتذكير ، والوعظ ، والحثّ والزجر ، والاعتبار والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره . تصوير المحسوس ، والأمثال أثبت في الأذهان (١١) .

والامثال في القرآن الكريم على ضربين : ظاهرة ، وكامنة (١٢) :

فالأمثال الظاهرة في القرآن الكريم هي عبارة عن تشبيه شيءٍ بآخر ، أو تمثيل صورة غائبة بصورة مشاهدة محسوسة ، ليسهل تصوّرها وإدراكها .

فمن ذلك قوله تعالى عن المنافقين : « مَثَلُهم كمَثَلِ الذي استَوْقَدَ ناراً فلمّا أضاءَتْ ما حولَه ذهبَ الله بنورِهم وتركَهُمْ في ظُلُماتٍ لا يُبْصرون » (١٣) .

وقوله تعالى : « مَثَلُ الذين يُنفقون أموالَهم في سبيل اللهِ كمَثَلِ حبّةٍ أنبتَتْ سبْعَ سنابِلَ في كلِّ سُنبلة مائةُ حبّة . »(١٤) .

وقوله تعالى : « مَثَلُ الّذين اتّخذوا من دونِ اللهِ أولياءَ كمَثَلِ العنكبوتِ اتّخذَت بيْتاً » (١٥) .

وقوله عزّوجل : « مَثَلُ الّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لم يَحْمِلوها كمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً » (١٦) .

(١٠) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٨٧/١ .
(١١) البرهان ٤٨٧/١ ، ومعترك الأقران للسيوطي : ٤٦٥/١
(١٢) البرهان ٤٨٦/١ ، ومعترك الأقران ٤٦٦/١ .
(١٣) سورة البقرة : ١٧
(١٤) سورة البقرة : ٢٦١
(١٥) سورة العنكبوت : ٤١ .
(١٦) سورة الجمعة : ٥ .

وقد تحدّث العلماء عن هذه الأمثال والصور ، وأوضحوا ما فيها من الإعجاز والبيان . ويلحظ أنْ المثل القرآنيّ هنا يعني تشبيه شيْ بآخر ، وهو يختلف عن المثل في الاستعمال الاصطلاحي ، الذي هو القول المشهور ، والعبارة المرسلة ، التي تحمل معنى وعبرة ، وتشير إلى قصة وحادثة .

والنوع الثاني من الأمثال هو (الأمثال الكامنة) . وهي عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة توافق في معناها بعض الآيات القرآنية : فقول العرب : (إنّ الحديدَ بالحديد يُفلح) يقال : إنّه قريب من قوله تعالى: « وجزاءُ سيئةٍ سيّئةٌ مثلُها » (١٧). وقولهم : (من نكحَ الحسناءَ يُعطِ مهرَها) يوافق معنى قوله تعالى : « لن تنالوا البِرّ حتّى تُنفقوا ممّا تُحبّون » (١٨) ... وقد أطلقوا على هذا النوع (الأمثال الكامنة في القرآن الكريم)

وقد ألّف علماء العربيّة عدداً من المؤلفات في أمثال القرآن ، منها : (١٩).

— الأمثال في الكتاب والسنّة ، لمحمد بن علي بن الحسن ، الحكيم الترمذي ، توفي بعد سنة ٣١٨ هـ (٢٠) (*)

— أمثال القرآن ، لإبراهيم بن محمد بن عرفة ، نفطويه ، المتوفى سنة ٣٢٣هـ

— كتاب الأمثال لمحمد بن الجنيد المتوفّى بعد الثلاثمائة (٢١) .

— أمثال القرآن ، لأبي عبدالله ، محمد بن حسين السلمي النيسابوري ، توفي سنة ٤٠٦ هـ (٢٢) .

---

(١٧) سورة الشورى : ٤٠ .

(١٨) سورة آل عمران : ٩٢ .

(١٩) ينظر الأمثال العربية القديمة لزولهايم ٣٦ .

(٢٠) ينظر تاريخ التراث العربي — سزكين ١٤٨/٤ .

(*) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٧٢/١ . وذكر ابن النديم في الفهرست ٩٠ أن لنفطويه كتاب (الأمثال)

(٢١) الفهرست ٤١ ، ٢٣٨ .

(٢٢) كشف الظنون ١٦٨/١ . والنيسابوري هو الذي روى الكتاب الذي سنقدمه ، وقد يكون نسبة هذا الكتاب إليه في الكشف خلطاً مع مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا .

ـ أمثال القرآن ، لأبي الحسن ، علي بن محمد ، الماوردي ، توفّي سنة ٤٥٠ هـ (٢٣) .

ـ أمثال القرآن لابن القيم الجوزيّة ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ (٢٤) .

ـ رسالة في أمثال القرآن ، لأحمد بن عبدالله الكوزكاني ، طبعت سنة ١٣٢٤ هـ (٢٥) طبع حجر .

ـ الأمثال الكامنة في القرآن ، لأبي محمد ، الحسن بن عبدالله بن اسحق القضاعي (٢٦) .

ـ الأمثال الكامنة في القرآن ـ التي سنقدّمها .



أما الرسالة التي بين أيدنا فهي ضمن مجموع تحتفظ به مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنوّرة ، وقد كتب في أوّل المخطوط : « حدّثنا أبو العباس أحمد بن ابراهيم الرازي ، قال : حدّثنا الشيخ أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفرغان ، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين ، المفسّر النيسابوري ، قال : سمعت أبا اسحق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم بن طوق ، قال : سمعت أبي يقول : سألت الحسن بن الفضيل ، فقلت : إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ..... »

وقد بحثت كثيراً عن صاحب الكتاب وعنوانه ، الى أن وجدت في « فهرسة ابن خير الإشبيلي » المتوفّى سنة ٥٧٥ هـ :

« كتاب الأمثال الكامنة في القرآن أيضاً ، استخراج الحسن بن الفضل رحمه الله ، حدّثني به الشيخ الإمام الراوية أبو القاسم خلف بن عبدالملك

---

(٢٣) كشف الظنون : ١٦٨/١ .
(٢٤) المصدر السابق ، وقد طبع في مكة المكرمة بتحقيق د . ناصر الرشيد .
(٢٥) الأمثال العربية القديمة : ٣٦ .
(٢٦) فهرسة ابن خير الأشبيلي : ٧٥ .

الأنصاري قراءةً مني عليه ، قال : أخبرني به أبو القاسم خلف بن محمد بن عبدالله بن صواب اللخمي إجازة ، قال : وسمعتها من لفظ صاحبنا أبي إسحق إبراهيم بن يحيى ، عنه ، قال : حدثنا أبو مروان عبدالملك بن زيادة الله التميمي الطبني رحمه الله ، قراءة عليه ، ومرّة سماعاً منه ، ونسخته من كتابه قال : أخبرنا أبو الخطاب هبة الله بن عمّار الكرماني الصوفي . وكتبه لي بخطه في ربيع سنة ٤٣٨ بالاسكندرية ، قال : أخبرنا أبو الفتح محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الفرغاني ، قال : سمعت الشيخ الصالح أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسّر النيسابوري يقول : سمعت أبا اسحق ابراهيم ابن مضارب بن ابراهيم يقول : سمعت أبي يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت : إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله (خير الأمور أوساطها) قال : نعم ، في اربعة مواضع . وساق الكتاب الى آخره » (٢٧) .

فهو هنا يتّفق مع المخطوطة التي بين أيدينا في رواية الكتاب عن أبي الفتح محمد بن اسماعيل الفرغاني ، عن ابراهيم بن مضارب ، عن أبيه ،عن المؤلف . ويصوّب بعض ما وقع في سند الكتاب من أخطاء . فالفرغان هو الفرغاني ، والنيسابوري : هو الحسن بن محمد بن حبيب المفسّر .

وفي كتابي السيوطي : « الإتقان » و « معترك الأقران » :

قال الماوردي (علي بن محمد المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) : سمعت أبا اسحق إبراهيم بن مضارب يقول : سمعت أبي يقول سألت ... » (٢٨) .

فالماوردي ينقل الكتاب هنا عن ابن مضارب أيضاً عن أبيه عن صاحب الكتاب .

(٢٧) فهرسة مارواه ابن خير الأشبيلي عن شيوخه : ٧٥ .

(٢٨) الإتقان ١٣٢/٢ ، ومعترك الأقران ٤٦٨/١ .

وقد بحثت كثيراً في كتب التراجم عن هذه السلسلة من العلماء ، فممن اهتديت الى ترجمته : الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب ، أبو القاسم النيسابوري ، المفسّر الواعظ ... روى عنه أبو الفتح محمد بن اساعيل الفرغاني .. مات النيسابوري سنة ٤٠٦ ﻫ (٢٩) .

فالنيسابوري الذي سمع الكتاب عن إبراهيم بن مضارب معروف ، وقد سمع منه الفرغاني . كما أنّ الماوردي وهو من ثقات العلماء قد سمع عن ابن مضارب أيضاً ، الذي لم اقف على ترجمة له ، ولا لأبيه .

أمّا راوي الكتاب (أبو العباس الرازي) فقد وقفت في أحد الكتب على ذكر له ، في حديث نقله الإمام أبو عمرو الداني قال : (حدثنا سلمون ابن داود القروي ، قال : حدثنا أبو العباس ، أحمد بن الحسين بن ابراهيم الرازي قال ...) (٣٠) .

أمّا صاحب الرسالة فجاء في المخطوطة أنه (الحسن بن الفضيل) . وفي فهرسة ابن خير والبرهان (الحسن بن فضل) (٣١) . ومثله في الطبعة المتداولة غير المحققة من الإتقان (٣٢) . أما في معترك الأقران ، والاتقان – الطبعة المحققة فهو (الحسين بن الفضل) (٣٣) .

وقد بحثت في كتب التراجم عن صاحب الكتاب ، ووجدت أن أصحَ من ينسب له هو (الحسين بن الفضل) المتوفى سنة ٢٨٢ ﻫ . فهو عالم معروف ، والفترة التي عاش فيها تتناسب مع ناقلي الكتاب .

(٢٩) طبقات الحفاظ للسيوطي : ٤٤ .
(٣٠) شرح قصيدة أبـي مزاحم الخاقاني في التجويد ، لأبي عمرو الداني ، مخطوط بجامعة الامام – ورقة ١٣٠ ب .
(٣١) فهرسة ابن خير ٧٥ ، والبرهان ٤٨٦/١ .
(٣٢) الاتقان ١٣٢/٢ .
(٣٣) معترك الأقران ٤٦٨/١ . والإتقان – المحققة ٤ /٤١ . ولم ينبه محقق الكتاب على اختلاف النسخة المطبوعة عما أثبت ، ولماذا رجح (الحسين) !

والمؤلّف الذي نسبنا اليه الرسالة هو : الحسين بن الفضل ، البجلي ، الكوفي ، أبو علي العلاّمة المفسّر ، نزيل نيسابور . كان إمام عصره في معاني القرآن . أنزله عبدالله بن طاهر (٣٤) في الدار التي ابتاعها له سنة ٢١٧ هـ ، فبقي فيها يعلم النّاس خمساً وستين سنة ، ومات وله مائة وأربع سنين سنة ٢٨٢ هـ . قيل : لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان من عجائبهم . وكان من أفصح النّاس لساناً ، يصلّي في اليوم والليلة ستمائة ركعة .... (٣٥)

والكتاب عبارة عن أسئلة سُئلها المؤلّف — الذي كان يخرّج الأمثال من القرآن الكريم . يتكرر في كلّ سؤال عبارة : هل تجد في كتاب الله ... ؟ ويذكر أحد الأمثال أو اقوال العرب . فيجيب المؤلّف : نعم ، ثم يذكر آية أو أكثر توافق القول المسؤول عنه . وهذه الأسئلة ستة وثلاثون .

وقد نقل السيوطيّ في كتابيه : الإتقان ، ومعترك الأقران بعض أسئلة (٣٦) الكتاب ، وهي الأسئلة الخمسة الأولى ، والسؤال التاسع ، والثاني عشر ، والخامس عشر ، والسؤال العشرون ، والخامس والعشرون ، والثامن والعشرون ، والثالث والثلاثون ، إضافة الى السؤال السادس الذي أورده السيوطي وسقط من المخطوطة أي إنه نقل من الرسالة ثلاثة عشر سؤالاً .

والنسخة الوحيدة التي وقفت عليها لهذه الرسالة تحتفظ بها مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، ١٠٤ مجاميع ، ولهذه المجموعة المخطوطة صورة ميكروفيلمية في المكتبة المركزية لجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ٣٠ / ١٤ .

---

(٣٤) عبد الله بن طاهر من أشهر الولاة في العصر العباسي ، كان أميرا لخراسان ، توفي سنة ٢٣٠ هـ (وفيات الأعيان ٨٣/٣) دار الثقافة

(٣٥) ينظر لسان الميزان لابن حجر ٣٠٧/٢ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٤٨ .

(٣٦) ينظر الإتقان ١٣٢/٢ — ١٣٣ (طبعة الحلبي) ، ومعترك الأقران : ٤٦٨/١ — ٤٧٠.

والرسالة في لقطتين – اربع صفحات . في الصفحة الواحدة ثلاثة وعشرون سطراً . وقد كتب المجموع سنة ١٠٣٨ هـ ، على يد محمد بن أحمد البهوتي الحنبلي ، بخطٍّ نسخيٍّ واضح .

وقد حقّقت الرسالة عن هذه النسخة الوحيدة ، وراجعت الأمثلة التي نقلها السيوطي في كتابيه الإتقان ومعترك الأقران ، كما راجعت الأمثال في كتب الأمثال والأقوال المشهورة . ولمّا كان عدد من الأقوال التي سُئل عنها المؤلّف هي ممّا اشتهر على ألسنة الناس على أنّه من الحديث الشريف ، فقد رجعت الى بعض الكتب التي تهتمّ بالأحاديث غير المرفوعة ، أو الموضوعة ، ونبّهت على ما لم أقف عليه من الأمثال الواردة في الكتاب ، فبعضها قد يكون ممّا جرى على ألسن النّاس وليس من الأمثال القديمة التي عُني العلماء بجمعها .

وقد ذكرت السورة ورقم الآية ممّا ورد في الكتاب ، كما عملت فهرسين للآيات والأمثال – وهما ما يحتاجهما الكتاب .

أسأل الله تعالى أن ينفع به ، وأن يتقبّل منّا ، ويتجاوز عن سيّئاتنا .

والحمد لله رب العالمين .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .

د . علي حسين البواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـــه ثقتي

حدّثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي . قال : حدّثنا الشيخ أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفرغاني (١) ، قال : حدّثنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب (١) المفسّر النيسابوري ، قال : سمعت أبا إسحق إبراهيم بن مضارب بن ابراهيم بن طوق ، قال : سمعت أبي يقول :

سألت الحسين بن الفضل (١) ، فقلت : إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله تعالى : (خير الأمــور أوسطها) ؟ (٢)

قال : نعم ، في أربعة مواضع :

الأوّل : في « البقرة » ، في قوله تعالى : « لا فارض ولا بِكر عَوانٌ بينَ ذلكَ » (٣) .

(١) في الأصل (الفرغان . . . محمد بن حسين . . . الحسن بن الفضل) وقد أثبت صواب الأعلام اعتماداً على المراجع كما أشرب إلى ذلك في المقدمة .

(٢) المثل في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٢٢٠ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ٤١٩/١ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢٤٣/١ ، والمستقصى للزمخشري ٧٧/٢ . ونقله السيوطي في معترك الأقران ٤٦٨/١ ، والإتقان ١٣٢/٢ . وروايته فيها : (أوساطها)وذكره البوسي في زهر الأكم ٢٠٣/٢ (خير الأمور أوساطها) وفي حاشية المستقصى أن في نسخة من الكتاب (أوسطها) قال الميداني : « يضرب في التمسك بالاقتصار » .
قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٠٥ : حديث (خير الأمور أوسطها) ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً به ، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن قرة الجعفي . وكذا أخرجه البيهقي عن مطرف . وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً : (خير الأمور أوسطها) ثم قال : ويشهد لذلك قوله قال : وذكر الآيات الأربع المذكورة في متن هذا الكتاب . وينظر كشف الخفاء للعجلوني ٤٦٩/١ ، والنهاية لابن الأثير ١٨٤/٥ .

(٣) الآية ٦٨ سورة البقرة ، وتمامها : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لافارض ولابكرعوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون »

الثاني : قوله تعالى في « النفقة » : « والذّينَ إذا أنْفَقُوا لَمْ يُسرفوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بين ذلك قواماً » (٤) .

الثالث : قوله عزّوجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وسلم ، والآية في « الصّلاة »(٥) : « ولا تَجْهَرْ بِصلاتِك ولا تُخافِتْ بها وابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبيلاً » (٦) .

والرابع : قوله سبحانه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٧) : « ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كلّ البَسْطِ ... » (٨) .



قلت : فهل يوجد (٩) في كتاب الله تعالى : « من جَهِلَ شَيْئاً عاداه»؟(١٠)

قال : [نعم] ، في موضعين : قوله عزّوجلّ : « بَلْ كَذّبوا بما لَمْ يُحيطوا بعلمِه » (١١) . وقوله سبحانه وتعالى : « وإذْ لمْ يَهتَدوا به فسيقولونَ هذا إفْكٌ قَديم » (١٢) .



(٤) سورة الفرقان : ٦٧ .
(٥) ينظر تفسير القرطبي : ٣٤٤/١٠ .
(٦) سورة الإسراء : ١١٠ .
(٧) ينظرتفسير القرطبي : ٢٥٠/١٠ .
(٨) سورة الإسراء : ٣٦ .
(٩) نقل السيوطي المسائل كلها في كتابيه بقوله : (فهل تجد . . . !)
(١٠) معترك الأقران : ٤٦٨/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ .
قال السخاوي ٤٠٩ : « حديث (من جهل شيئا عاداه) . ونقل عن الشافعي : العلم جهل عند أهل الجهل كما أن الجهل جهل عند أهل العلم . . . ويشير إليه قوله « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » وقوله « وإذ لم يهتدوا فسيقولون هذا إفك قديم » وزاد العجلوني في كشف الخفاء ٣٣٨/٢ أنه ليس بحديث ، قال : هو من كلام بعضهم : « المرء لايزال عدوا لما جهل » . وينظر الأسرار المرفوعة للقاري ٣٤١ .
(١١) سورة يونس : ٣٩ .
(١٢) سورة الأحقاف : ١١ .

قلت : فهل في كتاب الله تعالى : (احْذَرْ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إليه)(١٣)؟

قال : نعم ، قوله تعالى : « وما نَقَمُوا إلاّ أنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ ورَسولهُ مِن فَضْلِهِ » (١٤) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ (ليس الخبرُ كالمُعاينة) (١٥)؟.

قال : نعم ، في قصة إبراهيم عليه السلام (١٦) قال الله تعالى : « قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بلى ولكن ليطمَئِنَّ قَلبي » (١٧) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (في الحركات بركات) (١٨) ؟

(١٣) معترك الأقران ٤٦٨/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ . وفي مجمع الأمثال ١٤٥/١ (اتق شر من أحسنت إليه) . قال السخاوي ٢٠ : « حديث (اتق شر من أحسنت إليه) لاأعرفه ، ويشبه أن يكون من كلام السلف ، وليس على إطلاقه ، بل هو محمول على اللئام دون الكرام ، فقد قال علي بن أبي طالب : « الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا ألطف وعن عمر بن الخطاب قال : « ما وجدت لئيما إلا قليل المروءة » ، وفي التنزيل : « ومانقموا . . . . » ومثله في الأسرار ٨٠ ، وكشف الخفاء ٤٤/١ .

(١٤) سورة التوبة : ٧٤ .

(١٥) في مسند الإمام أحمد ٢١٥/١ ، ٢٧١ عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس الخبر كالمعاينة » . وينظر القرطبي ٢٩٨/٣ . وهو في مجمع الأمثال ١٨٢/٢ ، قال : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قاله . والمثل في كتاب الأمثال ٢٠٣ ، والمستقصى ٣٠٣/٢ ، ومعترك الأقران ٤٦٩/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ برواية (كالعيان) . وذكرالزمخشري أنه يروى (ليس المخبر كالمعاين) .

(١٦) في الأصل (قصة إبراهيم ، قال عليه السلام) .

(١٧) سورة البقرة : ٢٦٠ .

١٨ - في معترك الأقران ٤٦٨/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ (في الحركات البركات) . قال السخاوي ٣٠١ : « حديث (في الحركات البركات) هو من كلام السلف ، ويعارض قولهم (الثبات نبات) ، ولكن يشير الى الأول قوله تعالى « ومن يهاجر في سبيل الله .... » وبالجملة فهما طريقتان بحسب اختلاف الأحوال . وذكر في الاسرار ٢٥٧ أنه ليس بحديث . وينظر كشف الخفاء ٣٣١/٢ . وفي زهر الأكم ٢١٣/١ (البركات في الحركات) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « ومن يُهاجِرْ في سبيلِ اللهِ يَجِدْ في الأرْضِ مُراغَماً كَثيراً وسَعَة » (١٩) .

★ ★ ★

[قلت (٢٠): فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (كما تَدين تُدان)(٢١) ؟
قال : نعم ، في قوله تعالى : « من يَعملْ سُوءاً يُجزَ به » (٢٢) .

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (أقْصَرَ لمّا أبْصَر) (٢٣) ؟
قال : نعم ، قوله تعالى : « والذينَ إذا فَعلوا فاحشةً أو ظَلَمُوا أنفسهم ذكروا الله فاستَغْفروا لذنوبِهم » (٢٤) ؟

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله : (ازرعْ تَحْصُدْ) ؟ (٢٥)

---

١٩ — سورة النساء : ١٠٠ .
٢٠ — هذا السؤال لم يرد في المخطوطة ، وذكره السيوطي في معترك الأقران ٤٦٩/١ ، والإتقان ١٣٣/١٢ ، وقد صغته على الطريقة التي سلكها المؤلف في الكتاب ، واوردته في هذا الموضع . حيث ذكره السيوطي الذي التزم ترتيب الكتاب في المسائل التي نقلها منه .
٢١ — المثل في جمهرة الأمثال ١٦٨١٢ والمستقصى ٢٣١٢ . وينظر المقاصد الحسنة ٣٢٥ .
٢٢ — سورة النساء : ١٢٣ .
٢٣ — كتاب الأمثال ٢٢١ ، وجمهرة الأمثال ١٨٧/١ ، ومجمع الأمثال ١٠٨/١٢ ، والمستقصى ٢٨٣/١ .
قال ابو عبيد بعد أن ذكر المثل : « ومن الحديث المأثور « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ومثله « أتبع السيئة الحسنة تمحها » وكذلك قوله : « الندم توبة » . ينظر تخريج الأحاديث في حاشية كتاب أبي عبيد . وقال العسكري بعد أن ذكر المثل : « يضرب مثلا للراجع عن الذنب : والاقصار : الكف عن الشي مع القدرة عليه . والقصور : العجز عنه ، قصرت عنه . وأنا قاصر : إذا لم تقدر عليه ، وأقصرت عنه ، إذا تركته وأنت قادر عليه . والمثل لأكثم بن صيفي . وينظر الجمهرة ٩١/٢ .
٢٤ — سورة آل عمران : ١٣٥ .
٢٥ — قال السخاوي — المقاصد ٤١٣ : « حديث : (من زرع حصد) معناه صحيح ، واليه يشير قوله تعالى : « يوم تجد كل نفس ... » وقد سلف : (الدنيا مزرعة الآخرة) المقاصد ٢١٧ . وقال في الأسرار ٣٤٥ « حديث : (من زرع حصد) ليس بحديث في المبنى ، وهو صحيح في المعنى ، في الدنيا والعقبى » . وينظر كشف الخفاء ٣٤٨/١٢ .

قال : نعم ، قوله تعالى « يوم تجد كلّ نفس ما عَمِلَتْ من خَير مُحْضَراً » (٢٦) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله [تعالى] : (لا في العِير ولا في النَّفير) (٢٧) ؟

قال : نعم : قوله تعالى في وصف المنافقين : « مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلك لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ » (٢٨) .

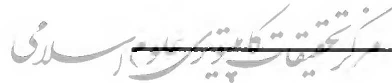


قلت : فهل يوجدُ في كتاب الله عزّوجلّ : (حين تقلي تدري) ؟ (٢٩) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « وسوف يَعْلَمونَ حينَ يَرَوْنَ العذابَ مَنْ أَضلُّ سَبيلاً » (٣٠) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبداً) ؟ (٣١)



٢٦ — سورة آل عمران : ٣٠ .

٢٧ — جمهرة الأمثال ٣٩٩/٢ ، ومجمع الأمثال ٢٢١/٢ ، والمستقصى ٢٦٤/٢ . قال العسكري « يضرب مثلا للرجل يحتقر لقلة نفعه . والعير : الإبل تحمل التجارة . ويعني به هاهنا عير قريش التي خرج رسول الله صلى عليه وسلم لأخذها ، ووقعت وقعة بدر لأجلها . والنفير : يعني به وقعة بدر ، وذلك أن كل من تخلف عن العير وعن النفير لبدر من أهل مكة كان مستصغراً حقيراً فيهم ، ثم جعل ذلك مثلا لكل من هذه صفته . » وينظر تفصيل ذلك هي مجمع الأمثال .

٢٨ — سورة النساء : ١٤٣ .

٢٩ — معترك الأقران ٤٦٩/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ ، والاسرار ١٨٩ بهذه الرواية ، وفي المقاصد الحسنة ١٩٥ ، وكشف الخفاء ٤٤٣/١ (حين تلقي تدري) . قال السخاوي : معناه صحيح ويشير اليه قوله تعالى : « وسوف يعلمون ... » . وقال في الأسرار : ليس بحديث . ومعناه صحيح .. . وينظر الكشف . وفي مجمع الأمثال ٢٠٤/١ (حين تقلين تدرين) يضرب للمغبون يظن أنه الغابن غيره . وينظر فيه قصة المثل .

٣٠ — سورة الفرقان : ٤٢ .

٣١ — لم ينقل السيوطي هذا المثل ، ولم أقف عليه .

قال : نعم ، قوله تعالى : « إنَّ الذينَ حَقَّتْ علَيهِم كلمةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنونَ . ولو جاءَتْهم كلُّ آيةٍ حتّى يَرَوُا العذابَ الأليم » (٣٢) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله [تعالى] قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْن » (٣٣) ؟ .

قال : نعم ، في قصة يوسف ، قول يعقوب عليهما السلام : « هَلْ آمنُكُمْ عليه إلاّ كما أَمِنْتُكُم على أخيه من قبل » (٣٤) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (إلى أمّه يلهفُ اللّهفان)(٣٥)؟

قال : نعم ، قوله تعالى : « ثمّ إذا مسَّكُمُ الضُّرُّ فإليه تجْأرون»(٣٦).



قلت : فهل يوجد في كتاب الله [تعالى] : (لا يُفْلِحُ المنصورُ حتى ينفخَ في الصُّور) (٣٧) ؟

قال : نعم ، قوله تعالى : « ولَنْ تُفلحوا إذن أبداً » (٣٨) .



٣٢ – سورة يونس : ٩٦ ، ٩٧ .

٣٣ – معترك الأقران ٤٦٩/١ ، والإتقان ١٣٣/٢ ، ولم يذكر السيوطي انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم . والحديث اخرجه البخاري في كتاب الأدب ١٠٣/٧ ، ومسلم في باب الزهد ٢٢٩٥/٤ . ونقله في المقاصد ٤٧٢ وقال : « واليه الاشارة بقول يعقوب في قصة يوسف عليهما الصلاة والسلام « هل آمنكم .... » وينظر الأمثال : ٣٨ ، والجمهرة ٣٨٦/٢ ، ومجمع الامثال ٢١٥/٢ ، والمستقصى ٢٧٦/٢ ، ويروى : (لا يلسع ..) .

٣٤ – سورة يوسف : ٦٤ .

٣٥ – الأمثال : ١٨٠ ، والجمهرة ٦٨/١ ، ومجمع الإمثال ٢٢/١ ، والمستقصى ٣٠٣/١ . واللهفان : المتحسر على الفائت . يضرب للرجل يستغيث بأهل ثقته .

٣٦ – سورة النحل ٥٣ .

٣٧ – هذا مما لم ينقله السيوطي ، ولم أقف عليه .

٣٨ – سورة الكهف ، ٢٠ .

قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (مَنْ أعانَ ظالماً سُلِّطَ عليه) ؟ (٣٩) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « كُتِبَ عليه أنّه مَنْ تولاّهُ فأنّه يُضلّه ويهديه الى عذاب السعير » (٤٠) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (العَوْدُ أحمدُ) (٤١) ؟

قال : نعم ، قوله تعالى : « إنّ الذي فرضَ عَلَيْكَ القرآن لرادُّكَ إلى مَعاد » (٤٢) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (ويلٌ للشجيّ من الخليّ)(٤٣) ؟

---

٣٩ — معترك الأقران ١/٤٦٩ ، والإتقان ٢/١٣٣ .
وذكر في المقاصد ٣٩٨ (من اعان ظالماً سلطه الله عليه) . وذكر ان ابن عساكر رفعه في في تاريخه الى ابن مسعود ، وفيه « العدوي » وهو متهم بالوضع . وأورده الديلمي بلا سند عن ابن مسعود ، وذكره القرطبي ولم يعزه ، قال : وبالجملة فمعناه صحيح ، وفي التنزيل : « كتب عليه .. » . وفي القرطبي ٧/٨٥ : « وفي الخبر عن النبي صل الله عليه وسلم (من أعان ظالماً سلطه الله عليه) . وينظر الأسرار المرفوعة ٣٢٨ ، وكشف الخفاء ٢/٣١٥ .

٤٠ — سورة الحج : ٤ .

٤١ — الأمثال ١٦٩ ، والجمهرة ٢/٤١ ، ومجمع الأمثال ٢/٣٤ ، والمستقصى ١/٣٥٠ . وقد رويت عدة أبيات اخرها (العود أحمد) . قال الميداني : يجوز ان يكون (أحمد) « أفعل » من الحامد ، يعني انه اذ ابتدأ العرف جلب الحمد الى نفسه ، فاذا عاد كان أحمد له . ويجوز ان يكون « أفعل » من المفعول ، يعني ان الا بتداء محمود ، والعود احق بأن يحمد منه .

٤٢ — سورة القصص : ٨ .

٤٣ — في الأصل (ويل للسخي) وما أثبت من كتب الأمثال . وهو في جمهرة الأمثال ٢/٣٣٨ ، ومجمع الأمثال ٢/٣٦٧ (ويل للشجي من الخلي) . وفي الأمثال ٢٨٠ ، والمستقصي ٢/٣٣٨ (ما يلقى الشجي من الخلي) . والخلي : الخلو من الهم ، وياؤه مشددة . والشجي : خفيف الياء ، من شجي فهو شج ، وروي الشديد اما على انه فعيل بمعنى مفعول ، أو للازدواج . ينظر المصادر السابقة .

قال : نعم ، قوله تعالى : « وجَعَلْنا بَعْضَكم لبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُون » (٤٤) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (إنّ الحديدَ بالحديد يُفلحَ) ؟ (٤٥)

قال : نعم ، قوله تعالى : « وجزاءُ سَيِّئةٍ سيِّئَةٌ مِثْلُها » (٤٦) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (لكلّ ساقطة لاقطة)(٤٧) ؟

قال : نعم ، قوله تعالى : « ما يلفِظُ من قَوْلٍ إلاّ لَديه رَقيبٌ عَتيد » (٤٨) .



قلت : فهل يوجد في كتاب الله عزّوجلّ : (لا تلد الحيّة إلا حُوَيّة) ؟(٤٩)



٤٤ — سورة الفرقان : ٢٠ .

٤٥ — الأمثال ٣٥٩ ، والجمهرة ٣٤٥/١ برواية : (الحديد بالحديد يفلح) . وفي مجمع الامثال ١١/١ ، والمستقصى ٤٠٤/١ (ان الحديد ...) . والفلح : الشق . قال العسكري : الصعب لا يلينه الا الصعب .

٤٦ — سورة الشورى : ٤٠ .

٤٧ — الامثال ٤١ ، والجمهرة ٢٠٧/٢ ، ومجمع الأمثال ١٩٣/٢ ، والمستقصى ٢٩٢/٢ . ومعناه : لكل كلمة رديئة من يتحفظها ويحملها عنه . قال أبو عبيد : وهذا تحذير من سقط الكلام . يقول : ان من الناس من يلتقطه فينميه ويشبعه حتى يورط قائله ، فاحذره .

ويبدو ان المثل شاع على انه من الحديث الشريف ، قال السخاوي — المقاصد ٣٣٧ « حديث (لكل ساقطة لاقطة) هو من كلام السلف ، واليه يشير قوله تعالى : « ما يلفظ من قول : الا لديه رقيب عتيد » ... وزاد العجلوني في كشف الخفاء ٢٠٩/٢ : « والمشهور عن الشافعي رضي الله عنه تعالى عنه (ما من ساقطة الا ولها لاقطة) وينظر الاسرار : ٢٨٤ .

٤٨ — سورة ق : ١٨ .

٤٩ — في معترك الأقران ٤٦٩/١ ، والاسرار المرفوعة ٣٨٢ (.. إلا الحية) . وفي المقاصد ٤٦٥ ، وكشف الخفاء ٥٠١/٢ : (الا حية) ومثلها في الإتقان المحققة . وفي الطبعة الاولى

قال : نعم ، قوله تعالى : « ولا يَلِدوا إلاّ فاجِراً كَفّاراً » (٥٠)

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (الأطرافُ مداركُ الأشراف) ؟ (٥١)

قال : نعم ، قوله تعالى : « وجاءَ رجلٌ من أقْصَى المدينةِ يَسْعَى» (٥٢).

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (..........) ؟ (٥٣).

قال : نعم ، قوله سبحانه وتعالى : « والسّابِقونَ السّابِقونَ . أولئك المُقَرّبونَ . في جَنّاتِ النّعيم » (٥٤) .

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (القدرُ لا تَغْلِي بالشُّركاء)؟(٥٥)

= إلا حيية) . وذكر في كشف الخفاء ان السخاوي رواه (الا حيية) (وليس في المطبوعة) وان الصواب (حوية) . قال السخاوي : هو من كلمات بعضهم . وقال في الأسرار : وليس بحديث ، بل هو من أمثال العرب وفي الحيوان ١/٩ . وتقول العرب : « العصا من العصية ، ولا « تلد الحية الا حية » . وفي المعاجم اللغوية اختلاف في اشتقاق (الحية) : أهو من (حوي) أو من (حيي) ، وعليه يبنى الخلاف في تصغيرها على (حوية) أو (حيية) .

وفي مجمع الأمثال ما يقرب معناه من هذا المثل ففي ٢/٢٣٠ : (لا ينبت البقلة الا الحقلة) والحقلة : القراح . وفي ٢/٢٣٩ : (لا يلد الوقبان الا وقباً) قال : الوقب : الأحمق .

٥٠ — سورة نوح : ٢٧

٥١ — لم أقف على هذا المثل .

٥٢ — سورة القصص : ٢٠ . وفي الاصل « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال » .

٥٣ — المثل غير واضح في المخطوطة ، وهو يشير الى ان الفوز والظفر للسابق كما يفهم من الآيات .

٥٤ — سورة الواقعة : ١٠ — ١٢ .

٥٥ — في الأصل (القدر لا تغلوا بالشركاء) وقد أثبت ما رأيته صواباً .

وقد ذكر في المقاصد ٣٠٣ : (قدرة الشرك لا تغلي) قال : وهو من كلام بعضهم ، وذلك على الغالب ، وفي التنزيل (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) . ونقل في الكشف ٢/١٣٣ : هو من كلام بعض السلف ، وهو اغلب .

قال : نعم ، قوله تعالى : « لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتا »(٥٦)

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (جملة الطبّ قلّة المطعم)؟ (٥٧).

قال : نعم ، قوله سبحانه وتعالى : « وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفوا» (٥٨)

★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (للحيطان آذان) ؟ (٥٩) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « وفيكُم سمّاعون لهُم » (٦٠) .

❊ ★ ❊

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (برَح الخفاء) ؟ (٦١)

قال : نعم ، قوله تعالى : « حتّى جاءَ الحقُّ وظهر أمرُ اللهِ وهُمْ كارهون » (٦٢)



★ ★ ★

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (لو بعثناه إلى بئرٍ سمحةٍ لغار ماؤها) ؟ (٦٣)

قال : نعم ، قوله تعالى : « أينما يوجّههُ لا يأتِ بخير» (٦٤)

★ ★ ★

٥٦ — سورة الأنبياء : ٢٢ .

٥٧ — لم أقف على هذا القول : وفي المقاصد الحسنة ٣٨٩ : (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء) وذكر أن لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، أو غيره ......

٥٨ — سورة الاعراف : ٣١ .

٥٩ — معترك الأقران ٤٦٩/١ . والأتقان ١٣٣/٢ . ولم اقف عليه في كتب الامثال .

٦٠ — سورة التوبة : ٤٧ .

٦١ — الأمثال ٦٠ ، والجمهرة ٢٠٥/١ ، ومجمع الأمثال ٩٥/١ ، والمستقصى ٧/٢ . وتضبط (برح) بفتح الراء وكسرها . ومعناه : زال الستر ، واتضح الأمر .

٦٢ — سورة التوبة : ٤٨ .

٦٣ — من الامثال التي لم اجدها في كتب الامثال . وان كان معناه شائعاً على الألسنة .

٦٤ — سورة النحل : ٧٦ .

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى قولهم : (الكافر مرزوق) ؟ (٦٥).

قال : نعم ، قوله تعالى : « قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالةِ فَلْيَمْدُدْ له الرحمنُ مَدّاً » (٦٦)



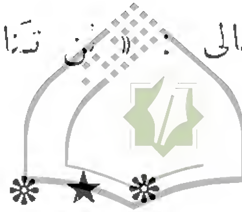
قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (القاضي لا يحبُّ القاضي)؟ (٦٧).

قال : نعم ، قوله تعالى : « او كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتا» (٦٨)



قلت : فهل يوجد في القرآن العظيم قوله : (من نَكَحَ الحسناءَ يُعْطِ مَهْرها) ؟ (٦٩) .

قال : نعم ، قوله تعالى : «لن تَنالو البرَّ حتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّون » (٧٠) .



٦٥ – هكذا في الأصل . ونقله السيوطي في معترك الأقران ١/٤٧٠ ، والاتقان ١٣٣/٢ : (الجاهل مرزوق والعالم محروم) . وورد في المقاصد ١٧٠ حديث (الجالب مروزق والمحتكر ملعون) وذكر ان سنده ضعيف .

٦٦ – سورة مريم : ٧٥ .

٦٧ – لم أقف على هذا المثل ، وهو من الأقوال الشائعة بين الناس .

٦٨ – سورة الأنبياء : ٢٢ .

٦٩ – الامثال ٢٤٣ ، وجمهرة الامثال ٢٥٨/٢ ، ومجمع الامثال ٣٠٠/٢ ، والمستقصى ٣٦٤/٢ . ويروى : (من ينكح الحسناء يعط مهراً) و (يعط مهرها) .

ونقل في المقاصد ٤٣١ (من يخطب الحسناء يعطي مهرها) قال : كلام صحيح يشير اليه قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . وذكره في الاسرار والكشف بجزم الفعلين ، وقال القاري : ليس بحديث ونقل العجلوني عن النجم أنه مثل ، قال : وما أحسن قول ابن الفارض :

ومن يخطب الحسناء يسخو بمهرها ... وطالب شهد لم تخفه اللواسع

وأقول : ومن مشاهير الأبيات ، قول أبي فراس :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

٧٠ – سورة آل عمران : ٩٢ .

قلت : فهل يوجد فيه قولهم : (من صَبَرَ على جارِه أورَثَه الله دارَه) ؟ (٧١) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « وأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وديارَهُم وأَموَالَهُم » (٧٢) .



قلت : فهل يوجد فيه (لا تُعْطِيَنّ العبدَ واحدة يطلبْ أُخرى)؟ (٧٣) .

قال : نعم ، قوله تعالى في قصة موسى [عليه السلام] لما سمع النداء بغير مشقّة طمع في الرؤية : « قالَ ربِّ أرِني أنْظُرْ إليكَ » (٧٤)



قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى : (الحلالُ لا يأتيك إلاّ قُوتاً ، والحرام يأتيك خَرقاً) ؟ (٧٥) .

قال : نعم ، قوله تعالى : « إِذْ تَأْتِيهِم حيتانُهم يومَ سَبْتِهِم

٧١ — لم ينقل السيوطي هذه المسألة ، ولم أقف على هذا القول . وقد ذكر العجلوني في الكشف ٣٠٣/٢ : (من آذى جاره اورثه الله داره) قال : كذا رأيته في كلام بعض من جمع من الحديث ممن لا يعرف . ثم قال : رأيت النجم قال : اورده في الكشاف ، ولعله مثل سائر وليس بحديث .. قال . ومن أمثال العوام (اصبر على جارك المشئوم ، اما يموت واما يرحل) . وينظر الكشاف للزمخشري ٣٧١/٢ .

٧٢ — سورة الاحزاب : ٢٧ .

٧٣ — في المستقصى ٣٧١/١ : (ان تعط العبد كراعاً يطلب ذراعاً) . وفي شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٧٧٧/٢ (لا تعط العبد كراعاً فيطمع في الذراع) .

٧٤ — في الآية ١٤٣ سورة الاعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني أنظر إليك ..... » .

ولا يصح ضرب هذا المثل لسيدنا موسى عليه السلام ، ذلك انه سأل ربه النظر إليه ، لما اسمعه كلامه — اشتياقا اليه .

٧٥ — في معترك الاقران ٤٧٦/١ (... والحرام يأتيك جزافاً) وفي الاتقان ١٣٣/٢ (... والحرام لا يأتيك الا جزافاً) .

شُرَّعاً ويومَ لا يَسْبِتُون لا تأْتيهم » (٧٦)



قلت : فهل يوجد فيه : (القتلُ أنْفَى للقتْلِ) ؟ (٧٧)

قال : نعم ، قوله تعالى : « وَلَكُمْ في القِصاصِ حَياةٌ يا أولي الألْباب » (٧٨) .

قلت : فهل يوجد فيه قولهم : (إن ذهبَ عَيْرٌ فعَيْرٌ في الرّباط)؟(٧٩)

قال : نعم ، قوله تعالى : « فإن لم يُصِبْها وابلٌ فطَلّ » (٨٠)



قلت : فهل يوجد فيه قولهم : (الناس في الباطل إخوان) ؟ (٨١) .

قال : نعم ، قوله سبحانه وتعالى : « وإنّ الظالمين بعضُهُم أولياءُ بعضٍ والله وليُّ المتّقين » (٨٢) .



تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

٧٦ – سورة الأعراف ١٦٣ .

٧٧ – لم اقف على هذا المثل .

٧٨ – سورة البقرة : ١٧٩ .

٧٩ – مجمع الأمثال ٢٥/١ ، والمستقصى ٣٧٢/١ ، ويروى فيه ايضاً (ان مر ..). والرباط : ما تشد به الدابة . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب .

٨٠ – سورة البقرة : ٢٦٥ .

٨١ – لم اقف على هذا القول .

٨٢ – سورة الجاثية : ١٩ .

فهرس الآيات القرآنيــة

فهرس الأمثـال والأقـوال

★ ★ ★

المراجع

* القرآن الكريم .
* الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – مطبعة الحلبي – القاهرة ١٩٥١ م .
ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة ١٩٦٧ م – بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
* الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة – للملاّ علي القاري – تحقيق محمد الصبّاغ – مؤسسة الرسالة بيروت – ١٣٩١ هـ .
* الأمثال – لأبي عبيد القاسم بن سلام – تحقيق – د . عبدالمجيد قطامش – مطبوعات جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ .
* الأمثال العربية القديمة – لزولهايم – ترجمة د . رمضان عبدالتواب – دار الأمانة – بيروت ١٣٩١ هـ .
* البرهان في علوم القرآن – للزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥٧ م .
* تاريخ التراث العربي د . فؤاد سزكين المجلد الأول – الجزء الرابع – ترجمة د . محمود حجازي – مطبوعات جامعة الإمام الرياض ١٤٠٣ هـ .
* تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٦٧ م .
* جمهرة الأمثال – لأبي هلال العسكري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ود . عبدالمجيد قطامش المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة ١٣٨٤ هـ .
* الحيوان – للجاحظ – تحقيق عبدالسلام هارون /الحلبي – القاهرة ١٣٨٤ هـ .
* زهر الأكم في الأمثال والحكم – لأبي الحسن اليوسي – تحقيق د . محمد حجّي ، ود . محمد الأخضر – دار الثقافة – الدار البيضاء – ١٩٨١ م .
* شرح القصائد التسع – للنحّاس – تحقيق أحمد خطاب – وزارة الإعلام – بغداد ١٩٧٣ م .

* شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني في التجويد – لأبي عمرو الداني – مخطوط – مصور عن مكتبة تشستربيني – دبلن – إيرلندا ٣٦٥٣ .
* صحيح البخاري – المكتب الإسلامي – استانبول – ١٩٧٩ م .
* صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – رئاسة إدارة البحوث – الرياض ١٤٠٠ هـ .
* طبقات الحفّاظ – للسيوطي – تحقيق علي محمد عمر – مكتبة وهبة القاهرة – ١٣٩٣ هـ .
* طبقات المفسّرين – للسيوطي – تحقيق علي محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة ١٣٩٦ هـ .
* العقد الفريد – لابن عبد ربه – تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وأحمد الأبياري – لجنة التأليف والنشر والترجمة – القاهرة ١٣٨٤ هـ .
* الفهرست – لابن النديم – تحقيق رضا تجدّد – مكتبة الأسدي – طهران ١٣٩١ هـ .
* فهرست ما رواه ابن خير الأشبيلي عن شيوخه – مصوّرة المكتب التجاري – بيروت ١٣٨٢ هـ .
* القاموس المحيط – للفيروز ابادي – المطبعة المصرية – القاهرة ١٩٣٥ م .
* الكشاف – للزمخشري – مصوّرة دار المعرفة – بيروت .
* كشف الخفاء ومزيل الإلباس – للعجلوني – مكتب التراث الإسلامي – حلب .
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – لحاجي خليفة – وكالة المعارف – استامبول ١٩٤٥ م .
* لسان العرب لابن منظور – دار لسان العرب – بيروت .

* لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ــ دائرة المعارف النظامية ــ الهند ١٣٢٩هـ .
* المثل السائر ــ لابن الأثير ــ تحقيق د . أحمد الحوفي ، و د . بدوي طبانة ــ دار نهضة مصر القاهرة ١٣٧٩ هـ .
* مجمع الأمثال ــ للميداني ــ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ــ المكتبة التجارية ــ القاهرة ١٩٥٩ م .
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها ــ للسيوطي ــ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ــ الحلبي ــ القاهرة .
* المستقصى من أمثال العرب ــ للزمخشري ــ حيدر آباد الدكن ــ الهند ١٩٦٢م
* المسند ــ للامام أحمد ــ المكتب التجاري ــ بيروت ١٩٦٩ م .
* معترك الأقران في إعجاز القرآن ــ للسيوطي ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٦٩ م .
* معجم الأدباء ــ لياقوت الحموي ــ مكتبة الحلبي ــ القاهرة ١٩٢٢ م .
* المفردات ــ للراغب الأصبهاني ــ تحقيق محمد أحمد خلف الله ــ مكتبة الأنجلو ــ القاهرة ١٩٧٠ م .
* المقاصد الحسنة ــ لشمس الدين السخاوي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩٩ هـ .
* وفيات الأعيان ــ لابن خلكان ــ تحقيق د . احسان عباس ــ دار الثقافة ــ بيروت .



عرض الكتب

نظرات في شرح هاشميات الكميت

بتفسير ابي رياش

وبتحقيق

الدكتـور داود سـلوم والدكتور نوري حمودي القيسي

(الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٤)

الاستاذ محمد احمد الدالي

سورية ـ حماه

ليست هذه الطبعة من « هاشميات الكميت » أول طبعاتها ، فقد طبعت موشاة بتفسير أبي رياش وبشرح غيره من المحدثين غير مرة ، كما ذكر المحققان الفاضلان الدكتور داود سلوم والدكتور نوري حمودي القيسي .

اعتمدا في تحقيق نصّ الهاشميات ثلاث نسخ مخطوطة ومطبوعة واحدة منها . وقد بسطا القول في ذلك في مقدمة التحقيق وفي آخر النص أيضاً .

وأرادا لطبعتهما هذه أن تكون أجودَ طبعات الكتاب وأتمَّها وأحفلَها بالتحقيق والفائدة . ولم يكن ذلك عسيراً عليهما لما لهما من مشاركة كبيرة في تحقيق النصوص وجمع أشعار الشعراء الذين لم تنته إلينا دواوينهم ، أو لم يجمع شعرهم من قبل .

فلهذا ما صنعا المستدركات التي جعلا فيها مستدرك الهاشميات من مراجع الأدب العربي ، وتعليق الدكتور نوري حمودي القيسي على النسخة المكية من هاشميات الكميت ، ومستدركاً على شعر الكميت للمحقق الأستاذ هلال ناجي ،

والقصيدة النونية للكميت بتحقيق علاّمة الجزيرة الشيخ المحقق البصير حمد الجاسر أطال الله بقاءه .

وقد بذلا جهداً طيباً في تحقيق الكتاب ، ولم يدخرا وسعاً في إخراجه مخرجاً مشرقاً رائقاً .

وعلى ما بذلاه في خدمة الكتاب ، فقد فرطت منهما هفوات وسهوات وأوهام ، وقد أُتيا في ذلك من أمور .

أولها : مخالفتهما لما انتهجاه في سائر ما نشراه من التعليق على الكتاب وتخريج شواهده ونصوصه فقد اكتفيا ببيان فروق النسخ ، وهو ما نصّا عليه في مقدمتهما (ص : ٩) . ولا أدري لم فعلا ذلك ، وأخشى أن يكونا في عجلة من أمرهما .

وثانيها : اتّكاؤهما على ماوعته الذاكرة في ضبط اللغة .

وثالثها : عدم مبالغتهما في تصحيح الكتاب خلال الطبع .

ولو صنعا في تحقيق الكتاب ما ينبغي أن يصنع في مثله : من عناية بضبطه، وتفسير لغريبه ، وتخريج لشواهده ، وتعليق عليه بما يوضح نصّه ، وصناعة الفهارس الفنية له — لكانا قد تمّما عملهما ، وأخرجا الكتاب في أبهى حلة من التحقيق والإخراج .

ولا أَقصد في مقالتي هذه إلى سد هذا الخلل ، وهو جدير بأن تعقد له مقالة مفردة . ولعل المحققين الفاضلين يستدركان ما تركاه .

وقد عنّت لي خلال قراءتي الأولى في الكتاب نظرات في مواضع منه . فجعلتها في قسمين — أولهما لما بدا لي من التعليق على مواضع منه ، من غير ما استقصاء ، وثانيهما للهفوات المطبعية ، والسهوات التي فرطت من المحققين الفاضلين . وهذه هي أعرضها على قراء المجلة ليروا فيها رأيهم (الرقم الأول للصفحة والثاني للسطر) :

١/١٣ « والحماةُ الكفاةُ في الحربِ إنْ   لفَّ ضراماً وقودها بضرامِ »

صوابه : والحماةِ الكفاةِ في الحرب إن « لَفْـ فَ » ضراما ....

بجرّ الحماة والكفاة بالعطف على ما قبلهما في الأبيات (٣ ــ ٥) ، وبجعل « لف في الشطر الأول وللغاء الثانية من « لفّ » في الشطر الثاني او بجعل « لفّ » في الشطر الاول مع وضع علامة التدوير بين الشطرين .

١٢/٢ « قال : وسئل ذو الرمة عن المطر فقال : غِـثْنا ما شئنا » .

أَقول : هكذا وقع ! والذي رواه الأصمعي عن أَبي عمرو ــ أو عن عيسى ــ أنّه قالَ : سمعتُ ذا الرمة يقول : قاتل الله أَمَـةَ بني فلان ماأَفْـصَحـَها ! قلتُ : كيف كان المطر عندكم ؟ فقالت : غِـثْنَا ما شئنا . انظر إصلاح المنطق ٢٥٥ ، وتهذيبه للتبريزي ٥٦٩ (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة)، واللسان والتاج (غ و ث) .

٧/١٤ « أسوت الجرح : إذا داويتُـه » .

صوابه : داويتَه ، بفتح التاء . انظر مغني اللبيب (أيْ) ص ١٠٧ . وسيأتي نحو ذلك ص ٢/٣١ إذا قطعته ، ٦/٥٨ إذا شددته ، ١٤/١٥٠ إذا خرقته ، ٦/١٥١ إذا خطته .

٨/١٦ « الطّبُّ : الرقيق الحاذق » .

صوابه : الرَّفيق ، كما في النسختين (أ) و (ب) ، وانظر اللسان (طبب)

١٠/١٨ ــ ١١ « وقال ذو الرمة :

لطائم المسك يحويها ويُنْتَهَبُ »

وصوابه : وتُنْتَهَبُ ، كما في ديوان ذي الرمة ق ٧٢/١ جـ ٨٥/١ ، أي تباع لطائم المسك أم تشترى .

١٢/٢١ .

« وغارةٍ كحفيف الريح زعزعها   مسعارُ حرب كصدر السيفِ بهلولِ »

صوابه : بُهلُولُ ، بالرفع . والبيت من كلمة لطفيل الغنوي في ديوانه ق ٢٠/٥ ص ٥٩ .

١٤/٢٦ «طرّاً : جمعاً » .

صوابه : جميعاً ، كما في النسخة (أ) هنا ، وفي غيرها ٦/٣٧ ، وفي جميع النسخ ٢/٥٥ .

١٦/٢٦ « منا الذي هو ما إن طرّ شاربه والعانسون ومنا المُرْدُ والشُّيُبُ »

صوابه « والشّيبُ » . والبيت لأبي قيس بن رفاعة ، انظر شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٥/٢٤٢ .

١٤/٢٨ « والآطام : الجواسيق » .

صوابه : الجواسِقُ ، جمع جَوْسَق ، كجدول وجداول .

١٨/٢٨ « ترمي ورائي بامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ » .

صوابه : « يَرْمِي » . وهذا عجز بيت لبُجَيْرِ بن غَنَمَةَ الطائيّ . انظر شرح أبيات مغني اللبيب ١/٢٨٧ ، والمؤتلف والمختلف ٥٨/٥٩ ، وشرح المفصل ٩ /١٧ ، وشرح شواهد الشافية ٤٥١ ، وغيرها .

« صدره : ذاك خليلي وذو يواصلني يرمي ....

وفيه روايات أُخَر .

٣٥/ السطر الذي قبل الأخير : ويقال : إنّ عِرْضَ الرجلِ نَفْسِهِ »

صوابه : نَفْسُه ، وهي خبر « إنّ » .

١٢/٣٩ — ١٥ « والرُّمَّة : القطعة من الحبل .... وبه سمّي ذو الرمة ..... ويقال سمّي بقوله :

أشعثُ باقي رُمَّةِ التقليدِ »

الوجه : « أَشعثَ » بالفتح ، وهو صفة موصوف مجرور قبله ، وهو قوله :

وغيرَ باقي ملعب الوليدِ　　وغير مرضوخ القفا موتودِ
أَشعثَ . . . .

انظر ديوان ذي الرمة ق ٧/١١ ج ٣٥٨/١ .

١١/٤٠ « وَخَدَتِ الناقةُ تَخِدُ وخداً . وخَدْيٌ تَخْدِي خدياً »

صوابه : . . . وخداً ، وخَدَتْ تخدي خدياً .

٣/٤١ ـ ٤ « والمُرِزَامُ : البعير الذي يأكل رطباً ويابساً ، ومنه قول الراعي :

كلي الحمض بعد المقحمين ورَازِمي　　. . . . . »

صوابه : « والمُرَازِمُ » من المُرَازَمَة ، يقال رَازَمَتِ الإبل العام : إذا رعت حمضاً مرة وخلّة مرة أخرى ، ونحو ذلك ، ويشهد له قول الراعي. وانظر اللسان والتاج (رزم) .

٤٤ / آخر سطر ـ ٤٥ ـ ١ : « السّانِحُ : الذي يجيء من يسارك إلى يمينك ويوليك ميامنه وأهل الحجاز يتشاءمون بالسانح والبوارحِ من الظباء والطيرِ وغيرِها ماتجيء من ميامنك الى مياسرك فتوليك مياسرها » .

صوابه : . . . يتشاءمون بالسانحِ والبوارحِ من الظباء والطيرِ وغيرِها : ماتجيء إلخ . برفع « البوارح » على الابتداء . وسيأتي نحو هذا الكلام ص١٠٧.

٩/٤٥ ـ ١٠ « ولكن إلى أهل الفضائل والنّهى . . . .

يقول : طُرْبىَ الى أهل الفضائل والنهى . . . » .

صوابه : « طَرْبِي » وهومصدر « طَرِب » في قول الكميت في أول هذه الأبيات : طَرِبْتُ وماشوقاً إلى البيض أطرب . . . .

ثم قال : ولكن إلى أهل . . . . . الخ ، أي : ولكن طربي الى اهل .. الخ .

١١/٤٥ ، ١٤ « حِجاة . . . . وجمع حِجاة حِجَى ، ومنه أُولو الحِجَى .

صوابه : حَجَاةٌ وحَجىً ، بالفتح .

٣/٤٨ « ومنه تَعَالَّلَ جادبُه أي طالب علة يجدبه بها » .

أقول : هذه قطعة من قول ذي الرمة :

فيالك من خــدٍ أسيلٍ ومنطقٍ رخيم ومن خَلْقٍ تَعَالَّلَ جادِبُه

ديوانه ق ٢١/٢٦ ج ٨٣٤/٢ ، وسفر السعادة ٩٣٣/٢ .

١/٤٩ « ويسأل الجداءَ وهي العطية » .

صوابه : الجَدَا بالقصر .

٦/٥٠ — ٧ « قال ذو الرمة :

خزايةٌ أدركـــته بعـــد جـــولته من جانب الحبل مخلوطاً بها الغضبُ »

الوجه : « خزايةً » بالنصب ، وهو مفعول له . انظر ديوانه : ٩١/١ ج ١٠٣/١ .

/٥٦ آخر سطر — ١/٥٧ : « والرديفان : وَلِيًّا عهـــده ههنـــا يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد . يقول : نؤذَى ونوكَبُ بالخليفة وبوليّ عهده » .

صوابه : وبوَلِيَّيْ عهده .

٤/٦٩ « وأُشتِتَّتْ : تفرقت ايقال : شَتَّتَ وأَشْتَتَ : »

صوابه : يقال : شَتَّ . وأَشَتَّ . أي يقال فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى .

٥/٦٩ قول الطِّرِمَّاح :

شَتَّ شعب الحــيّ بعــد التئام وشجاك اليوم ربــع المقــامِ

صوابه « المقامْ » بإسكان الميم ، والكلمة مقيّدة . انظر ديوان الطرماح ق ١/٢٧ ص ٣٩٠ .

١٤/٩٠ — ١٥ — ١/٩١

والقُوبُ : الفرخ . وأنشد :

كما برئت تائبة من قُوبٍ

وهذا مثلَ . . . . » .

أقول : ليس ما أورده بشعر ، وأخشى أن يكون في الكلام سقط ، ولا يبعد أن يكون : « والقوب : الفرخ ، وأنشد :

[لهنّ وللمشيب ومن علاه   من الأمثال قائبةٌ وقوبُ

وقوله : إذا بلغتَ مكان كذا] برئتْ قائبة من قوب . وهذا مثل ..» ؛ أو نحو هذا .

والمثل « برئت – ويروى : تخلّصت – قائبة من قوب » في الصحاح واللسان والتاج (ق و ب) ، والجمهرة لابن دريد ٣٢٤/١ ، والمستقصى ٢٣/٢ ، وجمهرة الأمثال ٢٨٠/١ ، ومجمع الأمثال ٩٨/١ ، وسمط اللآلي ٣١٥ ، وتمثال الأمثال ٣٩٢/١ .

٣/٩٥ « مُلِثٌ مَرَبَ يحفش الأكم ودقه . . . . »

صوابه : « مُرِبّ » ، من أربّت السحابة : دام مطرها .

١/٩٦ « وسطه كاليراع أوسرج المجدل   حيناً يخبو وحيناً ينير

صوابه : . . . . المجـ   ـدل حيناً . . . .

١٤/١٠٢ – ١٥ « قال الراعي :

وأدماء من سرّ المهارى نجيبةٌ »

صوابه : نجيبةٍ ، وهو نعت لـ « أدماء » .

وأقول : على ماورد في اللسان (ضها) لايكون هذا الشطر للراعي ، ففيه : « ورُوي أنّ عدة من الشعراء دخلوا على عبد الملك فقال : أجيزوا :

وضهياء من سرّ المهارى نجيبةٍ   جلست عليها ثم قلت لها إخِ

فقال الراعي :

لتهجعَ واستبقيتُها ثم قلّصت   بسُمْر خفاف الوطء وارية المخِّ

وانظر ديوانه (ط . بيروت) ص ٥٢ ، ٣١٣ . .

١٠٩ / آخر سطر : « والحياء هو التَوْءِبة » .

صوابه « التُؤْبَة » بضم التاء ، وإسكان الهمزة وفتحها .

١٢٣ / ٤ ــ ٥ قال المفضّل البكري :

يومَ كسُّ القوم رُوقُ »

صوابه : « المُفَضَّلُ النُّكريُّ » . وما أنشده المؤلف بعض بيت من الأصمعية (٦٩) ، وانظر ترجمته ومصادرها هناك .

١٢٤ / آخر سطر :

« والوازعون المُقْرِبُون من الـ أمْرِ وأهـل الشغاب إن شغبوا »

صوابه : المُقَرَّبون ، وبهذا يتزن البيت أيضاً .

١٢٥/ ٥ « وروى الأمويُّ : والوادعون والمُقْرِبُون » .

صوابه : والوادعون المُقَرَّبون . والواو مقحمة مخلة بالوزن ، وهي ليست في النسخة (ب) . أراد أن الأموي روى « والوادعون » مكان « والوازعون » .

١٢٩/ ٥ « ومثله كذباً ومَيْناً » .

أقول : هذه قطعة من قول عديّ بن زيد :

وقـدّمت الأديـم لراهشيـه وألفـى قولهـا كـذباً ومَيْنَا

انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٦ ــ ٩٧ / ١٠٢ .

١٣٨ / ٨ « والنقَب : الحفاء » .

صوابه : الحفَا ، بالقصر .

٤/١٤٢ : «إلى تَوْأم كأنها قَرَدُ العِهن ببـيداء لأُمِّهـا الـزَّغَبُ

كذا ! ! وهو مختل وفيه تحريف ، وصوابه :

إلى تُؤَامٍ كأنها قَرَدُ الـ عِهن ببيداء لأَمْـها الزَّغَبُ

وكذا في السطرين ٦ ــ ٧ الصواب : تُؤَام ، ولأْمها ، ولأْمةٌ ، وقد فسرهما المؤلف .

١٤٣ / ١٣ :

«كُمَـيْت كماء النّيّ ليست بخمطة   ولاخلة يكوي الشَّروب شهابُها

صوابه : الشُّروب ، بضم الشين ، وهم الندامى ». والبيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١ / ٧٢ .

١٤٧ / ٨ ـ ١٦ :

« فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى

مساويهم لو أنّ ذا المَيْلَ يعـدلُ

ويروى : لو أن ذا المَيْلَ بالفتح والكسر أراد هذا الميلُ ومن أراد به هشاماً وهو ذو المَيل» .

أقول : في الكلام سقط ولعل تمامه: « أراد هذا الميلَ ، ومن [كَسَرَ] أراد به هشاماً وهو ذو المِيل » .

وقوله « أراد » أي أراد بالفتح هذا الميل ، فالميل بدل من اسم الإشارة « ذا » وهو بالكسر مضاف إليه، و« ذا» في هذا الوجه من الأسماء الخمسة.

١٤٨ / ١ « ومنه (مِلَّةُ أبيكم إبراهيم) » .

صوابه « مِلَّةَ » بالنصب ، وهي الآية ٧٨ من سورة الحج .

١٥١ / ٩ « ومنه قوله تعالى (إنَّك لاتظمأ فيها ولاتضحى) » .

هي الآية ١١٩ من سورة طه ، والتلاوة (وأنك) بالواو ، وهي ثابتة في النسخة (ب) والأحسن إثباتها .

و« إنك » بكسر الهمزة كما أثبتت في الكتاب قراءة نافع وعاصم في رواية أبي بكر . وقرأ الباقون (وأنَك) بفتح الهمزة . انظر السبعة لابن مجاهد ٤٢٤ ، وغيره .

١٥٣ / ١٤ « أراد ساسة النـاس يعني القيام بأمورهم وهـذا أعلى جهه الهزء بهم » .

صوابه : وهذا علَى جهة الهزء بهم .

١٥٣ / ١٣ — ١٥٤ / ١

« فياساستَا هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمري ذو أفانين مِقْوَلُ

. . . . .

وأراد : ياساستنا فحذف الهاء . . . » .

صوابه : وأراد : ياساستَاه فحذف الهاء ، كما في النسخة (ب) وإن كان مافيها محرقاً .

. ١٥٩ — ١٣ :

« ألــم يتــدبّر آيةً فتــدلُّــه على ترك ما يأتي أو القابُ مُقْفَلُ

صوابه : . . . . فتدلَّه . . . . أمِ القلب مُقْفَلُ

وهي « أم » على الصواب في النسخة (ب) . وهذا البيت مأخوذ من قوله تعالى : (أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [سورة محمد : ٢٤] .

١٦٦ / ١٢ — ١٤ « قال :

(لايدفنون منهم من فاضا)

والمكبّل : المقيد . . . » .

صوابه : لايدفنون منهم من فاظا

والبيت لرؤبة من أرجوزة له ، أنظر تخريجه في سفر السعادة ١ / ٤١١ وزد على مافيه : الزاهر ٢ / ٣٦٠ ، وتهذيب إصلاح المنطق للتبريزي ٦١٧ ، والفرق لابن السيد ٥٩ .

ولم يرد البيت في النسخة (أ) ، فلعل أبارياش لم يستشهد به ، وإنما زيد في الكتاب ، فيبعد أن يَهِم مثل أبي رياش في إنشاده .

١٦٨ / ٨ :

« تهافت ذئبان المطامع حوله فريقان شتى ذو سلاح وأعزلُ

وكذا وقع « ذئبان » فيما فسره أبو رياش . وصوابه « ذِبَّان » كما في النسخة (ب) . قال أبو رياش في شرحه : « وذئبان [ذِبَّان] المطامع أصحاب يزيد . . . . شبههم بالذئبان [بالذبان] في خسّتهم وطمعهم ووقوعهم في الأشياء .

١٨٧ / ١٥ : « يقال أن على نفسك أي أَرفِقْ والأَوْن الرِفْق والفَتْرَةُ » .
صوابه : أنْ على نفسك أيِ ارْفُقْ .

★ ★ ★



هذا بعض ما كنت علقته على هامش نسختي من هذا الكتاب خلال قراءتي فيه ، على غير قصد مني لتتبُّع جميع ماوقع فيه واستقصاء القول فيه .

وعلى ما بذله المحققان الفاضلان من جهد في تحقيق الكتاب وتصحيحه خلال الطبع فقد فرطت منهما سهوات ، وفشت الهفوات المطبعية في الكتاب ، وأنا ذاكر بعض ما اجتمع لدي من ذلك من غير ما استقصاء :

الصفحة والسطر	الخطـأ	الصواب
١٢ / ١٠	التِرْس	التُرْس
١٢ / ١٨	مُرْسِي : مُثْبَت	مُرْسِي : مُثْبت
٢١ / ١٨	فَرَسَاً	فَرَسَا ــ فعل ماض
١٦ / ٣	تثقَب	تثقُب
١٦ / ٦	القَرَاد	القُرَاد
١٦ / ١٠	فضّلوا	فَضَلُوا
١٧ / ١٥	وُعُوْرُ	وَعُورُ ــ الواو العاطفة
١٩ / ١٠	وإنانأكل	فإنا
٢٠ ــ ١٠	المتفَق	المتفِق
٢٠ / ١٢	حازم	خازم
٢٤ / ٣ــ٣	ثوأجا ... والثوأج	ثُؤَاجاً ... والثُّؤَاج
٢٧ / ٩	الدَّرع	الّدِرع
٣١ / ٦	بَقَيْتُ	بَقِيتُ
٣٢ / ١	إستيعاب	استيعاب بحذف همزة القطع وسيتكرر مثل هذا مما كتبت همزة الوصل فيه همزة قطع ص ٣٧ / ١٠ الارتفاع ، ٨١ / ١٠ ، ١١ استوردت ، ١٠٦ / ٧ الاجتواء ، ١١٨ / ١٦ اضرب ، ١٣٢/٥٠
		١٣٥ / ١٢ ، ١٤ الزم ، اضرب ، ١٦٣ ــ السطر الذي قبل الأخير : الارتحال ، ١٦٧ ــ ٢ استحلوا ، ١٧٥ / ١٤ والاقتداء ، ١٧٩ / ٨

اقتضت ، ١٨٢ ـ السطر الذي قبل الأخير احتمل ، ١٨٣ / ٨ استقلك : استخفك ، ١٨٣ / ١٣ ارتعاش ١٩٢ / ١ اغرب ، ١٩٣ / ٦ اشتدت ١٩٩ / ٦ الاستحياء .

٣٢ / ١٠ أَرَم	إِرَم ـ كعنب ، أو أَرِم ككتف
٣٣ / ١٥ السَّفَاة	السَّفِلَة أو السِّفْلَة
٣٥ / ٧ الحلوُ	الحلوَ
٣٦ / ٦ رُغيم	رَغيم
٣٧ / ١٦ وبلغنا إِنّ	أَنّ
٤٦ / ٧ دُوَيِّبَة	دُوَيْبَةٌ
٥٢ / ١١ وجُنْبٌ	وجُنُبٌ
٥٣ / ٤، ١١و ٤ /٥ الحَرَوْرِية	الحَرُورِيَّة
٦١ / ٦ الأمواتُ	الأمواتَ
٦٤ / ٨ أَوْرُوها	أَوْرَوْها
٦٤ / ١٠ وإنّ	وأن
٦٨ / ٢ أي أمةٍ	أُمَّةً
٦٨ / ٨، ١٣ شريح	شرَيح
٧٢ / ١٥ رحمتِك	رحمتَك
٧٣ / ٣ ونَضَبَ	ونَضَب
٧٣ / ٤، ٩ لُغَب	لُغَّب
٧٧ / ٤ والجدب والقحط	والجدب : القحط ـ بحذف الواو
٧٨ / ٤ مُكَوُد	مَكَوُد
٨٢ / ٥ والطِبُّ	والطَّبُّ
٨٤ / ١٢ وتِرس	وتُرْس

٨٩ / ١	مِثَلان	مِثْلان
٩١ / ٢	غريان	غِرْبان
٩٨ / ٢	من راب	تحذف «من»
٩٨/ آخر سطر :	نَقْباً	نَقَباً
١٠٧ / ٧	وأهل النجد	وأهل نجد ، كما في النسخة (ب) وكما سلف ص ٤٥ .
١٠٩ / ٥	يَضْحَكُ مني الغواني	يُضْحِكُ مني الغوانيَ
١١١ / السطر الذي قبل الأخير :	أَن نصّ	إِنْ نصّ
١١٢ / ٨	أن نسبت	إِن نسبت
١٢٤ / ٨ / ١٢	خَيار	خِيار
١٢٤ / ١٢	الرِذال	الرُّذال
١٢٦ / ١٠	يَفيض	يُفيض
١٢٨ / ٣	أَعْيُوا	أَعْيَوْا
١٢٨ / ١٦	ويحولون	ويجولون ، كما في (أ) و (ب)
١٣٠ / ٣-٤	مرخ	مكررة
١٣١ / ١٤	يقال أسنت	مكررة
١٣٧ / ٨-٩	فاستخرج	تجعل السين منه في الشطر الأول
١٤١ / ١٢ ، آخر سطر	فِرْيتها	فَرْيتها
١٤١ / ١٣	جَشَم	جَشِم
١٥٣ /	وأفناه	وأفنان
١٥٧ / ٨-٩	ثوأجاً ـ كثوأج	ثُؤَاجاً ، كثُؤَاج
١٥٩ / ١٤-١٥	رأية ، رأي ...وحاجٍ	راية ، رايٌ ...وحاجٌ
١٦٠ / ١٣	رَضِيْتَ	رَضِيتَ
١٦٣ / ٧	الظِماء	الظَّماء ـ أو الظَّمأ كما في (ب)

١٦٥ / ١	حجل ، محجّل	جَحْل ، مُجَحَّل
١٦٨ / السطر الذي قبل الأخير :	كل في	في كل
١٦٩ / ٨	إليهم	مكررة
١٧٢ / ٣	وراع ويروع	وراع يروع — بحذف الواو
١٧٢ / ٥–٦	الريح الشمأل	الشمال — بلا همز كما في (أ) وكما يأتي بعد سطرين
١٧٢ / ١٠	الجود	الجرد
١٧٦ / ٤	وأن نزلت	وإن
١٧٧ / ١٢	وأنهم	وإنَّهم
١٧٧ / آخر سطر	وحُلِّلُوا	وحَلَّلُوا
١٧٩ / ٩	فيها بمعنى	فَهُما
١٨٤ /	متأسٍ بكم	بهم — وينظر قوله في السطر السابع : أتأسى بهم .
١٩٦ / ٣	وأزائلهم	وأزايلهم
١٨٦ / ٣	أُغْضَى	أُغْضِي
١٨٧ / ١٠	الجِنان	الجَنان
١٩٦ / ٧	الخضاوم	الخضارم
١٩٨ / ١٠	من القطيع	تحذف «من»



وبعد فهذه جملة ما اتفق لي من التعليق والتصحيح خلال قراءتي الأولى للكتاب ، وأرجو أن أكون أصبت في بعض ما قلت ، والخير أردت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

تعليق على مقال
« نظرات في شرح هاشميات الكميت »

اطلعنا على مقال « نظرات في شرح هاشميات الكميت » بقلم الاستاذ محمد أحمد الدالي .

وقد تفضل الاستاذ الدالي فقرأ الكتاب قراءة عالم محبّ للعربية معجب بادبها ، مخلص لهذا الميراث الذي يجب الا يشوبه الخطأ او يشوهه الاهمال .

وان ترادف الامثلة والشواهد يدل على هذا الجهد الغامر في مطالعة العمل ، ويندر ان نجد اليوم من يبذل هذا الجهد في رصد الآثار التراثيّة وقراءتها . فله منا الشكر على هذا الجهد حيث نبهنا الى ما يجب الانتباه اليه لتصويبه في الطبعات القادمة ان شاء الله . وبعد ان يكون القاريء الكريم قد اطلع على مقال الاستاذ محمد أحمد الدالي فارجو ان يلاحظ ما نريد ان نقدمه من ملاحظات

١ — ان الكتاب كتب على الآله الطابعة اكثر من مرة بسبب كثرة النسخ والتحريف الذي يسود فيها ، وبسبب تأخر وصـول المخطوطات على فترات متباعدة ممـا جعل كثيرا من التحريفات من النسخ المتأخرة تدخل في النص باتخاذ هذه النسخ اصلاً للتحقيق وحين تصلنا نسخة اخرى اكثر دقة نضطر لجعلها نسخة ثانية او ثالثة وقد نشير الى الصواب في الهامش والسبب كمـا قلنا هو وصول النسخ على آماد متباعدة امتدت لاكثر من عشر سنوات

٢ — لم نطلع على المسوّدات التي طُبِعت في بيروت، ولم نعرف من هـو الذي قام على تصويبها ، ولذلك فان بعض الكلمات التي اشكلت خطأ في مكان ما من الهاشميات قد اشكلت صواباً في مكان آخر من نفس الكتاب وهذا دليل ضبطنا للنص اما الخطأ في الضبط حيث وقع فكان بسبب عدم اشرافنا على المسوّدات . ولم نحصل على نسخة من المطبوع

من الهاشميات الا بعد ان وزعت في كل العالم العربي فكنا آخر من يقرأ عمله وبذلك لم نتمكن ان نجهز الكتاب بقائمة خطأ وصواب قبل توزيعه .

٣ ـ ان اختلاف الشكل في اوائل بعض ابيات الشواهد حيث رفعت وحقها ان تنصب مثلاً كان بسبب عدم الرجوع الى الدواوين لاننا قررنا في هذه الطبعة وكما اشرنا في المقدمة عدم تخريج الشواهد لان هوامش النص وما فيها من تحريف قد شغلتنا وقد تعاملت النسخ مع هذه الشواهد على انها نصوص مستقلة واوردتها بالصيغة المرفوعة او المنصوبة حسب ما قبلها فاخذنا عنها هذا الشكل الذي ورد في هذه النسخ المخطوطة ، ولو كنا رجعنا الى مصادر التخريج لتخطينا هذا الامر ، ونشكر للاستاذ تنبيهه على نماذج من هذه الامثلة .

٤ ـ اجمعت نصوص جميع المخطوطات على صيغ واختلفت معها المعاجم في شرح المعنى والتوسع فيه فادخله الاستاذ في باب النص الناقص او غير الواضح . فقد جاء في الهاشميات (ص ٤١ س ٣ ـ ٤ : « المرازم : البعير الذي يأكل رطباً ويابساً ومنه قول الراعي »

وقال الاستاذ الدالي : « وصوابه المرازم]وكانت الزاي في طبعتنا مفتوحةخطأ[يقال : رازمت الابل العام اذا رعت حمضاً مرةوخلّة مرةاخرى وبنحو ذلك » .

وكأنه لم يرضه شرح ابي رياش فشرحه مرة اخرى . ونحن قد التزمنا بما هو موجود في جميع النسخ من شرح لايطابق ما في كتب اللغة المتأخرة .

٥ ـ وجاء في الهاشميات (ص ١٢٩ س ٥) : « ومثله : كذباً وميناً » وعلق الاستاذ : اقول هذه قطعة من قول عدي بن زيد (ثم ذكر بيتاً) ،

وهذا لايدخل في باب خطأ او صواب او سهو ، فالنص هكذا ورد وهكذا ابقيناه ولم نعزه خطأ حتى تُصوّب نسبة النّص

٦ – جاء في الهاشميات (ص ١٤٧ س ٨ – ١٦) ؛ : « ويروي لـو ان ذا الميل بالفتح والكسر اراد هذا الميل . ومن اراد به هشاماً وهو ذو الميل» ويعلق الاستاذ الدالي : « في الكلام سقط ولعل تمامه : اراد هذا الميل ومن [كسر] اراد به هشاماً وهو ذو الميل»

ونقول ان قول ابي رياش كان معبراً عن المعنى الذي اراد . الاستاذ ان يكون . ولايمكن ان نفترض السقط ما دام القول يؤدي المعنى ولم تختلف فيه النسخ

٧– وجاء في الهاشميات (ص ١٦٦ س ١٢ – ١٤) : « لايدفنون منهم من فاضا » ويروي الاستاذ الدالي : ان الرواية هي (فاظا) بالظاء . ولكن ابا رياش رواها (فاضا) بالضاد والدليل انه استخدمه شاهداً على نص بيت الكميت في قوله :

وشيخ بني الصيداء قـد (فـاض) قبلهم . . . البيت .

وفي المعاجم خلاف « في (فاض) و (فاظ) ومعناهما واحد والخلاف في القبائل التي استعملت أحد الاشتقاقين .

٨ – جاء في الهاشميات (ص ١٦٨ س ٨) :

تهافت ذئبان المطامع حولـه

فريقـان شتّى ذو سلاح واعزل

ويروي الاستاذ الدالي ان الرواية المفضلة (ذبان المطامع) كمافي الهامش عن النسخة (ب) . ولكن : كيف يكون الذبّان ذا سلاح واعزل ؟ اليس الاصوب ان يوصف الذئب بانه ذو سلاح وهو الذي لم تكلّ

مخالبه ، والاعزل هو الذي فقد قدرته على الصيد ولم ينقطع عنه الطمع؟

ومع كل ذلك ، تبقى ملاحظات الاستاذ الدالي قائمة . قد قرّبت الكتاب جملة وتفصيلا الى الكمال . ونجد شكره واجباً علينا اذا ما اخرجنا الكتاب مرة اخرى

وبعد ان نكون قد صوّبنا ما وقع فيه من خطأ في النسخ او هفوة في الطبع والله نسأل أن يمنح العربية من أهلهـا وابنائهـا من يحرص هـذا الحرص لتبقى لغة الله القرآن الكريم نقية خالصة ، بعيدة عن الدخيل والغلط انه نعم المولى ونعم النصير

المحققان : د . داود سلوم

د . نوري حمودي القيسي





★ ★ ★

الفهـرس

(المقـالات)

(عرض الكتب)

مجلـــة

المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف

وتضاف اليها اجرة البريـد



★ ★ ★

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

● البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

● البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٥

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ١٩٨٥

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 36
Part (1)



PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1985